

مركز عيسى الثقافي
ISA CULTURAL CENTRE

القَاضِي الأَدِيب

الشَيخ يُوسُف بِن أحمَد الصِّدِّيقِي

قاضي البحرين من ١٩٦٢-٢٠٠٩م

عبدالناصر محمد الصديقي

القاضي الأديب
الشيخ يوسف بن أحمد الصدِّيقي
قاضي البحرين من ١٩٦٢-٢٠٠٩م

عبدالناصر محمد الصدِّيقي



- العنوان: القاضي الأديب الشيخ يوسف بن أحمد الصدِّيقي (قاضي البحرين من ١٩٦٢-٢٠٠٩م)
- المؤلف: عبدالناصر محمد الصدِّيقي
- الناشر: مركز عيسى الثقافي، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.
- رقم الناشر الدولي ISBN: ٨-١٩-٥٣-٩٩٩٥٨-٩٧٨
- رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٤٩ /د.ع/٢٠٢١م
- تصميم وإخراج الغلاف: قسم الإعلام والمطبوعات - مركز عيسى الثقافي

الفهرس

رقم الصفحة



تقديم

إنّما تقاسُ أقدارُ النَّاسِ بقدر ما يتركون في الحياةِ من الأثر. وإنَّ الأثرَ لَتقاسُ قيمتُهُ بقدرِ ما يُساهِمُ في بناءِ الأمم حضارةً وعِلْمًا وأخلاقًا ووجودًا.

وإنَّه لَمِن مسئوليات الأمم العظيمة أن تكتبَ وتُدَوِّنَ لأجيالها اللاحقة ما سطَّرَتْهُ أجيالُها السَّابقة في سِجلات العطاءِ في شتى ميادين الحياةِ، ليكونَ لها (أي للأجيال اللاحقةِ) محفزًا على اقتفاءِ خطواتِ ذلك الأثر، واتخاذه نهجاً في العطاءِ والبذلِ في سبيل الأوطان ونفع البشرية.

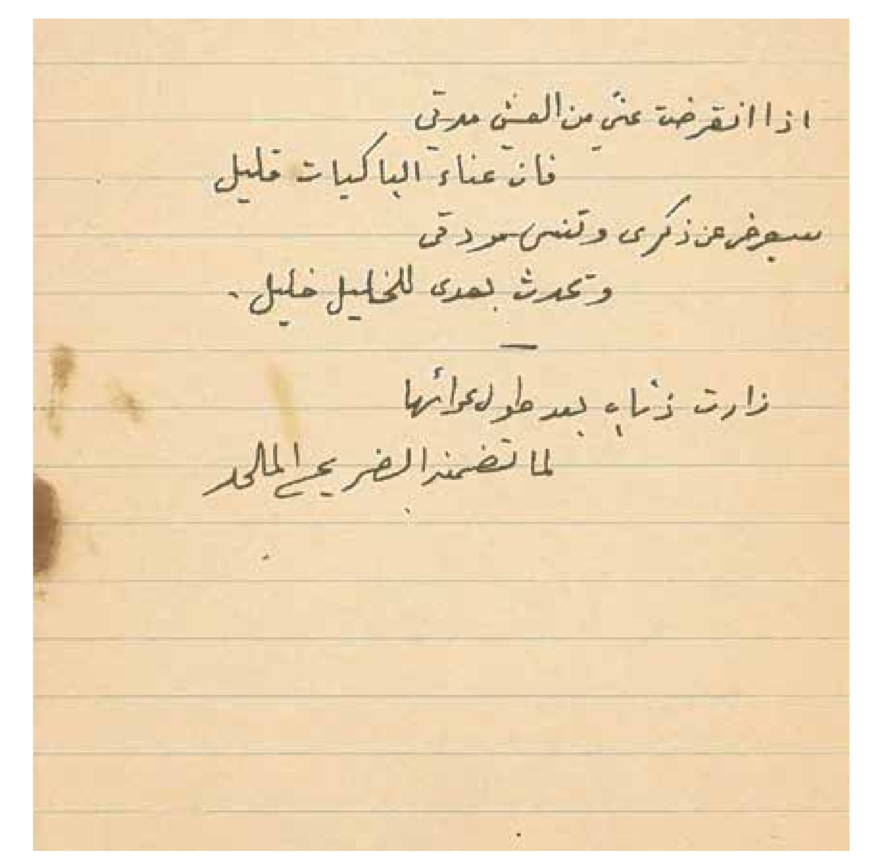
وعليه فإنَّه يطيب لمركز الوثائق التاريخية بمركز عيسى الثقافي أن يصدر هذا الكتاب الموسوم "**القاضي الأديب الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي، قاضي البحرين من ١٩٦٢-٢٠٠٩م**" لمؤلفه، عبد الناصر بن محمد الصديقي، حول سيرةِ الشيخ يوسف، وما قدَّمه من جهدٍ وبذلٍ وعطاءٍ في ميادين القضاءِ والدَّرس العلمي والشرعي والأدبي والدعوي.

الدكتور الشيخ خالد بن خليفة آل خليفة
نائب رئيس مجلس الأمناء
المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي

إذا انقرضت عني من العيش مدتي   فإن غـــنـاء البــاكيات قلـــيل

سيُعرض عن ذكري وتُنسى مودتي   ويحـــدث بــعدي للخلـيل خلـيل

شعر أبو العتاهية بخط يد أديبنا مكتوب في ورقة صغيرة



اذا انقرضت عني من العيش مدتي
فان غناء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل .

—

زارت ذكاء بعد طول عزائها
لما تضمنه الضريح الملحد

شعر الشيخ يوسف عن الزلاق

رعى الله بالزلاقِ قومًا أحبهم   ومسكنُهم قَلبي وإن كنتُ نائيا

إذا هبّ لي من وادي الضَبع نسمة   تدانتْ صباباتي وزادَ اشتياقيا

يوسف الصِّديقي

الحنين إلى القرية

مهداه إلى أصدقائي في قرية الزلاق

طوفوا على قرية الـزلاق واذكـروا صبًا لشطـآنهــا تـنـتـابـه الفِكَرُ
علـى شــواطئهــا غـــنت قيـاثـرة لحنًا من الحـب مـا غنـى به وتـر
سالت جوانحه بالشعر من صغـر فيها فيـا حبذا لــو يرجع الصَّغرُ
حـــتـــى أرود روابيــهـــا وأوديـــة تحت الجبال عليها الظل والشجر
إذا الـربيـع أتـاهــا همت منفردًا في السفح والسهل حيث العشب والزهر
أصـغـي لغمغـة الـغـدران مبتهجًا وحدي فيطرب منـي السمع والبصر
أرنـو وأنصت للقطعـان ثـاغـيـة في رقة تصعد الـــوادي وتنحـدر
يا حسنها في الربيع الطلق لاهية والعشب مـن تحتها يعلو وينهصـر
رؤيا من الحلم النشوان شـائقة يحار في الحسن من تصويرها النظر
منــابت وبطـــاح في مشــارفـهــا غنى الرعاة وماج السندس النضر
عـرائس الشعــر نــاغتني بتربتها طفلاً فرددت ما جاءت به السور
ملاحن مـن مــزاميـر مُـرتَّلــة وعيتها وضلـوعي مـلـؤُهــا خدر
البحـر يذكرني والـرمل يعـرفنـي حتى ولــو نـزحت بي عنهما المدر
صحبي هنالك في الزلاق ما برحوا على الوداد فما صـدوا ولا نكروا
أعيش في كل بيت مـــن بيـوتـهـم طـيفًا تعجب منــه الليل والسـر
روحـي تهيم بهـا ليلاً فيسـعـــده عند العشِّيات ذاك الـلهو والسَّمرُ
يا ذكـريـاتـي في الـــزلاق أي طلاً سـقيـتـنيه فـــزال الـهـم والكدر

رجعتني لعهود في الصبا سلفت والحر تسعده من قومه الذكر

رجعت طفلاً من الذكرى فقبلني من الوفاء لعهدي الرمل والحجر

ورحت أحمل حبات الرمال على يدي فيغسلها من دمعي المطر

وألمس الطين من دار وزاوية كمتعب هده في سيره السفر

أشم رائحة الماضي بتربتها طيبًا فيبهجني الماضي وأدكر

ويرجع الأمس لي في حاضري صورًا أكاد ألمسها لو تقرب الصور

حتى إذا أنا ما حدقت من شغفي فيها مليًا طوتها عني الغير

حسبي عذابًا من الذكرى إذا عتبت على نزوحي وإني اليوم أعتذر

أنا الوفي لها في كل نازلة دومًا وما غيرها لي في الدنى وطر

ففي مدافنها من معشري نفر ملت طيب حياتي عندما قبروا!!

توسدوا الرمل عني في مضاجعهم فهل ترى عوضتهم عني الحفر

غابوا وخلوا فؤادي في كآبته حيران تضرمه الأحزان والفكر

إذا حملت بهم في رقدتي برموا من العتاب وقالوا خصمك القدر

الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة

أبي الشيخ يوسف

بقلم الدكتور عبداللطيف بن الشيخ يوسف الصدِّيقي

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، والآل والصحب أجمعين، أما بعد،

فمازال والدي ماثلاً أمام ناظري بلحيته الغليظة المخضبة بالسواد والمرتبة ترتيباً جيداً بحيث تظل شعيراتها متماسكة ومستقيمة بقدر الإمكان وتبدو كذلك كأنها رسم جميل، وهي تفوح دائماً برائحة دهن العود أو المسك الزكيتين، أضف إلى ذلك ابتسامته التي لا تفارق شفتيه الغليظتين، ووجهه الخالي من خطوط التوتر والتعقيد، بل ذلك الوجه البهي المعبر عن البساطة والتواضع والتسامح في الوقت نفسه، ممسكًا كتابه بين يديه الناعمتين المبسوطتين دوماً، اللتين تعبران عن سخاء لا مثيل له؛ يقرأ سطوره بتمعن وتأن كاتماً صوته حينًا، وجاهرًا في حين آخر مرتلاً الآيات التي تتخلل صفحاته أو عندما يعجب بتعبير أو بيت شعر يريد حفظه، كل ذلك من خلال نظارته التي ألقيت على أرنبة أنفه. هكذا كان يقرأ والدي، فالقراءة عنده متعة وإدمان، لا يفارق الكتاب أبدًا، إن لم نقل الكتاب ذاته لا يريد الانفصال عنه حتى في مشفاه وفي سفره وفي شيخوخته.
و حرصه الشديد على الكتاب يتماشى مع قول القائل:

احفظ كتابك من أربعة: الهواء يمزقه، والماء يغرقه، والنار تحرقه، وطالب العلم يسرقه.

و كما كانت العلوم الدينية هي حرفته في الأساس كان الشعر مجاله الاجتماعي، بل والحيوي أيضاً؛ فهو لسانه النابض عندما لا يجد من الجليس أي سؤال متعلق بالفتاوى الشرعية أو أي سؤال عام، فإنه يطلق لسانه بأبيات من الشعر تناسب الحدث الذي هم بإزائه. وإذا كان جليسه شاعرًا أو أديبًا أو من يحفظ الشعر (الفصيح أو النبطي) تجده كله حماسًا واندفاعًا يبدأ أولاً ببيت أو بيتين ثم يترك المجال للجليس ليدلي ما عنده من أبيات وهكذا يستمر اللقاء، و يطول على هذا المنوال ساعات ولا يهدأ لهما بال حتى يفرغ كل منهما ما في جعبته .

كثيرًا ما يظل أبي صامتًا ويطيل السكوت، لا يتكلم إلا إذا سئل، وإذا سئل انفجر منه علم غزير،

ونادرًا ما يرجع إلى كتاب، وإذا أغلظ إليه أحد أثناء النقاش صبر عليه، فهو يجمع بشيء من الإمام أبي حنيفه والإمام ابن حنبل، وكذلك بشيء من الإمام الشافعي الذي يتمثله في صوته المرتل، الذي كله خشوع وإيقاع حزين تخالجه الرهبة من الخالق عز وجل. أضف إلى ذلك ما كان يحفظه من نثر شعري للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ أما أشعار الجاهلية فلها نصيب الأسد في ذاكرته ولا يخفى على القارىء الكريم ألفية ابن مالك في النحو والصرف وصفوة الزبد في الفقه الشافعي للرملي وغيرها.

وعندما أقول له ياشيخ، يرد علي:

زعمتني شيخًا ولست بشيخ   إنما الشيخ من يدب دبيبًا

و عندما آخذه إلى الطبيب في فحص أمر ما يمطره الطبيب بقائمة طويلة من الأدوية، استعمل هذا، واترك ذاك، وواصل على هذا في الأوقات كذا وكذا، فيرد والدي على الطبيب:

تكاثرت الظباء على خراش   فما يدري خراش ما يصيد

وأذكر في صباي عندما أطلب منه بعض النقود لحاجة ما، يرد عليّ بهدوء وكله ابتسامة: هاك المحفظة وخذ ما تشاء، وليس هذا الوضع معي فحسب بل مع إخوتي أيضًا. وعندما يهمّ أحد أفراد الأسرة أو الأقارب بالسفر يمدهم بالمال.

عندما غادر والدنا لطلب العلم إلى جامع الأزهر الشريف كنت وقتذاك في الرابعة من عمري، حيث تعهد جدي لأمي رحمه الله بتربيتنا، لأن جدتي لأمي رحمها الله كانت مشلولة الحركة نتيجة إصابتها بجلطة دماغية، هذا المرض الذي ورثته أمي رحمها الله فيما بعد - كما أعتقد ما للوارثة من دور- لأنها هي الأخرى داهمتها الجلطة نفسها في صيف ١٩٨٣. وهكذا عشنا في كنف جدي وكنا آنذاك أربعة إخوة.

و يقال إن الأحفاد هم أفضل من يكتبون السير الذاتية للأجداد، وها هو ابن أختي عبدالناصر بن محمد الشيخ عبدالله واحد من هؤلاء الذين تطوعوا؛ متحملاً عناء ومشقة كتابة هذه السيرة، وله منا جميعاً خالص التقدير والعرفان على ما بذله من جهد في إعداد هذه السيرة. كما لا ننسى

أن نقدم الشكر والتقدير لأفراد الأسرة الكرام على ما قدموه من اقتراحات سديدة كان لها الأثر الطيب في هذا السِّفر، وأخص بالذكر خالنا الوجيه عبدالحميد بن عبدالرحيم الصديقي أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية وكذلك خالنا عبدالرزاق بن محمد شريف الصديقي رحمه الله الذي وافته المنية أثناء إعداد هذه السيرة.

و ختامًا أرثي أبي ببيت من أبيات الشاعر المرحوم أمين نخلة عندما رثى الزعيم اللبناني رياض الصلح:

مـــا على الحب إن مضى الأحباب   تـــســـلـــم الـــذكـــريات والأســبـــاب

المخلص دومًا/ عبداللطيف

الزلاق، مايو(آيار) ٢٠٢١

حنين الماضي

حركاتٌ بريئة، وضحكاتٌ رقيقة، شقاوةُ أطفال، نفوسٌ راضية، وقلوبٌ مطمئنة، ثيابٌ متسخة بالوحلِ والتراب ولكنها تحملُ معاني الطهر والنقاوة.. وجوهٌ شاحبةٌ أحرقها شعاعُ الشمس اللاهبة، ولكن ينبعثُ منها نور كالقمر في يوم بدره، يبدد الظلام نورًا، والعتمة سراجًا، غبار الطريق يرسم على وجوههم خطوطًا شاحبة، ولكنها ترسم مستقبل الحياة.. شُعورُ الفتيانِ والفتيات واقفةٌ مبعثرةٌ لا تَسمحُ للأمشاطِ بأداءِ واجبها، ولكنها مزهوةٌ بجمالها..

لعبٌ أمامَ الشاطىء على الرمالِ الحارقة في فصل الصيف.. السَّمومُ يحرقُ وجوهَهم.. وأجسادُهم تسبحُ بالعرق ولكن لا تسمعُ منهم تأففًا، ولا ضَجرًا ولا سَخطًا، تلك نفوٌس اختلجَ فيها الرضا بما قسم الله لها، إنها قلوبٌ عرفتْ معنى المحبة.

في الشتاء توقد النيران فيتحلق الناس حول (المنقلة) يطلبون دِفْأَها، وتمنحهم الشعور بالأنس ويتقاربون فتتقارب قلوبهم، ويتقاسمون كسرة الخبز أو قليلاً من التمر واللبن، فيشعرون بسعادة غامرة تملأ قلوبهم، وضحكاتهم لا معنى لها سوى شيء يعتلج بالنفس، والرضا الذي يكسب الإنسان سعادة أبدية، وسرورًا دائمًا.

تجمع الأخوة، محبة وتزاور، ومجالس بسيطة على ظلال الأشجار، أو على رمال البحر، أو (بسطة) قريبة من المسجد يقضون أوقاتهم بعد العصر حتى مغيب الشمس، وبعد أداء المغرب يسرع الناس إلى منازلهم الصغيرة حيث الراحة والهدوء والاستقرار. لا شيء يزعجهم، ولا مغريات تلهيهم، غير أذكارهم وتلاوتهم للقرآن، وأحاديث عائلية بسيطة.. ذكريات جميلة ينام الجميع في غرفة واحدة، يملؤها حنان الأم، وعطف الأب ، تمسح الأم بيدها على أجساد أطفالها، تتمتم بآيات كريمة تحصنهم من أعين الناس، ومس الشيطان، ثم ينامون على قصص من وحي خيال الأم،قصص العفاريت والجن، والبيت المسكون، وآذان الأطفال مصغية باهتمام شديد.. كل تلك الحكايات تدل على قلق العائلة على أولادها، وخوفهم المفرط عليهم، وكأنها تحميهم من غوائل الحياة، وتهدد الأبناء أن من لا يلتزم الصدق مع والديه، أو يرتكب محاذير فإن نتيجته الضياع. هدف الأسرة نبيل جدًا، وإن كانت تزرع الخوف في وجدان الأطفال، لكنها من أجل

المحافظة عليهم واحتوائهم. فالأسرة هي مدرسة تصنع قادة لديهم حب العمل والتحفيز، وطرد الكسل، وأن الحياة صعبة لا بد من جهد وعمل، وعدم التقاعس والكسل، بيئة ليس فيها من ترف الحياة ولعاعها شيء، ولكنها تزرع في نفوس صغارها أسمى معاني المتعة والروح والتضحية.

وفي القرية جامع واحد فقط، مزيتّه أنه يجمع أهلها كلهم فيه، ينبعث منه صوت الأذان نغمًا نشوانَ، بصوت هادئ جميل على الفطرية السليمة، بلا مكبرات مزعجة، وأصوات مفتعلة، التي تصم الآذان، وتربك الغافل. حين تسمع صوت الأذان في ذلك الوقت، وخاصة صلاة الفجر فإن الصوت يصب في أعماق نفسك، ويجدد إيمانك.. حين يقول المؤذن (الصلاة خير من النوم) تحس أنه يخاطبك أنت لا غيرك، وتنهض من مكانك وأنت مرتاح البال، تدفعك أشواقك وحبك لأداء فرضك، بعد أن أخذت قسطك من النوم بالليل.

روابط عائلية جميلة، أهل القرية يعيشون أسرة واحدة..متحابين متعاطفين.. حياة بسيطة.. وحركات عفوية.. وقلوب صافية بريئة. تسمع صراخ الأطفال وضجيجهم وقت الهاجرة، حيث وقت القيلولة- الذي دائمًا ما تحذر الأم أبناءها من اللعب في هذا الوقت - ولكن الأنس باللعب يلهيهم تحذيرات الأم وغضب الأب، فاللعب شيء مهم للصبيان، فلا قنوات ولا وسائل للتواصل الاجتماعي، فهي وسيلتهم الوحيدة للتفاعل مع الطبيعة، وتفريغ طاقاتهم، حيث الجري الذي يثير غبار الطريق، وأصواتهم التي يُعيِّرُ كلُ منهم صاحبَه بدلاً من اسمه. أما البنات فلعبهم يختلف، لعب يتناسب وتكوين البنت، ولهن خصوصيات لا يتدخل الصبيان في شؤونهن،حيث تلعب التربية دورًا جميلاً يتمثل في كون البنت هي أخت لك عليك أن تحافظ عليها. وربما اختلط بعضهم بعفوية وفطرة سليمة.

جميلة تلك القرية، جميلة بأهلها، جميلة بتجمعها، جميلة بمبانيها ذات الطين، وأبوابها الخشبية، وشوارعها المتعثرة، ودهاليزها الضيقة، تتناثر حبات الرمال على شاطئها، وقواربها الصغيرة والكبيرة تملأ بحرها بعيدًا عن الشاطىء.

تلك هي حال القرى في الزمن الجميل، لم يكن للعلم مكانةٌ إلا عند عدد قليل، ولكنهم يحملون إيمانًا راسخًا، وفكرًا منيرًا، وعقيدةً صلبةً قوية، ويحملون احترامًا لمعلميهم قلَّ نظيره، وإيمانًا

بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره، لذلك ملكوا الحياة وشعروا بحلاوتها وأُنسها، فعاشوا مطمئني البال، مرتاحي الضمير، لا يحملون همًّا، ولا ينغصون حياتَهم ولحظةَ سعادتهم بقلق المستقبل.

رحم اللهُ تلك الأيام، ورحم رجالاتها ونساءها، وصبيانها وصباياها، شيبانها وعجائزها. رحم الله أيامًا عشناها في أرض طيبة، وبيوت متلاصقة تحتضن بعضها، ترمز للحب والعشق.. عائلة واحدة، بضمير واحد وقلب واحد.. اليوم كبرنا، وتركنا الماضي، وأصبحنا رجالاً وفي سعة من العيش.. ربما كثير منا لا يهتم بماضيه، ولا يقف على أطلاله ويناغيه، يمر بجانب البحر دون أن يتذكر أمواجه، وقوارب الصيادين، يمر بجانب ترابها وأرضها دون أن يستذكر طفولته التي أودعها. وقليل من يتنهد أسفًا، ويحترق وجدانه كمدًا. وبعضهم أصبح غريبًا هائمًا لا يستذكر شيئًا، أو أنه طمس معالم الماضي من ذاكرة حياته فلم يعنه شيئ.

أدخل القريةَ وأتأملُ في الوجوه، وفي ملامح الصبيان، واختلسُ النظرات، فلم أعد أرى الوجوهَ هي الوجوه، ولم أعد أرى في ملامحِ الصبيان شيئًا من ملامحِ الأباءِ والأجداد. تغير كلُ شيء: العادات.. الابتسامات.. الوجوه الطيبة.. العادات الحسنة.. كلها تغيرت.. الابتسامات مصطنعة.. والوجوه عابسة.. والعادات مستوردة.. لم يبقَ شيء..حتى المعالم ادرست.. لم يبقَ إلا الاسم، وحتى الأشكال لم تعد هي، فقد أضحتْ أشكالاً بلا أرواح. البيوتُ خاليةٌ من سكانها الأصليين، أضحت أطلالاً تبكي ساكنيها، حتى أمواجَ البحر لم يعد لصوته زمجرة، ولم يعد مهابًا كما كان، أصبح باهتًا يخبو، بالكاد يصل إلى الشاطئ. والرمالُ المتماسكةُ الرطبة، الناعمةُ الندية، التي افترشتْ الساحلَ أمستْ يابسةً لا حراك بها.

هذا هو الماضي الذي عشناه ولم يعشه أبناؤنا، وسيعيش أبناؤنا ماضيًا غير ماضينا، وأسلوب حياة لم نألفه، ولكنهم هم سيألفونه حتمًا، فلكل أبناء ماضٍ يعيشون ذكرياته، ويتغنون بأمجاده، وإن اختلفت طرق معيشتهم، لكن حتمًا سيأنسون بماضيهم. وها نحن قد عشنا ماضينا وودعناه بكل مافيه من أفراح وآلام. ورحم الله من بقي منهم ومن مات.

حين تكون كهلاً، وقد شارفتَ الأربعين من عمرك لابد أن تَستذكر أيام الطفولة، أيام الشقاوة

والبراءة، أيامًا لا تشعر فيها بمحاسبة النفس والشعور بالمسؤولية، أيام الطهارة واللامبالاة، تلك الأيام تستذكرها لأنها رحلتّ عن عالمك وتتمنى عودتها وإن كانت تحمل آلامًا ومتاعبَ، لكنك تشعرُ بالحنين إليها، بشيء يعتلج في النفس، ويختلجُ في القلب ولا تعرف سرَ الحنين.

رأيت من المناسب أن آخذ القارئ إلى الماضي الجميل في هذه القرية، لابد لكل من عاش فيها أن يستذكر فيها طفولته، وخاصة جيل السبعينيات وما قبله.

عبدالناصر بن محمد الصدِّيقي / الزلاق/ البحرين - مايو ٢٠٢١م

المقدمة

إن الاهتمام بسيرة الضراغم، والعلماء الأماجد الضياغم، أمر لابد منه، لأنهم قدوتنا في الحياة، وسلوكهم منهاج علم، ونبراس هدي يضيء نوره للسالكين.

في كل زمان يُكتب عن أهل العلم ونضالهم، وعن تجربتهم وحياتهم، وعن تضحياتهم وآدابهم، كُتب عن الصحابة رضي الله عنهم وعن التابعين، وعن الأئمة الأربعة المهديين، وعن رجالات كل مذهب، وحتى عن المفكرين والفلاسفة والأدباء..إلخ، ولولا تلك الأقلام التي انبرت وتحفزت وكتبت لما وصل إلينا علم الرجال، ولا عرفنا مواقفهم وتضحياتهم.. تلك أنامل تحركت، وقلوب صافية بالهمة توهجت. وقد سخر الله لهذه المملكة رجالاً مخلصين، وأوفياء بارين، كتبوا سيرة علماء البحرين، فبارك الله في جهودهم ورفع درجاتهم.

وأنا اليوم أسلط الضوء على شخصية فذة، تربعت على كرسي الشهرة والمعرفة، والعلم والتقدير، شخصية من أبرز الشخصيات في عصرها، وأعلاها مكانة واحتراماً في نفوس أبناء البحرين وهو الشيخ يوسف الصديقي. هذه الشخصية التي كانت محل تقدير من قبل حاكمها السابق الشيخ سلمان بن حمد الذي أحبه كثيراً بعد أن نظّم قصيدة تربو عن ألف بيت في سيرة ووقائع آل خليفة، ثم انتقلت تلك الرعاية والمحبة إلى ابنه الكريم الشيخ عيسى بن سلمان الذي احتضنه وأكرمه، وأنزله المكانة اللائقة به، لاقى من أدب جم، واحترام منقطع النظير، يحترم رأيه وفكره، ونال بذلك مجداً واحتراماً لدى الناس.

حين قررت الكتابة عن سيرة أديبنا وشيخنا لم أكن أود أجعل هذه السيرة بحثاً أكاديمياً، بحيث أرجع إلى المصادر والكتب، وإنما التقطت الأخبار من أفواه الرجال، ومن المذكرات والوثائق التي وقعت تحت بصري.

قد ينتقد البعض نقص المعلومات أو عدم استيفائها، وهذا ربما يكون صحيحاً، ولكن هذا ما اجتهدته، والنقص يكمله غيري أو يصححه أحد من الباحثين، فلم أُخلق لصنع الكمال، وإنما وجدتُ لأسعى إليه، ولأوقد شعلة من نار أضيئ بها للناس ليسيروا في درب التاريخ الوعر، ويوقدوا هم تلك الشعلة لتضيء لغيرهم وهكذا إلى أن يصلوا.

لقد قضيتُ الكثير من الوقت، وتبتلتُ في محراب البحث، أقلب صفحات التاريخ، وأوراق الزمان، لأصل إلى المعلومة .. أيام .. وشهور.. وسنوات أتواصل مع تلك الأوراق المهترئة، التي كانت تتحسس من الأنامل، وتفضل العيش بعيداً عن أعين الناس في دهاليز المكتبة، وما علمت أنها ستبدو - أي الأوراق - أكثر نضارة وجمالاً حينما نمسح عنها غبار السنين، وننفض عنها قَتَرة الحياة، لتبدو أكثر نصاعة وجمالاً، وابتهاجًا وإشراقًا، لقد أخفت تلك الأوراق نفسها عن العيون ولكن جاء اليوم الذي تبصر فيه نور الحياة ومتعة العلم.

لم تكن قريتنا قد أنجبت علماء سوى صيادين وغاصة وزُرّاع، ولم يكن لقرية كهذه - خالية من العلماء وتتصف بصعوبة التنقل لقلة ذات اليد - أن يتهيأ أحد صبيانها لطلب العلم ما يزيد على حفظ القرآن وتلاوته وشيء من الأدعية والأذكار، أما أن يبرز من بين الصبيان صبيٌّ ينال مكانة عالية، وعلمًا وافرًا، وفقهًا واسعًا، إضافة إلى كمال أدب وحلاوة شعر، فذلك ما لم يدر في خلد أحد.

إن المحيط الذي عاش فيه صاحب هذه السيرة لا يؤهل أحدًا أن يبلغ مبلغ العلماء، ولم يكن ببيئة مقنعة لنفس تطمح إلى العلم ونور المعرفة، وتواقة إلى العلم، فكان لابد من الانتقال إلى خارج القرية.

في تلك القرية رجال مخلصون، وأوفياء طيبون، رجال أذكياء بفطرتهم، وطيب قلوبهم ومحبتهم، رجال بمواقفهم، وبفطرتهم السليمة، كان فيهم الشعراء - شعراء النبط - الذين أكسبتهم الحياة علمًا وفطنة وحذاقة، ولكن ليس فيهم من كان يتلقى العلوم على أيدي الشيوخ والعلماء كما هي عادة أهل العلم في مكة والأحساء.

في هذه السيرة لن أكتب عن تاريخ هذه القرية، وإنما أكتب عن رجل سكن في قلب هذه القرية، وسمع دقات قلبها، وعاش بين حناياها وارتوى من معين عيونها، فكانت مأنس روحه، ومطمأن فؤاده، وعشقه الأول. أتمنى أن يستمتع القارئ بهذه السيرة، فسيرة أسلافنا هي تربية، وتجربة حياة، فيها الكثير من المتاعب، والعديد من الصعاب، فيها صبر ومصابرة، وجهد ومجاهدة، وقوة مراس، وإباء نفس، لكن حقًا فيها الكثير من السعادة، ذلك أن السعادة ليست في الرفاهية

والبسط في العيش، بل السعادة معنى لا يمكن حده أو حصره في مواقف معينة، لأنها أمور تختلج في النفس، فيحصل لها انبساط. لذلك خشونة العيش أكسبتهم الجد والعمل، يقول الإمام محمد أبو زهرة -رحمه الله-:« ..فإن النعيم المطلق قد يحدث طراوة في النفس لا يكون معها جد، فلا تتمرس بالحياة، ولا تذوق لذة العمل والجهد فيها، ولذة الفراق، وعنف الخصام، ويعرف حلو الحياة ومرها..»

وحينما نسرد قصة أو حياة إنسان كانت ملأى بالكثير من القصص والعبر، فإننا بذلك نربي أجيالنا، ونختصر لهم الحياة. قد يظن البعض أننا نسرد سيرة رجل عاش حياته كما عاشها الكثير من الناس ، أو نسردها لمجرد أنها سيرة ليعرفها الناس وتشتهر ويذيع صيتها، وليس الأمر كذلك، هذا الكتاب ليس (تاريخ حياة يوسف الصِّديقي) - وإن كان يحكي قصته- وإنما هو أيضًا فيه حياة غيره، فهو يجمع بين آثاره وخطواته على طريق الحياة، و خطوات غيره من الذين عاصرهم.

نهاية كان لابد لي أن أكتب بعد هذه السن، وكان لابد لي أن أُخرج ما في بطون المكتبة من مخزون أدبي وفقهي وتاريخي، وكان لابد لي أن أُعرِّف الناس على سيرة العلماء الأفذاذ، والأدباء الأنجاب، كنت أتهيب كثيرًا الكتابة، وما زلت لأنني أعرف أنها صعب المرتقى، لا أقوى على أن أعرف مفرداتها وأساليبها خشية أن أكون من أهل الزلل، أو أقع في شيء من الخَطل، كما أني لا أحب أن يطلع الناس على ما أكتب، كي أكون في فسحة من عقلي، وكما ورد عن يحيى بن خالد أنه قال: «لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا ، أو يصنف كتابًا». ولكن مع كثير من الإلحاح، وكثرة الكلام حصل لي شيء من الانشراح، في أن أكتب سيرة عالم طالما اشتاق الناس لمعرفة خفايا سيرته التي لم تتضح لهم بعد.

لقد استخرتُ، وأمضيتُ، وبالكتابة شرعتُ، وظلت تلك الدراسة حبيسة الأدراج مدة سبع سنوات، وآن لها أن تتنفس لتخرج إلى قرائها بعد أن لهيتُ عنها، وأخذتني مشاغل الحياة، فعسى أن تكون فاتحة خير. « **من لم يكتب فيمينه يسار** » (سعد بن العاص). « **إذا لم تكتب اليد فهي رجل** » (معن بن زائدة). ولا يفوتني هنا أن أشكر كل من ساعدني على إخراج هذا الكتاب، سواء بالمعلومة أو المراجعة أو الملاحظات أو الإخراج. فدعمهم كان خيرًا لي على إتمام عملي على أكمل وجه وأحسنه.

وإني لأضرع إلى الله الحق تعالى أن يوفقنا لتجلية شخصية هذا العالم القاضي الأديب، الذي يهز بنغمات شعره أعطاف القلوب، ويمتع الآذان ويطرب له المحبوب، ولولا فضل الله علينا ونعمته لما أخرجنا الكتاب ولا اهتدينا إلى التقاط خزائن المكتبة من نفائس وبقايا إرث، والاحتفاظ بها حتى وقتنا هذا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

السيرة الذاتية للشيخ يوسف بن أحمد الصدِّيقي

- **المبحث الأول**: اسمه ونسبه ومولده ونشأته وزواجه:
  - **المطلب الأول**: اسمه ونسبه.
  - **المطلب الثاني**: مولده ونشأته.
  - **المطلب الثالث**: زواجه.

السيرة الذاتية للشيخ يوسف الصدِّيقي

- **المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته وزواجه:**

- **المطلب الأول: اسمه ونسبه:**

هو أبو محمد يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالملك بن أحمد بن عبدالملك الصديقي التّيمي نسبًا، الشافعي مذهبًا، هذا نسبه من جهة الأب.

أما من جهة الأم فجده هو: محمد شريف بن محمد شريف بن عبدالرزاق بن محمد الصديقي، وهذا ما كتبه الشيخ بخط يده في مذكراته، وهذا ما سمعه من أجداده وأبيه وعمه، كما ذكره في مذكراته.

<u>كتب الشيخ يوسف في مذكراته عن نسبه:</u>

« وقد نزح أجدادنا الأقدمون من الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج العربي مع من نزح من قبائل العرب، كالأنصار والخزارجة والعباسيين والمرازيق وبني حماد والعبادلة، شأن غيرهم من القبائل، وقد استوطنوا السواحل ردحًا من الزمن، ثم تغيرت الحكومات العربية والإسلامية، وحل محلها الدولة الشيعية (١)، فرأوا ألا قرار لهم في بلد تضطهدهم الجائرة، فعزموا على الخروج وتفرقوا، فمنهم من نزح إلى السواحل العمانية، ومنهم إلى البصرة، ومنهم إلى الكويت، ومنهم إلى المملكة العربية السعودية، ومنهم إلى البحرين.

فأما جدي من أبي فنزح إلى البحرين، واستقر به النوى. وأما جدي الثاني من قبل الأم فنزح إلى السعودية أولاً، ثم عرج إلى البحرين ونزل بقرية عسكر، ثم نزح منها إلى حالة أم الشجر، ثم إلى الزلاق. وكان نزوحهم إلى البحرين في حدود ١٢٧٥هـ، ألف ومائتين وخمس وسبعين ».

وهو ما يوافق ١٨٥٨م.

١- وهي الدولة الصفوية.

- المطلب الثاني: مولده ونشأته:

تنفس الشيخ يوسف الحياة في قرية أم الشجر جنوب مدينة الحد بالمحرق عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، حيث الهدوء والصفاء، والفطرة السليمة، والأصالة العربية، وحيث القريحة العربية المتوقدة، وصفاء الذهن، والبساطة في العيش، الذي تكتنفه المحبة، ويشيع فيه روح التعاون والتعاضد والتكافل والترابط.

ولد الشيخ في أسرة تميزت بالعلم، وكان لديها الكثير من العلماء، فشبّ منذ صغره على ترتيل كتاب الله وسماع الحلقات العلمية، ودروس الوعظ والإرشاد، وأحاديث خير العباد من الأسانيد والصحاح وصدور العلماء.

وكان والده الشيخ أحمد قد عُرف بصلاحه وتقواه، وحرصه على التعلم، رغم صعوبة الحال، وقد كان إمامًا وخطيبًا لمسجد أم الشجر.

وأم الشجر كان يسكنها في ذلك الوقت قبيلة النعيم، وآل البوعينين، وقلة من السلطة وآل بورشيد وغيرها من العوائل.

ماتت والدته فاطمة بنت محمد شريف وعمره أربع سنوات، قبل أن يستشعر حنان الأم ودلالها ، فذاق طعم اليتم، وحرم من حنان الأم وشفقتها، فقاسى مرارة الوحدة ومضايق الحياة وقسوتها، وهكذا يصنع القدر، فيفعل فعله في الحياة، ويترك القلوب بجراحاتها، والنفوس بآلامها، فلا يميز بين صغير وكبير، وغني وفقير، أو بين صلب قاسي القلب وبين رقيق المشاعر هادئ الطبع. وربما ما يوغر في القلب أن يرى الطفلُ أُمهَ في هذه السن، وقد حُملت على أكتاف الرجال، يذهبون بها إلى غير أوبة، فلا يعلم لم حملت؟ وإلى أين؟ ولم هذا الحشد الكبير؟؟ و استعبرت عيناه مع من بكى عليها، وغص من آلام الفراق، وتوقفت الكلمات في لسانه، لأنه لم يعد يطرح أسئلة على من حضنته وفطمته.

قال الشيخ رحمه الله في مذكراته: « الإنسان في هذه الحياة، وفي معتركها يقاسي الحلو والمر، وفي طور الشباب عندما تنفتح عيناه يجتاز مراحل شاقة ، ولا يدري ما تخبئ له الأقدار، فقد

فقدتُ والدتي وقت الفطام، وفقدتُ الوالد في سن الخامسة عشرة ، واحتضنني جدي لأمي وجدتي لأمي حيث غمرتني بحنوها عليّ ».

ظل في حضانة جدته أم أمه مريم بنت أحمد، وجده أبي أمه الشيخ محمد شريف فعوضاه عن حنان الأم، فكانا يحدبان عليه، ويعتنيان به أشد العناية والرعاية، وكان جده فخورًا به يأخذه معه حيث ذهب.

كما اعتنت به الأم الفاضلة كريمة سلمان البوعينين - رحمهما الله- زوجة عبدالعزيز بن فضل البوعينين، وتدعى شيخة البوعينين ولديها من الأبناء كلثم ومريم ، حيث أرضعته، وعوضته عن حنان الأم، فكانت تحنو عليه، وتحبه كثيرًا كأحد أبنائها ، فكانت نعم الأم الرؤوم، فقد حافظت عليه وأعزته، بل إنه لم يشعر أنه فقد والدته بعد أن رأى منها هذه الرعاية والعناية.

ولم ينس الشيخ يوسف هذه الرعاية وهذا الحنان المتدفق فكان يبرها بزيارته لها، وكذلك زيارته لإخوانه وأخواته من الرضاع، وكان دائمًا يذكرهم بالخير.

ظل الفتى يوسف الصدّيقي في حضانة جدته وجده لأمه بعد وفاة والدته، ومكث في قرية الزلاق مع جده وأخواله، بعد أن أحضره إلى الزلاق من أم الشجر خاله من الرضاعة السيد سلمان البوعينين، الذي أخذه في سفينة صغيرة (جالبوت) من أم الشجر إلى الزلاق ليوصله إلى أخواله.

كان والد الشيخ يوسف (الشيخ أحمد) قد استقر في أم الشجر وتزوج بامرأة أخرى بعد وفاة والدة الشيخ يوسف، وأنجب من زوجته الثانية ابنة واحدة اسمها (فاطمة) وهي أخته الوحيدة، ولم يكن له إخوان. وكان الشيخ يوسف يذهب لزيارة والده في أم الشجر كل شتاء ليقرأ على يديه القرآن وهو لم يتجاوز السابعة من عمره. ولأن والده كان يحمل رصيداً من العلم والمعرفة فقد اهتم بتعليمه علومًا أخرى إلى جانب القرآن الكريم، فحفظّه شيئًا من "متن الزبد" وهي أرجوزة في الفقه الشافعي تزيد على ألف بيت، يقول الشيخ: "**وقرأت القرآن على والدي الذي وافاه الأجل في طور الشباب، فحفظت القرآن، وقرأته كما يقرأه أصحاب الكتاتيب آنذاك على طريقة مبسطة، غير مراعية أحكام التجويد ومخارج الحروف، وتعلمت الكتابة حسبما كان مألوفًا**".

ثم يشاء الله تعالى أن يفقد الشيخُ والدَه أيضاً في ١٢ ربيع الآخر عام ١٣٥٣هـ الموافق ٢٥/٧/١٩٣٤م عن عمر ناهز الثالثة والأربعين، وهو في سن الخامسة عشرة. وبرحيله يرحل وجه الأبوة، والسند الذي يتكئ عليه، والوتد الذي يحفظ استقرار الطفل، ويحقق أمنياته، ويلبي طلباته. ويقاسي مرارة الفراق ثانية، ويعاني أثرًا من الحزن المرير، والألم الممض، فكان قد حُرم عاطفة الأمومة، فالأب هو الذي يرسم على الفم بسمة صادقة، ويطبع على العين نظرة صافية، ولكن ما يعوضه عن ذلك جده الذي هو الشجرة الوارفة الظلال، والنبع الصافي الزلال، ومع ذلك فإيمانه رسم على ثغر الطفل ابتسامة متوهجة، وفي عينيه آمالاً متعطشة، تلك الآمال شغلته عن التفكير في مصابه بفقد الأبوين، فكانت نظرته أن يحمل ميراث النبوة، وأن يصبح عالمًا، حافظًا لكتاب الله عارفًا معانيه، وحافظًا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحينما رسم تلك الأمنية في قلبه، وأعظم الإرادة في نفسه، اشتدت إرادته، وأمضى عزمه، فانكب على الغوص في درر العلم، وشمر عن ساعد الجد.

- **جده الشيخ محمد شريف:**

هو والد والدته، كان شيخًا فاضلاً، وعالمًا مقدَّرًا، استقر به المقام بالزلاق بعد أن كان يسكن في حالة أم الشجر، وكان قبلها يسكن في قرية عسكر. كان إمامًا وخطيبًا بجامع الزلاق.

كانت الزلاق شأنها شأن بقية المدن والقرى، حيث لم تكن هناك مدارس نظامية سوى مدرسة الهداية الخليفية التي أنشئت عام ١٩١٩م، وكان الشيخ محمد شريف يتبع النهج التقليدي، وهو (المطوع) الذي كان يعلم الأولاد القرآن الكريم، وشيئًا من مبادئ اللغة العربية والعقيدة، وكان للشيخ محمد شريف الفضل الكبير في تعليم أبناء المنطقة، حيث اتخذ من المسجد وبيته أيضًا محلاً لتعليم أبناء القرية، واستطاع ببساطته وإخلاصه تعليم أهل القرية، فقد كان لوحده مدرسة بأكملها، استطاع تحفيظ الصغار القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ الدين، فكانت تنشئة صالحة بعيدة عن شبح الغلو، وأهوال التطرف الذي لم يكن يعرف في ذلك الوقت، بسبب التعليم الجيد، والتمسك بميراث الأجداد الذين ينتهجون منهج الأئمة المجتهدين ومن سار على هديهم، وكان لحافظ القرآن الكريم مكانة عند أهل القرية. ونستطيع أن نقول إن محمد بن شريف أسس أول مدرسة بالزلاق غير نظامية.

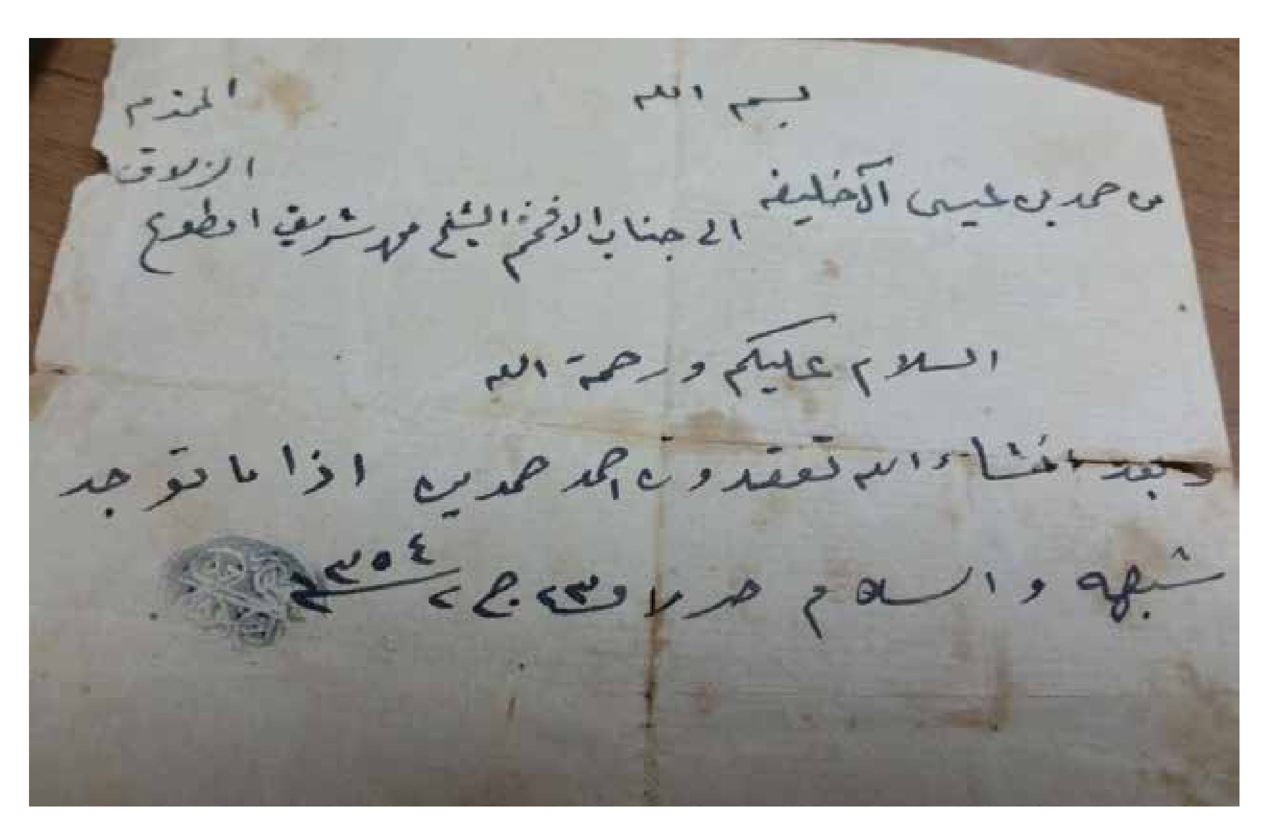
ثم أكمل مسيرة التعليم غير النظامي الشيخ يوسف بعد إنهاء دراسته من الأحساء، فكان له الفضل أيضًا في تعليم أبناء القرية قبل التعليم النظامي، وذلك في بداية الأربعينيات، وكان يعلم الناس في الجامع الصغير الذي بني عام ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م ثم وسع الرواق الخارجي مع تصليح منارته عام ١٣٥٩هـ، الموافق ١٩٤٠م.

كان الشيخ محمد بن شريف، يحظى باهتمام ورعاية الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين آنذاك، وكانت بينهما صلة ومودة، وكان يقربه الحاكم ويدنيه لمكانته العلمية وورعه ومعرفته بأحوال الناس، ويرجع إليه في الكثير من القضايا التي تهم البلاد من استشارات وغيرها. كما أنه كان المأذون الشرعي في تلك المنطقة، وكان لا يجري عقد النكاح إلا بموافقة من الشيخ حمد بعدم ممانعته من الزواج، وذلك لضبط حالات الزواج. وكذلك كان يفصل في حالات الطلاق وما يتبعه من أحكام.

وقد زاره الشيخ حمد في منزله بالزلاق مرات عدة، وهو مجلس الشيخ يوسف الحالي، وقد استقبله في حوش المنزل، وبسطت له السجاجيد (١) والفُرش.

وقد اطلعت على رسائل من الشيخ حمد بن عيسى موجهة إلى الشيخ محمد بن شريف، تفيد عدم ممانعته من زواج فلان بن فلان، ويترك أمر العقد بيده إذا لم توجد شبهة، بعد موافقة المرأة على الزواج. وتوفي رحمه الله في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ، الموافق ٦/٤/ ١٩٤٥م.

١- جمع سجادة ، سجادات وسجاجيد ، وسجاد.



بسم الله

المحترم

[illegible]

من حمد بن عيسى آل خليفة

الى جناب الافخم الشيخ محمد شريف المطوع

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد انشاء الله تعقدون على حمد حمدين اذا ما توجد

شبهه والسلام حرر في ٢٣ ج ٢ ١٣٥٤

(رسالة من الشيخ حمد إلى الشيخ محمد شريف بطلب إجراء عقد زواج)

- **المطلب الثالث: زواجه:**

يسر الله للشيخ الصدّيقي الزواج من ابنة خاله شريف محمد الصدِّيقي التي كانت له نعم الزوجة الصالحة، وكان ذلك في الخامس من ذي الحجة من عام ١٣٦١هـ، ١٩٤٠م وله من العمر إحدى وعشرون سنة تقريبًا، و أنجبت له ثلاثة من الأولاد- مات واحد وهو في سن صغيرة - وسبع من البنات-وماتت واحدة في سن صغيرة - هؤلاء هم ذرية الشيخ رحمه الله. ولم يتزوج غيرها، حيث لم يكن يميل إلى الزواج من ثانية، ويرى أن الواحدة هي الأصل وأن التعدد هو استثناء جاء لحكمة. وقد توفيت زوجته عام ١٩٩٩م، أي قبل وفاته بإحدى عشر عامًا.

وقد أرخَّ الشيخ يوسف لولادة أبنائه جميعًا بالسنة الهجرية، وذلك على غلاف أحد الكتب.

- **المبحث الثاني: طفولته وأصدقاؤه واعتلاء المنبر**

- **المطلب الأول: طفولته في الزلاق.**
- **المطلب الثاني: أصدقاؤه ومحبوه في الزلاق.**
- **المطلب الثالث: اعتلاء المنبر في الزلاق.**

- **المطلب الأول: طفولته في الزلاق.**

علّ القلم يستطيع أن يسعفنا ليرسم لنا صورة موجزة عن الطفل يوسف في قرية الزلاق، عن طفولة نهدت في لفائف اليتم، وقاست مرارة العيش، وقلة ذات اليد، عن طفولة لم تأخذ حقها من حنان الأم، ولم تستعذب حياة الترهل والراحة.. طفولة تعلمت شظف العيش، وخشونة المأكل والمشرب.. طفولة عرفت أن لقمة العيش لا توضع في الفم، بل لا بد من السعي والكسب في سن الصغر.. طفولة لا تعترف إلا بالمسمى، وإلا فهي رجولة في زمن الطفولة.

شب الطفل يوسف في القرية الهادئة الآمنة الوادعة المطلة على البحر، المسترخية في حضن الرمال، ذات البيوت الطينية المختلطة بشيء من القش وعُسُب النخيل، قرية تفتقر إلى مقومات الحياة، شحيحة بمطالب الحياة ووسائل العيش، قرية تصهرها الشمس إذا أشرقت في فصل

الصيف، ويجمدها البرد ﻓﻲ فصل الشتاء، فيثقلها المطر ويؤذيها، فيهدر الماء على مبانيها فيصدعها، وتوكف أسقفها فتجري المياه ﻓﻲ غرفها، ويزيد من مأساتها ظلمة الليل وحلكته، وبرودة الجو وشدته، وكان السد المسمى ب(الخريس) هو الذي يحميهم من مياه السيول وقت نزول المطر، وهو عبارة عن قناة تصرف مياه الأمطار إلى البحر، ونظرًا لقرب منطقة الصخير -وهي منطقة مرتفعة- من الزلاق فإن مياه الأمطار تتجمع ﻓﻲ الزلاق .أما الربيع فهو متنفسهم حيث يسرحون بالبُهم، يرتادون المراعي، وظلال الشجر، ومجاري الوديان ﻓﻲ المناطق القريبة منهم، فهم يقصدون مجمع الأمطار، ومساقط الغيث، ومنابت الكلأ، ويحرصون على جمع العشب، والفقع (الكمأة) ، فهي بحق بيئة جميلة تدعو إلى التفكر، وتزيد الإنسان شعورًا بالراحة والأناة مع صعوبة العيش والحياة، ولكن الإنسان يجد ﻓﻲ الطبيعة متنفسًا وراحة، ويعشق تلك المناظر فيحس بأنها جزء منه، ولأجله خلقت، ولكن ذهاب تلك الأماكن وعدم الاهتمام بها، أفسد قريحة الإنسان، وأكسبته البلادة، فلا يرى متنفسًا ولا راحة. (١)

إذا الــربيع أتاهــا همت منـفــردًا   ﻓﻲ السفح والسهل حيث العشب والزهر

أصغــي لغمغة الـغـدران مبتهجًا   وحدي فيطرب مني السمع والبصر (٢)

ﻓﻲ تلك القرية شب الطفل يوسف الصدّيقي متعلقاً بالبحر، حيث السكون ممزوج بعظمة البحر، وحيث الصعاب وقسوة العيش، ولكن للصعاب والمتاعب أثرًا ﻓﻲ نفس الإنسان، فهي تستنفر طاقاته الكامنة، فتولد منه النور والحكمة. وتلك القرية تسكنها بعض القبائل العربية من أمثال عائلة الغتم، والدواسر، والمطاوعة، والذواودة، والتنيب، والنعيمي، والكعبي، والرميحي، والبوسميط، والزعبي، وغيرهم، وهي قبائل تتميز بالطيبة والنشامة.

ﻓﻲ تلك السن كان كغيره من لداته يعشق البحر، ويتأمل زهوه وصمته، والبَر وجماله وعظمته، وكان قد انكب على حفظ القرآن الكريم، ولكن لم يكمل حفظه حتى غادر إلى الأحساء عام ١٩٣٢م.

١- والزلاق قرية صغيرة سميت بذلك كما يقول الأوائل لوجود صخرة كبيرة ملساء أو عدة صخور، كانت هذه الصخور ملساء، فكل من يقف عليها لا يكاد يثبت، بل تنزلق رجلاه، وإذا عدنا إلى المصدر اللغوي لكلمة الزلاق فإن المعنى يسعفنا ، فجاء ﻓﻲ لسان العرب، أنها : أرض مزلقه وزلَل وزلِق ومزّلق: لا يثبت عليها قدم، وكذلك الزلاقه، ومنه قوله تعالى: (فتصبح صعيدًا زلقًا) أي أرضًا ملساء لا نبات فيها، أو ملساء ليس بها شيء. قال الأخفش: لا يثبت عليها القدمان.

لسان العرب/ ابن منظورالجزء٤/٣٩٣

٢- قصيدة الشاعر الشيخ أحمد آل خليفة بعنوان الحنين إلى القرية.

وكان تعلقه بالمسجد شديدًا، يأخذ معه كتابه الذي وقع عليه بصره في مكتبة جده محمد شريف، وهي مكتبة ضنينة بالكتب والمراجع، ولكن بها من الكتب ما يشد به إيمان الإنسان، ويقوي لغته، ويعرفه أحكام دينه. كان المسجد هو المكان الذي يرتاح إليه ويقضي فيه ساعات طويلة في القراءة والحفظ. لقد كان الشيخ في صغره محباً للقراءة، شغوفاً بقراءة الكتب الدينية وكتب الشعر العربي، وكان يذهب إلى المسجد ليقرأ القرآن ويحفظه.

وقد أحب الشيخ يوسف قرية الزلاق حبًا شديدًا وأحب أهلها الطيبين، فقال فيها شعرًا:

رعى الله بالزلاقِ-قومًا أُحبهم ومسكنُهم قَلبي وإن كنتُ نائيا

إذا هبّ لي من وادي الضَبع نسمةٌ تدانتْ صباباتي وزادَ اشتياقيا

- **لزومه ارحمه الدوسري:**

لازم منذ صغره السيد ارحمه الدوسري (١) ، وتعلم منه الكثير، وحفظ أشعاره النبطية، وكان يجلس إليه ساعات طويلة، ويكتب ما يمليه عليه من الشعر، فتأثر بشعره، وأعجب به، ولازمه، فقد وجد فيه بغيته ومشاعره، وكأنه يخاطب وجدانه. وتميز شعر ارحمه الدوسري بالسهولة واليسر، والمفردات الجميلة، ودائمًا ما يأخذك شعره إلى محاسن الأخلاق، والتمسك بالدين، وعدم الاغترار بالدنيا، وشعره ينبو عن إحساس جم، ونطق من القلب قبل الفم، يسيل من إحساس مرهف، ومن خبايا قلب تكشف، وهذه هي صفة العرب الذين تميز شعرهم بهذه الصفات النبيلة، والخصال الحميدة، فقد كان الشعر هو المربي والمؤدب، والمعلم المجرب، وهو سحر العقول، وإدمان الإنسان عليه مجبول. وكان ارحمه طيب القلب، ذا أخلاق فاضلة، توفي رحمه الله وهو في طريقه إلى الحج.

١- وهو والد يوسف بن ارحمه رئيس الديوان الأميري إبان المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البحرين السابق رحمهما الله.

وقد كتب الشيخ يوسف بخطه العديد من أشعار ارحمه الدوسري أيام صغره، ومازال يحتفظ بها، ومن الأشعار التي كتبها قصيدة:

بسي من الغي سدينا الهوى بابه	جزنا وشمنا خلينا وأحبابه
من عاد في طرد غيات الصبا وأصبا	عز الله أنه ظلوم خاب في حسابه
يوم الصحف تنتشر والناس في معزل	فرايص ترتعد والويل يدعى به

وقصيدة:

عـزي العين حـرّق الـدمع موقهـا	عـافت لـذيـذ النــوم عيـا يبوقهـا

وقصيدة ردًا على قصيدة عبدالله بن جبر:

هلا مـــا هـل سحــاب غــوادي	تـرادف والتحــم وانهل مـاهـا

وقصيدة:

يا الله يـا عالم بما يخفى الثرى	يا من بأمر يجري النون والكاف

وقد طُبع كتاب (الوجد السري من أشعار ارحمه بن راشد الدوسري) بتحقيق الأخ الفاضل المؤرخ الأديب مبارك العماري، وقد كتب الشيخ شيئًا عن هذا الرجل يمتدح شعره، فيقول بعد أن ذكر نماذج من أشعاره: « **هل سمعتَ شعرًا مثل هذا الشعر الذي كثرت تعابيره وتصاويره، ودائمًا ما يلفت نظرك إلى التعلق بما يضم في حناياه من شوق وحنين؟!** ».

ثم قال: «شاعرنا هو من قبيلة الدواسر لا تحتاج إلى تعريف، إنها قبيلة تملأ السهل والوعر. ومحل ولادته الزلاق، هذه القرية التي عاش فيها وتربى بين حيطانها المبنية بالطين والآجر. وأما وفاته ففي عام ألف وثلاثمائة وأربع وسبعين هجرية، وهو في طريقه إلى أداء فريضة الحج، عن عمر ناهز السبعين عامًا، فرحمه الله رحمة واسعة». ثم قال: «هذا الشاعر الذي عاصرته وعاشرته رغم حداثة سني، قد رأيت من الواجب عليّ أن أكتب عن هذا الشاعر

العزيز الذي له الفضل في تحبيبه لي الشعر النبطي الذي حفظت الكثير منه أيام الشباب من شعره ومن شعر غيره، لا سيما وقد خلّف ابنًا عزيزًا عندي، كبيرًا في عيني وهو الأخ يوسف بن ارحمه رئيس الديوان الأميري أرجو له التوفيق والسداد».

- **لزومه عبدالله بن جبر الدوسري:**

كذلك لازم الشيخُ الوجيهَ عبدالله بن جبر، وهو رئيس ديوان سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة رحمه الله حاكم البحرين الأسبق، وكان عبدالله بن جبر قد بنى بيتًا واسعًا، ذا تصميم عجيب، واسعًا رحيبًا، على ساحل الزلاق، بُني في غاية من الروعة والجمال، ولايزال البيت موجودًا لكنه مهجور. كان الشيخ يزور عبدالله بن جبر، ويسمع منه قصائد النبط التي كان يحفظها، وعنه أخذ فنون الشعر النبطي من نظم وإلقاء، وحسن اختيار الكلمات. وكان الشيخ يوسف محبًا حبًا شديدًا لـ عبدالله بن جبر، حتى أنه أرخ للسنة التي حج فيها هو وعائلته، وأنها كانت في عام ١٣٥٩هـ، الموافق ١٩٤٠م.

وقد كتب بن جبر بعض القصائد النبطية لكنها لم تنشر، ولاتزال محفوظة في مكتبة الشيخ، ومن قصائده النبطية:

عيني جرى من حجرها الدمع مسكوب	كالوبل ما يفصل احقوق اجماحه
كأن في حضناها ذاعر الشب مذيوب	والتوت والزنجبار فيها حكامه

وهي قصيدة من (٢٧) بيتًا. ومما كتبه عبدالله بن جبر قصيدة جميلة تُبكي العيون، قالها لما تُوفيت زوجته.

يا ركب عوجو بالصرايم اعنوقها	مراعيب نجب اقهر ولي طفوقها
قدر ما انتظم بالسجاله رسالة	ابراس المنحف والهجن ما نعوقها
إلى من ركب القوم لجت ضمايري	لجيج البحور اللي هواها يسوقها

إلى أن قال:

تـفـكـر ثـرا امس امحـال اردوده	وليلة اقبيل امس من صعب لحوقها
إذا كان مـــــا خلد نبينـا محمد	فللمـــوت كاسات وكل يـــذوقـــه

وهي قصيدة من(٤٣) بيتًا.

وفي الحقيقة يتميز هذا الرجل بكرمه وحبه للناس، وترك ذرية طيبة. وقد مدحه العديد من شعراء العربية والنبط، من أمثال علي بن عبدالله، وحميد بن خرباش، وحسن بن صالح، ومبارك بن مسعود، وعلي بن محمد بن قمبر، وعبدالله بن محمد بن يعقوب، ولحدان بن صباح الكبيسي، وتلك القصائد محفوظة في مكتبة الشيخ، وسيكون لها ديوان مطبوع بإذن الله.

- **المطلب الثاني: أصدقاؤه ومحبوه في الزلاق:**

كان للشيخ أصحاب أحبهم وأحبوه، لعب معهم، وقضى طفولته البريئة بينهم، وهم:

- **الوالد الشيخ إبراهيم بن سلمان الغتم**، رحمه الله تعالى، صديق الطفولة والشباب والكهولة، كانت بينهما مزاورة ومحبة وتعاون، عاشا أخوين متحابين. يتميز الوالد إبراهيم الغتم بقوة حافظته، وحبه للعلم، ومحبته للناس وإكرامهم، ومجلسه مفتوح عامر بمحبيه، كما أنه رجل صالح محافظ على صلاة الجماعة، وهو يحفظ الكثير من الشعر العربي والنبطي، ويأنس كل من يجلس إليه لطيبته وخفة روحه. وقد وقف الوالد إبراهيم بن سلمان مع الشيخ يوسف في الكثير من المواقف، فمن تلك المواقف أنه كان يقوم على خدمة أهله وأولاده حين كان الشيخ يدرس بالأزهر، فلم يبخل عليهم بشيء من احتياجات البيت. ومكانته أكبر من نذكرها في هذه الصفحات، ولد رحمه الله عام ١٣٣٤هـ و توفي رحمه الله ٢٠٢٠م.

- **مبارك بن سلمان الغتم**، وهو أخو إبراهيم، كذلك تميز بطيبته ومحبته للناس، ومجلسه كذلك عامر بالناس، ولا يزال، وقد توفي رحمه الله تعالى. وكذلك أخوه عيسى بن سلمان، الذي كان جارًا للشيخ يوسف.

- **عبدالرحمن المطاوعة**، تعلم معه القرآن الكريم، وكان دائم التردد إليه في بيته، ويؤم المصلين بعض الأحيان وصوته هادئ جميل. وكانت أمه الفاضلة عائشة بنت يوسف محفظة القرآن، وهي امرأة صالحة، كان لها الفضل في تعليم القرآن الكريم لأبناء الزلاق، وهو واحد منهم. كما كانت الفاضلة فاطمة زوجة محمد بن شريف جدة الشيخ يوسف محفظة للقرآن الكريم وهي امرأة صالحة ذات شخصية قوية. ومن محفظات القرآن الفاضلة لولوة بنت شبيب الرميحي رحمهم الله جميعًا.

- **الشيخ الفقيه الملا محمد أحمد كمال** إمام جامع الزلاق وخطيبه، لمدة تربو عن أربعين سنة، كان فقيهًا شافعيًا، اشتهر بورعه وزهده، وكثرة صلاته، ومحافظته على صلاة الجماعة في المسجد، كان طيب الخلق،كريم النفس، محبًا للخير، يحبه الناس لطيبته، وحسن تعامله. درس العلم على أيدي فقهاء فارس وعلمائها. وكان صاحب دكان يبيع فيه كل ما يحتاجه أهل القرية، وكان سمحًا في بيعه، صبورًا على الأطفال وطلباتهم. كنت كلما دخلتُ عليه (الدكان) كان يقرأ في كتب الفقه، أو يذكر الله تعالى. ولد عام ١٩١٤م في جزيرة (قشم) وهو من بيت علم ومكانة، توفي في عام ٢٠٠٧م ودفن بمقبرة الزلاق رحمه الله .

- **سعود بن جبر الدوسري**، كان كثير التواصل معه، يخرجان دائمًا إلى البر للنزهة، كان الشيخ يحبه كثيرًا ويقدره ويحترمه، ويأمنه على الكثير من أسراره، وكان كريم النفس، يحب الخير للناس، ويده ممدودة بالعطاء، يصل الناس، ويكثر من زيارته لهم، وابنه بدر بن سعود نائب بمجلس النواب، ولديه ابن آخر هو عبدالعزيز، وسعود هو أخو عبدالله بن جبر، رحمه الله.

ومن أصدقائه أيضًا: سالم بن راشد الدوسري وهو متحدث لبق، وابنه (صباح).

وراشد بن جهام الزعبي، وله روح مرحة. وجمعة بن خميس، كان يبعث للشيخ يوسف بالرسائل حينما كان يعيش بالكويت، وله أبناء أوفياء هم: محمد وعيسى وعبدالله وجمعة .

راشد بن حماد الدوسري، وابنه حمد وحماد بن عبداللطيف، ومحمد بن سعيد الدوسري، وسعد بن مبارك، ونصيب بن محبوب، وفهد بن مرداس ، وأحمد بن راشد الدوسري، وأحمد بن

عبداللطيف الدوسري ، وجمعة بن خليفة الدوسري، وحسن بن حسن الدوسري [١] ، والشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، ويوسف المطاوعة، ومهنا بن إدريس، ونصيب بن محبوب، وأحمد بن راشد الدوسري [٢] ، وثامر بن سعد الدوسري، وماجد بن عبدالله الدوسري، ويوسف بن عبدالله الدوسري، وأحمد بن يوسف الدوسري، وشجاع بن جاسم المريخي مؤذن جامع الزلاق الشمالي، وفهد بن مرداس الدوسري شاعر وإمام مسجد الزلاق الجنوبي، شغل منصب مختار الزلاق، وابنه فارس، وفيحان بن صالح الدوسري، وخليفة بن حمد النعيمي، وراشد بن زيد الزعبي، وراشد بن مناحي المريخي، وعيسى بن عبدالوهاب التنيب، وعيسى بن مرزوق، وناصر بن حسن، وغيرهم رحم الله الجميع.

هؤلاء أصحابه أيام الطفولة في الزلاق ولا شك أن هناك أصحابًا كثر، ولكن هذا ما أذكره. ثم بعد ذلك كانت له صحبة مع العديد من الشخصيات سيأتي ذكرهم في الفصل الخاص بأصدقائه. وحينما سألت أحد رجال الزلاق عن أصحاب الشيخ يوسف قال لي: كل رجالات القرية هم أصحابه، فمجلسه اليومي كان مفتوحًا للجميع وكان يتعاطى الحديث مع الكل دون تمييز، وكان محبوبًا لديهم.

- المطلب الثالث: اعتلاء المنبر في الزلاق:

لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره حين ارتقى المنبر، كان جريئًا، ومحبًا للعلم، فثقافة الجد الشيخ محمد شريف غرست حب العلم في نفس الطفل، وكان قد تأثر بجده تأثرًا كبيرًا، فكان يحاول تقليده، فاكتسب مهارة الخطابة منه وهو في سن صغيرة، كان يستمع إليه وهو يخطب بصوت عالٍ، حيث لا مكبرات صوت في ذاك الوقت، ولكنه كان يُسمع من بآخر المسجد من قوة صوته.

١- كان من أوائل الناس الذين أدخلوا السيارة في الزلاق، كان مرحًا خدومًا، بارعًا في سياقة السيارة، وكان لا يتوانى عن مساعدة الآخرين وتوصيلهم.

٢- أحمد بن راشد كان يحب الشيخ كثيرًا، ولكونه من أوائل الناس الذين حصلوا على رخصة سياقة، قام بشؤون الشيخ يوسف، حيث كان قد عمل معه سائقًا، فكان يوصله إلى عمله، وكان خدومًا رحومًا كريمًا. رحمه الله تعالى.

فَسَحَ جدُّه المجالَ للطفل الصغير أن يرتقي المنبر بعد أن وجد فيه القدرة والجرأة على ذلك. فصعد أول عتبة المنبر في جامع الزلاق، وكله ثقة وإقدام، لم يكن مترددًا أو مرتجفًا، بل كان مقدامًا شجاعًا، تسبقه أشواقه وحبه إلى ارتقاء المنبر. فصعده وألقى خطبته بثقة تامة، لا يذكر شيخنا أول خطبة خطبها، ولكنه يذكر أنه كتبها وألقاها مكتوبة.

ويذكر أنه حضر خطبته الشيخ علي الأنصاري إمام جامع الشيوخ بالصخير، فكان وهو يستمع إلى الخطبة يهز رأسه، وكان يجلس بجنبه خاله محمود، فلما رأى أن الشيخ علي يهز رأسه، فرح خاله بذلك، فلما انتهت الخطبة قال خاله محمود للطفل يوسف: لقد رأيتُ علامةَ التعجب في وجه الشيخ علي، ورأيت اهتزاز رأسه، فقال الشيخ يوسف لخاله: لقد هزّ الشيخ علي رأسه من كثرة ما لحنتُ في خطبتي.

فيقول الشيخ يوسف: بعدها دعاني الشيخ علي إلى تعلم اللغة العربية، فكنت أذهب إليه يوميًا من الزلاق إلى الصخير مشيًا على الأقدام، حتى انتهيت من دراسة كتاب الأجرومية في علم النحو، وهو كتاب لا يستغني عنه طالب العلم في بداية طلبه، يكسب الطالب مهارة عالية في النحو رغم صغر حجم الكتاب.

- **المبحث الثالث: رحلته إلى طلب العلم، وفيه ثلاثة مطالب:**

- **المطلب الأول: رحلته إلى الأحساء**
- **المطلب الثاني: رحلته إلى الأزهر الشريف**
- **المطلب الثالث: عودته من الأزهر الشريف والالتحاق بالعمل**

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والأحاديث الواردة في الحث على طلب العلم كثيرة، والأجور فيها عظيمة، والعلم شرف المسلم، ومنهاج المؤمن، وهو النور الأبلج، والضياء المبين. وشرف العلماء عظيم، ومحلهم في نفوس الناس كبير، كيف لا وهم ورثة الأنبياء، فبهم تحفظ الشريعة، وتصان العقيدة، وهم أطباء القلوب، كما للأبدان أطباء، " فإنما شفاء العيي السؤال " (أبوداود). لذلك شمر أهل الفكر والنظر، والحس والبصر، شمروا عن سواعد الجد، وثابروا في طلب العلم بجد واجتهاد، هجروا الرقاد، وجفى عن عينيهم النوم والسهاد، بالإصرار والعزيمة والإقدام، فتركوا الأوطان، وهجروا الخل والإخوان، تغربوا وضحوا وجاعوا من أجل فريضة العلم، بذلوا ما في وسعهم أن يبذلوه، واجتهدوا، وحفظوا، فنالوا منزلة أهل العلم بالصبر والمصابرة، والجد والمثابرة. كان طلبهم للعلم شوقًا وإقدامًا، ومحبة وإيمانًا، وطاعة يتقربون بها إلى ربهم الرحمن، لا كسل، لا تهاون، لا تذمر، لا شكوى وتبرم، وإنما طلب ابتغاء وجه الله، لذلك كان عليهم سمة أهل العلم والصلاح، فتجد الواحد منهم من ذاك الرعيل على سعة من العلم والمعرفة في شتى العلوم حتى في الفلك والحساب والطب، ما من علم إلا وتعلموه، ولا يقع في أيديهم كتاب إلا وقرؤوه. وكان الشيخ يوسف من هذا الرعيل. وفي هذا المبحث نتكلم عن رحلته إلى طلب العلم على الوجه التالي:

- **المطلب الأول: رحلته إلى الأحساء:**

كانت الأحساء القلعة العصماء، والشعلة الحمراء، يفد إليها طلبة العلم من كل حدب وصوب، وهي المنارة التي يهتدي إليها الناس، فقد اشتهرت بأنها منبع من منابع العلم والفكر والثقافة، واشتهر أهلها بالطيب والإخلاص، ومحبتهم للناس وإكرامهم. والأحساء مدينة عريقة بالمملكة

العربية السعودية لها اسم وتاريخ، اشتهرت بكثرة علمائها، وكان الطلبة يفدون إليها من الخليج وخارجه، كاليمن والهند، ينهلون العلم من معينه، من علمائها الأفذاذ. والأحساء هي قبلة طلاب العلم من البحرين، يشدون الرحال إليها، ليأخذوا العلم عن علمائها في المدارس الأهلية والأربطة، وهي موقوفة لطلبة العلم.

يقول شيخنا السيد علي الهاشمي حفظه الله : " لقد كانت الأحساء على مدى قرون ثلاثة وحتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، وهي منارة للعلم، وكعبة لطلابه يأتي إليها الراغبون في علوم الدين من بلاد شتى، ومن مختلف مناطق الخليج وبلدانه، ومن الهند وأفريقيا، وتركيا، والعراق، وفارس، وفيها من الأربطة، التي تشمل على غرف كبيرة للدراسة، وغرف للنوم والإعاشة، فهي بمثابة الأقسام الداخلية لمن لا سكنى له في البلد، ومن أكبر هذه الرحاب العلمية رباط الكوت، ورباط الصالحية، ورباط الرفعة، ومن هذه الرحاب يأخذ طلاب العلم ما يؤهلهم للإمامة والخطابة ومنصب القضاء. وتصرف على هذه الأربطة التي هي بمثابة الأروقة في الأزهر الشريف بمصر، من ريع الأوقاف التي حبسها أهل الخير من العلماء والتجار والأمراء الصالحين" . (١)

وإذا ذكرت الأحساء ذكر معها الكرم، وذكر معها العلامة الورع، والتقي الزاهد، والنقي العابد، ذو الأفضال العديدة، والمناقب الحميدة، الرجل الذي ذاع صيته في الآفاق، واشرأبت إليه الأعناق، العالم العامل الشيخ محمد بن أبي بكر الملا رحمه الله تعالى.

وهناك بعض العوائل في الأحساء اشتهروا بالعلم والفضل، بهم كعائلة الملا، وآل مبارك، وآل عمير، والدوغان، والعرفج، وغيرهم. وقد اتصل الشيخ يوسف بهم، وجلس إلى علماء الأحساء، وتواصل معهم، وحضر مجالسهم واستمع إلى نصائحهم وإرشاداتهم، خاصة عائلة آل مبارك الذين تواصل معهم وأحبوه، منهم الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وذكر الشيخ في مفكرته أنه توفي في يوم عرفة من عام ١٣٦٠هـ وكان عالماً فصيحًا قوي الحجة عاملاً بعلمه. كما ذكر الشيخ في مفكرته وفاة الشيخ صالح آل مبارك، وأنها كانت « في ٣ **ربيع الثاني من عام ١٣٦٢هـ**

١- سماحة السيد علي بن عبدالرحمن الهاشمي، الشيخ القاضي الرئيس قاسم المهزع وحياته العلمية والعملية.

في المحرق، وأنه كان من العلماء المعروفين بالزهد والصلاح، وكان بكاءً من خشية الله، وكان ملازمًا على قيام الليل، وقراءة القرآن والأوراد، وكان هو الخطيب لجامع حالة المحرق رحمه الله رحمة واسعة».

كما التقى الأديب الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي، وكان مولعًا به ولعًا شديدًا، معجبًا بأشعاره إعجابًا كبيرًا، لما تتميز به من الخفة، وعمق المعنى. وقد أرخ الشيخ لوفاته بقوله: " **توفي العالم الفاضل، النبيل العالم، حضرة الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي، القرشي نسبًا، المالكي مذهبًا، الأحسائي بلدًا، في ١٩ شعبان ١٣٦٢هـ، وكان رحمه الله من العلماء الموصوفين بالزهد والورع، ملازمًا على صوم يوم وإفطار يوم، وعلى تلاوة القرآن والأذكار ليلاً ونهارًا، وكان رحمه الله ذا همة وغيرة، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وكان من جملة المنكرين على بعض الملاحدة. صفته رحمه الله، قصير القامة، نحيف الجسم، طويل اللحية خفيفها** " .

وكان لطلبة العلم من البحرين نصيب في نهل العلم من مدينة الأحساء، وكان للشاب يوسف حظ ونصيب في نهل العلم من ينابيعه الدفاقة، ومعايينه العذبة الرقراقة. فشد مئزره، وحمل متاعه، وودع أهله ورفاقه، وهو في سن صغيرة في الثالثة عشرة، وذلك عام ١٩٣٢م.

يقول الشيخ في مذكراته: " **فلما بلغتُ الثالثة عشرة من العمر حبب الله إليّ العلم، لأن أهلي وأجدادي لهم الباع الأطول في علوم الشريعة، فرحلت إلى الأحساء، وكانت الرحلة من البحرين إلى الأحساء شاقة، وإن كانت المسافة قليلة** " . **ويضيف:** " **والأحساء هي التي تلقب بهجر، وكانت الأحساء آنذاك مصدر العلم والعلماء تضم بين جنباتها من كبار علماء الحنفية والمالكية والشافعية، وهم ممن يشهد لهم التاريخ بالعلم والصلاح والتقوى والورع والزهد في زخارف الدنيا** " .

وقد بعث به عمه الشيخ عبدالله بن محمد الصدّيقي إلى الأحساء ليدرس العلوم الشرعية وذلك لِمَا رأى منه من قوة في الحفظ وذهن سيال، وحافظة متقدة، فكان رحمه الله ما أن يسمع شيئاً ويحبه إلا ويعلق بذهنه، ويحفظه عن ظهر قلب، مما أتاح له أن يحفظ الكثير من المتون وأصول الكتب.

وكان عمه قد اعتنى به عناية كبيرة منذ صغره، فكان بمثابة الوالد والمربي والمعلم الأول، وأحبه كثيرًا، لما رأى منه من الحرص على الطلب، والإقبال على العلم، وتعلقه بالقراءة، وحب المطالعة والاستزادة، ولم يكن كلداته يهوى اللعب والصيد وركوب البحر، بل كان يسأل عن الكتب من عمه، حيث كانت له مكتبة عامرة بالكتب، كان يشتريها أثناء سفره إلى مكة التي كانت محط العلم والعلماء. وقد امتدحه عمه برسالة بعث بها إلى صديقه الشيخ محمد أبوبكر يوصي فيها بقبول الولد (يوسف) بقوله: "وإن رأيتم فيه الاستطاعة ألزموه على حفظ القرآن الكريم، لأن الظاهر من أحواله عنده قوة الحافظة".

غادر الفتى قريته التي عشقها بفكر متفرغ، وقلب واعٍ متشوق، غادر وأشواقه تسبقه إلى طلب المزيد، والالتقاء بالعلماء الذين طالما حلم بهم، ومنّى نفسه الالتقاء بهم، وثني الركب أمامهم، غادرها وهو حديث السن، ولكنه رصين العقل، نافذ الفهم.

كانت رحلة الشيخ إلى الأحساء بحراً، فتوجه من الزلاق إلى المنامة برًا، ثم ركب البحر من الفرضة إلى منطقة العجير بالمملكة العربية السعودية، ومنها إلى الأحساء برًا على ظهر حمار. وتستغرق الرحلة تقريبًا من يومين إلى ثلاثة أيام. وفور وصوله توجه إلى رباط الشيخ محمد بن أبي بكر الذي كان قد تسلم رسالة من الشيخ عبدالله الصديقي (عمّ شيخنا يوسف) يطلب منه فيها أن يحرص على تعليم يوسف الصبي العلوم الشرعية، ويضمه إليه في سلك التدريس، وطلب منه أيضًا أن يأمر الشيخ يوسف بأن يواظب على حفظ المتون، وألا يخرج إلى السوق أو إلى أي مكان آخر.

نص الرسالة: "**... وبعد أرسلنا الولد يوسف بن أحمد ولد أخي المرحوم إليكم، وقصده العلم، أرجو أن تقبلوه، وتنظموه في سلك تلامذتكم، أرجو الله أن يستقيم ، ويواظب على الدروس حسب أمركم، ومأذون لكم في تأديبه وضربه، ومنعه من الخروج إلى السوق أو إلى أي مكان آخر، ومن مصاحبة غير الجنس، وإن شاء الله يسمع قولكم، ولا يخالف أمركم، أرجوكم أن تأمروه على مواظبة الجماعة، والمداومة على الرواتب، وأن تكلفوه على حفظ بعض المتون، مثل (الزبد) لابن رسلان في الفقه، والتعارف في النحو، والأمثلة في الصرف، وإن رأيتم فيه الاستطاعة ألزموه على حفظ القرآن، لأن الظاهر من أحواله عنده قوة**

الحافظة، وإن شاء الله من بركاتكم يتعلم ويواظب على الدروس، وهذا ما لزم والباري يحفظكم " . (١)

من يقرأ هذه الرسالة يدرك أهمية طلب العلم لدى العلماء السابقين، وأن العلم هو من يصلح سلوك الإنسان ويهذبه، وأن العلم لا يُنال إلا بالجد والاجتهاد والتضحية. وأنه مقابل ذلك لا بد أن يتخلى عن الدنيا وملذاتها، كيف لا والشاعر يقول:

أخـي لـن تنـالَ العلمَ إلا بـستـة   سـأُنبيك عنهـا بتفصيـلِ بيـانِ
ذكاءٌ وحـرصٌ واجـتـهادٌ وبُلغـة   وصحبــةُ أُستـاذٍ وطـولُ زمـانِ

ونرى في الرسالة ما كان يحرص عليه العلماء السابقون من إسناد مهمة تعليم أبنائهم لمعلم عالم، ومربٍ فاضل، ويترك له حرية التصرف واختيار الطريقة المناسبة للتعليم، حتى لو تطلب الأمر ضرب الابن ومعاقبته، من دون أن يتدخل الأب أو الأهل في ذلك، لأن غايتهم كانت هي التعليم والمعرفة والتربية، ولا يتحصل ذلك إلا بمنح المدرس الصلاحيات كلها. كما أن ثقتهم الكبيرة في المعلم هي التي جعلتهم يوكلون إليه الطريقة التي يرونها مناسبة في التعليم.

كما أرسل الشيخ محمد إلى الشيخ عبدالله رسالة يطمئنه فيها على الابن يوسف وحرصه على الطلب، وقد كتبت بخط جميل، ونص الرسالة:

« ..والباعث لتحريره هو السؤال عن صحتكم، وحسن استقامتكم، وإن سألتم عنا فنحمد الله على كل حال، أحوالنا بحمد الله كما تحبون، وأحوال الابن الأخ يوسف تسركم، مجد ومجتهد في التحصيل، فتح الله عليه، ومنحه العلم النافع، هذا مالزم، ولا تقطعوا عنا أخباركم السارة مع القُصّاد والمارة. وهذه الأوراد واصلتكم مجازين على قراءتها صباحًا ومساءً، مع المواظبة على ذلك، وسلموا لنا على السادة، ومن عز عليكم...».

١- نقل هذه الرسالة أخونا الأستاذ بشار الحادي، في كتابه علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر الهجري.

(رسالة الشيخ محمد إلى الشيخ عبدالله)

درس الشيخ يوسف الصديقي على نفقة الشيخ محمد أبي بكر الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تعلّم شيخنا علوم الفرائض والنحو والتجويد، وقد كان الشيخ محمد بن أبي بكر مثالاً يقتدى به في علمه وورعه. وقد اهتم الشيخ أبو بكر بالصغير وأكرمه أشد الإكرام، وأولاه من بره وإحسانه وكرمه وعطفه ما يكافئه الله به. وكان يفتخر به بين طلابه ويدنيه من مجلسه، وخصه بغرفة في رباطه بمنطقة الكُوت، ولا تزال تلك الدار موجودة.

كذلك درس الشيخ يوسف على يد الشيخ عبدالله بن عمير الشافعي -الذي كان من أعلم فقهاء الشافعية في وقته- متن الألفية والأجرومية في النحو ومتن الزبد، ودرس كذلك الفقه على يد الشيخ عبدالعزيز بن عبيدالله، وكان رجلاً ضريراً ولكنه كان واسع الأفق في الفقه.

مكث الشاب يوسف في الأحساء مدة ست سنوات كان خلالها مثالاً للإخلاص في الطلب والإقبال على العلم. فعكف على حفظ كتاب الله الكريم، كعادة الطلاب. وحفظ متن الزبد، وهي منظومة في الفقه الشافعي تربو على ألف بيت، ومتن الغاية والتقريب لأبي شجاع، ونظم الجوهرة في العقيدة، ومتن الأجرومية في النحو، وألفية ابن مالك. كما حفظ في تلك السن البردة للإمام البوصيري، ومنظومة الأربيلي. كل هذه المتون حفظها وأسمعها الشيخ (أبوبكر) الذي أعجب به أشد الإعجاب لقوة حافظته، وحرصه الشديد على الحفظ. وقد أظهر من قوة الذاكرة والحفظ، ما حملهم على تقديره واحترامه، وكان حريصًا على الدروس لا يتخلف عنها في صحة ومرض.

يقول الشيخ يوسف: كنت أحفظ المتون فوق سطح المدرسة التي أسكن فيها بألحان حتى يسهل عليّ حفظها، وبصوت عالٍ، حتى إن بعضًا من النساء كن يستمعن إليّ مبدين استغرابهن وتعجبهن بهذا الصوت، ولم يكن بالأحساء من كان يحفظ باللحن والترنم. وكان الشيخ يمتلك صوتًا شجيًا أثار إعجاب الكثيرين.

وقد اشتهرت الأحساء بالأربطة، فهي مأوى طلبة العلم من أبناء الخليج وغيرهم، ومكان مبيتهم ومذاكرتهم، وتدرس في تلك الأربطة فقه المذاهب الأربعة، والتفسير والحديث والسيرة النبوية. وقد اشتهرت الكوت باستقبالها لطلبة العلم وإكرامها لهم، ورعايتها لهم كيف لا وأصحابها هم خيرة العلماء الصلحاء، حيث كان قد تولى الإشراف على هذه المدرسة والتدريس هو الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا، ثم جاء بعده الشيخ أبو بكر، ثم ابنه الشيخ محمد بن أبو بكر، ولم تكن تلك المدرسة لتلقي العلم فقط، بل أيضًا هي مأوى للفقراء والمحتاجين، ومد يد العون والمساعدة، كما كانوا يكرمون الزائرين لبيت الله الحرام، حيث كانت الأحساء محطة لهم يستريحون ويبيتون فيها، وكانوا يجدون التكريم والرعاية، وهذه كانت عادة أبناء أبو بكر، حيث اشتهروا بالكرم والخصال الحميدة، ومساعيهم النبيلة، وحبهم للناس وبذل الخير، وهكذا هم العلماء العاملون، يبذلون ما في وسعهم، ويعطون مالديهم من أجل إسعاد الآخرين. وكانت أسرة (أبو بكر) يوفرون كل ما يحتاجه طلبة العلم من مأكل ومشرب وغير ذلك، ليتفرغ الطلبة للدرس والحفظ والمذاكرة.

وفي الأحساء مدارس أهلية منها على سبيل المثال:

١- **مدرسة الشلهوبية**، وقد أوقفها أحمد بن شلهوب، ويدرس فيها المذهب الحنفي، وحسبما قيل إنه لم يكن لدى الواقف عقب، وقد درس فيها بنفسه، وتولى التدريس في هذه المدرسة الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد، ثم ابنه الشيخ عبدالله، ثم تولى التدريس الشيخ أبو بكر ابن الشيخ عبدالله، ثم الشيخ محمد بن أبي بكر.

٢- **مدرسة الشيخ أحمد الملا** بالكوت، وأوقفها علي بن أحمد الباشا البريكي عام ١٠١٩هـ.

٣- **مدرسة آل الشيخ أبي بكر** بالكوت، وتسمى العُميرية.

ومدرسة بن فلاح، ومدرسة آل عثمان، ومدرسة العمير، ومدرسة آل عبداللطيف، ومدرسة آل مبارك في النعاثل، أوقفت على أسرة آل مبارك، ومدرسة النعيم، وتقع في النعاثل غربي مسجد فيصل بن تركي، وغيرها.

وقد تخرج من مدينة الأحساء علماء أفاضل، تلقوا العلم من معينه الصافي، من علماء كانوا مضرب المثل في العلم والورع، فمن العلماء الذين درسوا في الأحساء من أهل البحرين:

الشيخ قاسم المهزع، والشيخ أحمد المهزع، والشيخ عبدالرحمن المهزع، والعالم الورع والفقيه الشافعي الزاهد الشيخ عبدالله بن محمد الصديقي عم الشيخ يوسف، والشيخ عبداللطيف بن محمد آل سعد، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف الصحاف، والشيخ عبداللطيف بن علي الجودر، والشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والشيخ عبدالله بن ناصر الفضالة، والشيخ راشد بن عيسى الملا، وابنه الشيخ عيسى، والشيخ عبدالله هجرس، والشيخ أحمد الشيخ صالح، والشيخ عبدالعزيز بو بشيت، والشيخ قاسم الغانم، وغيرهم كثير.

- **حكاية:**

اشتكى الشيخ يوسف من ألم شديد في ضرسه، ولم يكن بالأحساء مستشفى في ذلك الوقت، سوى الأطباء الشعبيين، منهم أطباء أصحاب خبرة، ومنهم من كان يسمع ويطبق على الآخرين، لا يعرف شيئًا من أمور الطب سوى ما وصل إليه سمعه. توجه الشيخ إلى واحد من هؤلاء بعد أن نعتوه بالعلم والمعرفة، فتوجه إليه بغية الشفاء. فأخذ الطبيب المزعوم (حديدة) وهي تشبه مزلاج الباب المصنوع من الحديد فوضعها في ضرسه الذي يؤلمه، وربط المزلاج بحبل وأخذ يشده شدًّا وثيقًا، والشيخ يصرخ، والدماء تسيل على ثوبه كما يسيل الماء من الحنفية، ويستنجد بالطبيب أن يخفف عنه وأن يتراجع عن مغامرته، وهو لا يبالي، ماضٍ في عمله ويقول: (اصبر يا شيخ جاك الفَرَج) فما استراح هذا الطبيب إلا بعد أن قلع الضرس من مكانه، وترك الشاب مضرجًا بدمائه.

- **عودته من الأحساء:**

بعد أن قضى الشاب ست سنوات في طلب العلم ينهل من معين أولئك الأفذاذ، رجع الشيخ

الصدّيقي من الأحساء والتحق بوظيفة إمام وخطيب في جامع الزلاق، وهو الذي كان يهوى الخطابة حيث كان جده يحثه في صغره على الخطابة. وكان إلى جانب الإمامة والخطابة يتولى إبرام العقود مكان جده الشيخ محمد شريف الذي تقدم به العمر وأصابه العمى. وكانت المحكمة الشرعية في ذلك الوقت قد كلفته بأمور الزواج والطلاق.



بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ١٠٤

التاريخ ٢٦ جماد الثانية ١٣٦٨

حضرة المكرم الشيخ يوسف بن أحمد امام مسجد الزلاق المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد حضر لدينا الرجل [illegible] وذكر انه عازم على الزواج من المرأة البنت رقية بنت سالم من اهالي الزلاق وطلب منا الاذن لكم في اجراء العقد بينهما، فاذا تحققتم رضاها بالزوج المذكور والصداق المتفق عليه ووكلتك وليها الخاص وهي بالغة وليس هناك مانع شرعي فلا بأس باجراء العقد بينهما وافادتنا عن ذلك. هذا ما لزم

قضاة محكمة الشرع بالبحرين

(نسخة من تكليفه من قضاة الشرع بإجراء عقد زواج)

وقد استفاد جمع من الناس من علمه فأخذ يعلمهم ويرشدهم ويقرئهم القرآن. وكان يقيم الدروس والأنشطة في جامع الزلاق، ويُحيي الأيام والليالي الفاضلة كليلة المولد الشريف والإسراء والمعراج، والنصف من شعبان وليلة القدر، وكان حريصًا جدًا على أن يقيم هذه المناسبات لما لها من فضل وتأثير في نفوس الناس. كما أنه كان يُكلف من قبل بعض الناس بعمل ختمات لأمواتهم، وإهدائها إليهم. وهنا بدأ يكتب ويدون ويستزيد، فكتب خلال هذه الفترة العديد من الخواطر، وبعضًا من الأشعار، وسيأتي الحديث عنها في وقتها.

- المطلب الثاني: رحلته إلى الأزهر الشريف:

كان الشيخ شغوفًا بطلب العلم والنهل من بحور المعرفة، فلم يكن ما تعلمه في الأحساء يكفيه أو يسد نهمه، فطالب العلم لا يشبع كما صاحب المال الذي لا يشبع من كثرة المال ووفرته، فعزم الرحيل إلى مكة لينهل العلم من علمائها، لكن الله سبحانه وتعالى لم يهيئ له ذلك، وكانت الأسباب قد كتبت له اتجاهًا آخر لطلب العلم. ففي عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٢م تكفل الشيخ سلمان بن حمد حاكم البلاد بتكلفة ذهاب الشيخ إلى الأزهر الشريف، وكان الأزهر في ذاك الوقت معقل العلم والعلماء، يحلم به كل طالب علم،كان للأزهر دور كبير في خدمة الإسلام والمسلمين، وكانت له استقلالية، فشيخ الأزهر بمثابة الحاكم الذي يهابه الناس ويقدرونه، وكان لكلمته وزن وهيبة. من ذا الذي لا يعرف الأزهر؟! ومن ذا الذي لا يتمنى الدراسة فيه؟! ومن الذي لم يحلم به وبأن يصبح طالبًا فيه؟!.

يقول الشيخ في مذكراته: " **.. وبعد ذلك لعبتُ نسائمُ القدرة الإلهية ودَعَتِ العبدَ إلى الرحيل إلى الأزهر الشريف، وذلك عام ١٣٧٣هـ الموافق١٩٥٢م، فدخلتُ الأزهرَ مع أول بعثة بعثت إلى الأزهر فأخذتُ ثانوية الأزهر ثم الشهادة العالمية للبعوث الإسلامية** " .

وقد ذكر لي الشيخ أن نفسه كان تتوق إلى الذهاب إلى مكة المكرمة بعد أن أنهى دراسته بالأحساء، وكان يتمنى أن يتلقى العلم على أيدي مشايخها وعلمائها كما هو الحال بالنسبة لعمه الشيخ عبدالله، ولكن لم تسمح له الظروف، فكان الأزهر قبلته الثانية لمواصلة علومه الدينية.

وصل الشيخ إلى الأزهر وقد خلف وراءه زوجة وأولادًا صغارًا لم يبلغوا الحلم، تركهم وهم في أشد الحاجة إلى عطف الأبوة وشفقته، خلفهم وهم بحاجة إلى حنانه، كما هو خلفهم وهو يحن إلى ابتسامتهم ولهوهم ولعبهم، ولكن نداء الواجب، والإصرار والتحدي كان فوق تلك العواطف والمشاعر، والهدف الأسمى الذي ينشده كان هو المحرك لترك وطنه وعائلته.

اختير الشيخ ضمن المبتعثين من قبل وزارة المعارف إلى الأزهر الشريف لدراسة العلوم الشرعية. وقدر الله للشيخ السفر إلى القاهرة للدراسة بالأزهر حيث ظل في القاهرة سبع سنوات حصل خلالها على الشهادة الثانوية ثم الشهادة العالمية للبعوث.

ويقول الشيخ الصديقي رحمه الله عن ذلك: "**درست العلوم الشرعية في الأزهر على يد مشايخها، من أمثال الشيخ أبوالسعود، والشيخ الماوي، والشيخ التازي، وكان الناس حريصين على طلب العلم وتلقيه، وكان لكل طالب منا زاوية خاصة به، ولديه طلبة يقوم بتدريسهم جميع العلوم من فقه ونحو وأصول، وكانت تلك الطريقة المتبعة في الأزهر في ذلك الوقت**".

ومما يذكره الشيخ أنه حينما ذهب إلى الأزهر الشريف وحضر مقابلة القبول قال له أحد الشيوخ (أنت جاي تطلب العلم يا نحيف) وكان نحيف البدن، وهذه عادة المصريين في الدعابة، وحينما تم توجيه أسئلة القبول إليه استغرب الشيوخ من أنه كان يجيبهم بما يحفظ من متون كثيرة في الفقه والحديث والنحو، حتى أن أحدهم استغرب من حافظته وما كان يعرف أسماء المتون التي كان الشيخ يوسف يحفظها. وقد أظهر الشيخ من سعة الاطلاع، وغزارة في العلم والحفظ، وحسن الكلام ما ملأ أعضاء اللجنة به إعجابًا.

- **القاهرة والصحبة:**

كان اختيار الشيخ ضمن المبتعثين من وزارة المعارف للدراسة بالأزهر الشريف نقطة تحول في حياته العلمية والعملية، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى رفاق دربه الذين صحبوه في هذه الرحلة الآثرة، وهم الشيخ عبدالله الفضالة والشيخ عبدالعزيز المطوع والشيخ أحمد المطوع ابن عمه، والشيخ راشد البوعينين. وقد كان لكل عضو من أعضاء هذه البعثة مزاجه الخاص وشخصيته المختلفة المستقلة، فالشيخ عبدالله الفضالة كان ذا شخصية قيادية، محباً لإلقاء الدروس الدينية، أما راشد البوعينين فكان رجلاً هادئ الطباع يمتاز بالحلم والأناة، على عكس الشيخ عبدالعزيز المطوع الذي كان حاد الطباع، قوي الشخصية، أما الشيخ أحمد المطوع فقد كان رجلاً كفيفاً سريع البديهة، قوي الحفظ، وكان لصيق الشيخ الصدِّيقي حيث كانا يراجعان دروسهما معًا.



(الشيخ يوسف والشيخ عبدالله الفضالة والشيخ البوعينين والشيخ أحمد المطوع، ويقف بالخلف الشيخ عبدالعزيز المطوع)

وفي القاهرة، المدينة الفسيحة الجميلة، كانت سعادة رفاق دربه في الخروج في الفُسح المختلفة لمعاينة هذه المدينة العجيبة الغريبة وللترويح عن النفس ساعة بعد ساعة، إلا أن شيخنا لم تكن تستهويه هذه الفُسح بقدر ما تستهويه القراءة والكتب وزيارة المكتبات العريقة، فقد كان الكتاب هو رفيق دربه، ومؤنس وحشته، الذي لا يفارقه أبدًا، وكان رحمه الله يدور بين المكتبات يبحث عن كل جديد ينمي به علمه، ويغذي فكره، ويشبع به نهمه، ولهذا كانت مكتبة الحلبي في الأزهر المكان الذي لا يغادره. وكان شديد الاعتناء شرائه الكتب والاهتمام بها، وكل كتاب يشتريه يكتب عليه في أول صفحة منه تاريخ الشراء وقيمته. يعرف كيف يستخرج اللآلىء المنثورة في الكتاب ويدونها، ويقف عليها ويحفظها. وكان الشيخ في ذلك الوقت يوفر كل ما يستطيعه من أجل أن يجمع ماله لشراء الكتب واقتنائها. وفي هذا المجال تشهد جدران وأعمدة الجامع الأزهر على حب شيخنا للقراءة، وهو الذي كان يبقى في الجامع الأزهر الساعات الطوال يقضي وقته في القراءة والمطالعة من دون كلل أو ملل، حتى إنه حقد عليه أحد الطلاب من كثرة قراءته، وعدم خروجه معهم، فقال: سيموت هذا الرجل والكتاب في يده.



كان جامع الأزهر هو المكان الذي لا يفارقه، فهو يقضي جل وقته في هذا الجامع، لا يكاد يبرحه إلا لحاجة وضرورة، وكذلك جامع سيدنا الحسين هو المكان الآخر المحبب إليه، ولكن لكثرة زواره فإنه يفتقد إلى طابع الهدوء، فلا يكون مكانًا مناسبًا للمذاكرة كما هو الأزهر.

(الشيخ يوسف بالعمامة الأزهرية)

- **لطافة المصريين:**

أحب الشيخ رحمه الله مصر وعشقها، وأحب المصريين ولطافتهم، وخفة دمهم، وكوّن معهم صداقات وثيقة، وعلاقات حميمة، وكانت بينه وبينهم مراسلات لا تنقطع.

من الأمور التي ذكرها، أنه حضر درسًا في علم التفسير بعد صلاة الفجر، لأحد الشيوخ وهو يفسر سورة يوسف عند قوله تعالى: " واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب " ويقول:(إن عزيز مصر لم يكن صعيديًا، فلو كان صعيديًا لضرب يوسف على دماغه وموته) في إشارة إلى سرعة غضب أهل الصعيد في المسائل المتعلقة بالشرف.

يقول الشيخ في مدح مصر في كلمته التي ألقاها في إحدى المؤتمرات في مصر: " **... هذه البلدة التي سبق لي أن شربت من نيلها، وتفيأت تحت ظلالها، ووردت أزهرها، بلدة عزيزة علي وفي قلب كل مسلم، وكيف لا تكون عزيزة وهي معقل العلم والعلماء، من ورد إليها من العطش ارتوى من معينها العذب، وحمل معه شعاع النور، وتدرع بأثواب الفضيلة ، تاركًا كل رذيلة** " .



(مع أصدقاء الدراسة بالأزهر الشريف)

• مذاكراته في الأزهر:

كان الشيخ مغرمًا بالقراءة، ولم تكن قراءته محصورة في كتب الدرس فقط، بل كان مولعًا بقراءة مختلف الكتب وخاصة الكتب الأدبية والتاريخية، وكان وقت ما بعد الفجر هو الوقت المناسب له، ويواصل قراءته إلى ما بعد العشاء بساعة أو ساعتين، وكان يكره القراءة بعد ذلك، يقول: لا أرغب كثيرًا في المذاكرة ليلاً، فالذهن لا يكون صافيًا، وإنما تعودت على القراءة صباحًا، حيث صفاء الذهن. ويضيف: كنت دائمًا ما أتذاكر مع الشيخ أحمد المطوع حيث كان ضريرًا، وسريع البديهة، وذكيًا واعيًا، كان يحفظ ما أقرأه عليه بسرعة عجيبة، وكان شابًا لطيفًا، استفدت منه كثيرًا مع صغر سنه، حيث كان أصغرنا في البعثة، لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره.

كان الشيخ يتميز بخطه الجميل والأناة في الكتابة، وكان مرة يكتب وقت الامتحان، فمر عليه أحد الأساتذة وهو يكتب بأناة، فقال: له: (إيه الخط الجميل ده) .

(قصيدة أمية بن أبي الصلت بخط الشيخ يوسف)

إلهي ذنوبي قد تعاظم خطرها ... وليس على غير المسامح متكل

إلهي أنا العبد المسيء وليس لي ... سواك ولا علم لدي ولا عمل

إلهي أقلني عثرتي وخطيئتي ... لأني يا مولاي في غاية الخجل

إلهي ذنوبي مثل سبعة أبحر ... ولكنها في جنب عفوك كالبلل

ولولا رجائي أن عفوك واسع ... وأنت كريم ما صبرت على زلل

إلهي بحق الهاشمي محمد ... أجرني من النيران إني في وجل

وباللطف والعفو الجميل تولني ... وبالخير فامنن عند خاتمة الأجل

الاكم غير المسمى - والحق ابلج واضح ... الا كنت تنكر هذا فانظر لسيرة صالح

خضبت المشيب لما كان عيبا ... وخضب الشيب أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ... ولا عيبا خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميما ... فصيرت الخضاب له عقابا

أبو علي الفارسي

(شعر بخط الشيخ يوسف)

- **حركة فكرية ولقاء الفطاحل:**

لم يقتصر حب شيخنا للمطالعة على الكتب والمراجع فقط، بل كان محبًا لمتابعة الحركة الفكرية وعاشقًا للشعر الذي كان يحفظ منه الكثير، وكان رحمه الله يقرأ العديد من المجلات الدينية مثل الأزهر، والإسلام، والمسلمون، والمساجد، والإخوان، والتقوى، ونور الإسلام، والثقافة.

وكانت له كتابات في مجلة "الإسلام" التي كانت في ذلك الوقت مجلة أسبوعية جامعة تصدر كل يوم خميس في جميع أنحاء العالم. ومن مقالاته: حول صلاة الجمعة، هجرة الرسول، مولد الرحمة والنور، مرحبًا بهذا الشهر الكريم.. وسيأتي ذكر نماذج منها في مبحث من مقالاته.



الإسلام ١٧

أسرار الهجرة

الأستاذ يوسف أحمد الصديق

إن العام قد انصرم وبانصرامه قد قطع مرحلة من العمر، لأن مرور الليالي والأيام في طيها تسجيل لتدوين صحائف الأعمال، وبمرور الليالي والأيام تذكر حديث الهجرة، وحديث الهجرة حديث يطول شرحه لأنه مليء بالعبر والأعاجيب. فكيف لا يكون كذلك؟ وهو يحوم حول هجرة أكرم الخلق.

هاجر ﷺ من أم القرى بلد الآباء والأجداد إلى طيبة بلد الأنصار والأخوال، عجيب والله عجيب!! أن يترك الإنسان موطنه وقد عاش فيه خمسين سنة بين السمرة أهل المجد الأثيل، متنقلا بين أفيائه وظلاله وكان بلسان حاله يقول:

بلادي وإن جارت علي عزيزة
ولو أنني أعرى بها وأجوع

هاجر لما تنكرت العشيرة لأنه يسبح في واد غير الوادي الذي هم فيه، تنكروه لما رأوا بوارق الفلاح تهب من نحوه، غلت قدور الغل في قلوبهم لأن النفوس البشرية لا ترضى أن يخرج من عشها نجم تزدان أحضانها يريد السيطرة عليها، وهي صاحبة الثروة والجاه، لا بد أن تعمل في سبيل انحطاط هذه الروح الناشئة ولو كان فيه هلاك روحه، قدرت المؤامرة للقضاء على هذا النور المنبثق الذي شع وهدم معالمها وسفه أحلامها، فسعت بجميع أنواع الأذى متربصة به الدوائر لأجل أن تلقيه في هوة الهلاك تريد أن تمكر به، إما القبض أو القتل. أما القتل فهو مرامهم، لأجل أن يضيع دمه بين القبائل لكن العناية إذا حلت كانت المخاوف والمخاطر حصناً حصيناً لأن الإنسان إذا اتصل بالأسلاك الإلهية واتصلت به، لا بد أن الأسلاك المتصلة تكون وقاية وحمى من يد أي خصم، أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في أقل من لحظة، ألا يقدر على أن يمره من بين أيديهم وهم شاهرون سيوفهم؟ نعم. مر عليهم وقد ضرب الله على وجوههم الذلة والمهانة، ظلوا في مكانهم حتى الصباح وهم ينتظرون خروج محمد، ومحمد قد خرج وقطع شوطاً في سيره، فلم يرعهم إلا بقائل يقول: خرج محمد وذر التراب على رؤوسكم، فأصابهم الذل والرعب فجهزوا العدة للحوق به قبل أن يفلت منهم، فتبعوه يقصون الأثر حتى انقطع الأثر عند غار ثور فقال قائل إن محمدا في الغار وقال آخر لو كان محمد في الغار لما باض الحمام ونسجت العنكبوت، ومحمد وصديقه يسمعان محاورتهم [illegible]، خاف الصديق على حبيبه فقال له لا تخف ما ظنك باثنين الله ثالثهما. نعم الصديق ونعم الصدوق، سلامي عليك يا أبا بكر، يالك من صاحب وفي أنفق المال في نصره حبيبك الأكرم، وخرجت معه في المفاوز والأخطار، خرج الرسول من الغار بعد ما سكنت الإرجاف، واخترقت الأكباد [illegible]

(نسخة من المقال)

اليأس والحسرة قاصدا طيبة بلد الأنصار ، بلد رقاق القلوب ، بلد أصحاب النجدة والعزيمة ، نعم الدار والمأوى قصدت ونزلت طبت سهلا ونزلت أهلا

سيدي رسول الله : ما أعظم جاهك ومنزلتك عندمن أرسلك ، حاول المشركون قتلك فخرجت من بين أيديهم ولم يروك ، وتبعوك إلى الغار فلم يفلحوا وأرسلوا خلفك ابن سراقة لكنه باء بالفشل .

أيها القارىء الكريم : هل الهجرة انتقال من بلد إلى بلد خصيب ؟ أم هي انموذج الحي قذفه الله في قلب هذا العظيم ؟ لأجل تكوين دولة إسلامية تجاهد وتكافح في سبيل نهضة الحق وترفع عن نفسها غبار الوهم ولأجل ان تطفىء مشاعل الجهل المظلم وتنكس أوثان العبودية وتدعو بجدها واجتهادها في سبيل منار الحق وأن تكون العبادة خلصة لله وحده لا إله غيره ولا معبود سواه ، لابد ولا وثن ولاحمية الجاهلية ، لاخمر ولا غش ولا قطيعة ولا وأد ، لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، الناس فيه سواسية كأسنان المشط ، بهذا أرسل ولأجل هذا هاجر ، لم تكن مهاجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، حاشا وكلا ، بل هي نفس عالية طموحة تحب معالى الامور وتكره سفاسفها .

ونأخذ من معاني الهجرة معاني عالية منها تحمل المشاق في سبيل الدعوة التي من أجلها أرسل ولأن صاحب الدعوة الذي قام بدعوته وهو يعتقد أن دعوته على حق وأنها إذا لم تكن تنمو في هذا المكان وتوقع نموها في مكان آخر كان لزاماً عليه أن يبذل وسعه وجل جهده في سبيل هذه الدعوة في المكان الذي يظنه صالحاً لبذر بذور هذه الدعوة كي تنمو وتنتشر ولقد كان من حكمة الرسول ﷺ قبل أن يهاجر أنه قسم أصحابه إلى فرقتين فرقة إلى الحبشة وفرقة إلى البلد التي هاجر هو إليها ، وفي ربوع هذه المدينة الفيحاء حقق الله نصره لعبده فغزوا بأهلها الغزوات العظام وبعث منها بعوثا هبوا في وجه العدو بقلب صلب لايهاب الموت ولايخشى غمرات الحرب ، ولله در الشاعر إذ يصفهم .

شم العرانين أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل

نعم الانصار ونعم الأصحاب الذين بذلوا نفوسهم ونفيسهم في نصرة حبيبهم الأعظم وكلهم يقول : « لو خضت بنا البحر لخضناه معك » لذلك أحبهم النبي وأوصى بحبهم وجعله آية وعلامة على الايمان ، فقال « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم » اللهم اجعلنا من محبيهم ورضي الله عنهم أجمعين .

يوسف أحمد الصديق — البحرين خريج الأزهر

انكماش الضمير تابع صفحة (١٥)

نفوسهم من ذل الحرص وشراهة الطمع وصحت عزائمهم على التفاني في عقيدتهم وإنكار ذواتهم حتى خاطبهم الرسول ﷺ في شخص وابصة « استفت قلبك » لأنه لا يحب الخبث ولا يعرفه ولا يألف المنكر أو يهادنه ولا يجادل أو يؤول إنما هو ماض في سبيل الله كما يمضي السيف لا يزيغ ولا يميل !

يا ترى : كم رجل من الناس تقول له اليوم استفت قلبك ونحن مطمئنون إلى أن الهوى لايلعب برأيه أولا يستبد بصوابه .

إن إسلامنا وأوطاننا في حاجة ماسة إلى أناس انطلقت ضمائرهم فيهم وقوي سلطان القلوب عليهم فالصانع يخلص في صناعته والتاجر يؤمن بالله في تجارته والداعي إلى الله يصدق في دعوته

ولئن كان الاسلام قد اهتم بضمير الفرد فانه قداهتم كذلك بان يكون هناك ضمير عند مجموع الأمة يزع الظالم عن ظلمه ويردع العاصي عن عصيانه ولهذا الموضوع دبجة خاصة في المقال القادم إن شاء الله .

احمد عبد الجواد الدومي

ولحبهم للعلم لم يكتفِ الطلاب بما كانوا ينهلونه من جامعة الأزهر الشريف فقط، بل كانوا يميلون إلى ملء أوقات فراغهم بكل ما هو مفيد ونافع، فكانوا يحضرون الدروس الدينية التي تقام في الأزهر، والتي كانت فرصة كبيرة للقاء الدعاة الكبار للاستفادة من علمهم وسعة اطلاعهم. وقد كان شيخنا معجباً وملازماً للشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله الذي كان يتميز ببلاغة أسلوبه، وسعة اطلاعه، وعمق تفكيره، ودروسه المؤثرة، وقدرته على الإقناع، وشجاعته في الحق، حيث لا يخشى في الله لومة لائم، كما لازم الشيخ الصدِّيقي أيضاً الشيخ الباقوري وزير الأوقاف المصري الأسبق، وكان يحبه كثيرًا وبينهما تزاور ومحبة، وحكى لي الشيخ يوسف أن الباقوري حينما عزل عن الوزارة، أعرض عنه بعض أصحابه ورفاقه، ولكن من كان بينه وبين الباقوري خصومة هو الذي زاره في منزله، وهو الأديب طه حسين، يقول الباقوري، فتعجبت من أصحاب تركوني، ومن هم ليسوا بأصحاب وصلوني، يقول فعلمتُ قدر طه حسين، وما يحمله من معان جميلة، وصفات إنسانية نبيلة.

وقد اطلعتُ على ورقة حضور جلسة محاكمة باسم الشيخ يوسف، حيث طلبَ منهم أن يحضر، ولكن لم أطلع على من المتهم وما أسباب تلك المحاكمة ولم يتسنَ لي سؤال الشيخ حيث إني لم أطلع على الورقة إلا بعد وفاته. ولكن ما يعنينا هنا أن الشيخ ليس من عادته ذلك، وأن الدافع وراء حضور هذه الجلسة ربما الصلة الوثيقة التي تربطه بالمتهم.

- **مساجد مصر:**

زار الشيخ العديد من مساجد مصر، وقد كتب بخط يده عن المساجد العِظام في مصر و التي زارها، وهي:

١- الأزهر الشريف، المؤسس في عهد الفاطميين الذي مضى عليه ألف عام، والأزهر هو محط العلماء قديمًا ومنهلهم الرائد، وكم تخرج منه من فطاحل العلماء، ملأت مؤلفاتهم الخافقين.

٢- مسجد أبو الذهب، قريبًا من الأزهر يحده الشارع الذي تقف عليه الباعة نساء ورجالاً.

٣- مسجد سيدنا الحسين-رضي الله عنه- وهو مسجد عظيم البناء، ويمين المنبر مقام سيدنا الحسين يدخله الزوار من الرجال والنساء.

٤- جامع عمرو بن العاص-رضي الله عنه-بني عام ٢١هـ وهو مسجد واسع النطاق.

٥- مسجد القلعة الذي بناه محمد علي باشا، وهو في غاية الازدهار والزخرفة، ذو بسط جميل، به مئات القناديل تتدلى من أسقفه، يهولك منظره ورونقه عندما تدخل فيه، وقد جئته وصليت الجمعة فيه.

٦- مسجد بن طولون، مسجد عظيم البناء، يبلغ طول منبره ١٣ درجة، وقد مضى على بنائه ألف عام ومائة.

٧- مسجد الإمام الشافعي، تحفه الهيبة والإجلال، والسكينة والوقار، وحينما تزره تجد آثار الهيبة، وبه قبر الإمام، وقبر الشيخ زكريا الأنصاري.

٨- مسجد السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنه، به قبر السيدة، يزدحم الزوار عند قبرها لينالوا النفحة النبوية، ويعمل لها مولد كل سنة، يحضره أناس من كل فج، وتحضره شيوخ الطرق، ويعملون ذكرًا مهولاً. والقبر يقع خلف المصلين.

٩- مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها، وفي المسجد قبرها أيضًا واقع قبلة المصلي، وكذلك يزدحم الزوار عند قبرها، ويعمل لها المولد ويحضره شيوخ الطرق، وتوضع الزينات.

١٠- مسجد السلطان حسن، مسجد عظيم البناء، واسع النطاق، يخيل للإنسان من الخارج أنه قلعة ، ويرجع تاريخ بنائه إلى سنة ستمائة من الهجرة. ومسجد السيدة سكينة بنت الحسين، ومسجد السيدة رقية، ومسجد الرفاعي، ومسجد المؤيد.

وقد زار الشيخ متحف القاهرة وأرخه باليوم التاسع من شعبان عام ١٣٧٣هـ.

- **المطلب الثالث: العودة من الأزهر الشريف والالتحاق بالعمل:**

بعد سبع سنوات قضاها الشيخ في ربوع القاهرة العامرة، ورحاب الأزهر الشريف ينهل العلم نهلاً نال " الشهادة العالمية للبعوث " وحان وقت العودة إلى الوطن بعد رحلة طويلة من طلب العلم، رحلة طويلة لم يتخللها إلا زيارة واحدة للوطن.

وكان في استقبال الشيخ في المطار حسن بن حسن الدوسري ، الذي نقله بسيارته من المطار إلى الزلاق حيث استُقبل استقبال الأبطال الفاتحين، كونه أول خريج أزهري من الزلاق. وقد احتشد أهالي المنطقة عند العين الشرقية رافعين أعلام البحرين وأعلامًا خضراء وبيضاء فرحًا بعودة الشيخ الصدّيقي.

(نسخة من الشهادة الأزهرية)

وبلباسه الأزهري المهيب توجه الشيخ الصدِّيقي إلى منزله حيث وجد في انتظاره حشدًا من رجالات القرية وأصدقاء طفولته إبراهيم ومبارك الغتم، وفهد بن مرداس، ليلقى الشيخ ترحيبًا جديدًا بعودته وسعادة غامرة من الجميع بما حقق الشيخ. بعد ذلك توجه الشيخ إلى كبار القرية للسلام والاطمئنان عليهم قبل أن يصلي بالناس في جامع الزلاق وهو بلباسه الأزهري الذي سلب الألباب.

بعد عودته واستقراره في البحرين عُيّن الشيخ مدرسًا في دائرة المعارف، حيث عمل في مهنة التدريس لثلاث سنوات إلى جانب قيامه بالخطابة في جامع القضيبية بالمنامة بأمر من سمو الشيخ سلمان بن حمد حاكم البحرين رحمه الله.

- **ذكرياته في مدرسة الزلاق :**

كان شيخنا قد تخرج من جامعة الأزهر عام ١٩٥٩م. وعمل بعدها مباشرة مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية في مدرسة الزلاق (١)، التي أنشئت عام ١٩٥٣م، وكان مبنى المدرسة تابعًا لشركة نفط البحرين بابكو، ثم انتقل المبنى إلى وزارة التربية والتعليم. وأذكر أن هذه المدرسة بها ستة فصول دراسية، إضافة إلى غرفة لمدير المدرسة، وغرفة للهيئة التعليمية،



(مع مجموعة من مدرسي الزلاق عام ١٩٥٩م)

١- ذكر لي فضيلة الشيخ الدكتور عبداللطيف بن محمود آل محمود أن الشيخ يوسف أول ما تعين بمدرسة المنامة الثانوية هو وأخاه الشيخ عبدالله الفضالة، وذلك مدة أشهر معدودة، ثم بعدها انتقل للتدريس إلى مدرسة الزلاق.

ومرسم للأنشطة، ومقصف. ولم يكن عدد الطلاب في المدرسة كلها يتجاوز مائة طالب، حيث إن عدد الطلاب في كل فصل لا يتجاوز خمسة عشر طالبًا. وكان مدير المدرسة آنذاك خليل زباري. وكان من جملة الأساتذة الذين معه هم: كمال أسعد، سالم ناصر، أحمد خليفة المالود، سلطان سالم، سعيد العريض، وغيرهم.

- **حكاية:**

ذكر لي الأستاذ مفتاح بن جمعة الدوسري، وكان تلميذًا بالمدرسة، أن أحد المدرسين، كان يشرب الدخان خفيةً في نهار رمضان، فأبصره الشيخ يوسف، ونهره نهرًا كبيرًا، وزجره بقوة، فلما رأى المدرس شدة الشيخ وبطشه، لاذ المدرس بالفرار سريعًا وأخذ يجري خوفًا من سوء العاقبة، والشيخ يوسف ينوه له بالعصى تهديدًا ووعيدًا.

- **كتابة العقود:**

كان الشيخ يقوم بتحرير عقود الزواج، قبل ذهابه إلى الأزهر في سن مبكرة حيث لم يتجاوز العشرين من عمره، وكان في بادئ الأمر يعقد القران في المسجد، ويدون العقد في دفتر خاص به، كما كان يفعل معظم المأذونين الشرعيين في ذلك الوقت، ومع تولي الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة الحكم أصبح للعقود سجلات رسمية يتم تدوين العقود فيها بشكل رسمي.

وكان قد عقد للكثير من المواطنين، وكان يحث الناس على الزواج لأنه سنة الحياة، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يوصي الزوج بالإحسان إلى زوجته وعدم إهانتها واحترامها، ويصر على أن تشترط المرأة ما تريد اشتراطه على الزوج ومن دون حياء، وأن تكون قد تسلمت صداقها كاملاً. وكان -رحمه الله- قد عقد على شخصيات عديدة، ومنهم أبناء العائلة المالكة، وأول عقد عقده للأسرة المالكة هو للشيخ عيسى بن راشد آل خليفة على كريمة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، عمة جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، فقد كان والدها سمو الشيخ سلمان قد توفي في ذلك الوقت رحمة الله عليه، يقول الشيخ: "**فحرصت على أن أسمع موافقتها ورضاها بنفسي**"، وكذلك عقد للشيخ خالد بن عبدالله، وتزوج على كريمة الشيخ سلمان. كما أجرى عقد قران جلالة الملك حمد بن عيسى على صاحبة السمو الشيخة سبيكة بنت إبراهيم،

وقد أجرى العقد في مجلس الراحل سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رحمه الله في الرفاع. وذلك بتاريخ ١٧ رجب ١٣٨٨هـ .

- **تعيينه في جامع القضيبية :**

ذكرنا أنه تم تعيينه بأمر من الراحل سمو الشيخ سلمان بن حمد حاكم البحرين، لما وجد فيه من النباهة والعلم والمعرفة، ووجد فيه حماسة، فرأى أن الأصلح أن يعين خطيبًا في جامع القضيبية. وقد لاقى تعيينه خطيبًا صدىً وقبولاً من الجميع، فأخذ يؤمّه الناس من كل مكان، فقد اشتهر بخطبه الحماسية والمؤثرة، التي كانت تحكي الواقع، وتعكس حالة المجتمع، كما كانت خطبه تنقلك إلى عالم الآخرة، وبها روحانيات وتجليات، وقد تميزت خطبه بالدقة في اختيار الموضوع، وشموليتها، مع إيجاز العبارة، كان فصيحًا مفوهًا، جزل العبارة، سهل المعاني، من سمعه أقبل على سماعها، ووجد السعادة والأنس فيها. لم يكن ينقل خطبه من الكتب وإنما كان ينشئها إنشاء، وكان عادة ما يبدأ خطبه بقوله تعالى:(**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي**). ولم يكن يتعرض في خَطبته إلى التجريح بأحد أو الدخول في مسائل خلافيةَ. يقول أحد تلامَذة الشيخ: حينما كنت أحضر خطبه كان ينقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وتعطينا خطبه دافعًا قويًا، وشحنة إيمانية، فلا نمل من سماع خطبه.

وكان للشيخ نغمة خاصة أثناء إلقائه، فلم يكن يقلد أحدًا، وإنما كان مدرسة مستقله، أثّر في كثير من الشباب، وقلدوه في حركاته وصوته، وكان يميل إلى الهدوء في خطبته، فلا يعلي صوته كثيرًا إلا بحسب الحال، وكان أكثر خطبه مرتجلة، فيحمل معه ورقة صغيرة يكتب فيها رؤوس أقلام الخطبة. وكانت خطبته هي الخطبة الوحيدة التي تذاع عبر إذاعة البحرين، وكان قد اشتهربالأزهري الشجاع. وفي أيام العيدين يلحن خطبته بصوت جميل.

توقف بعدها عن الخطابة في عام ١٩٩١م حينما هدم جامع القضيبية ليعاد بناؤه في زمن الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رحمه الله، وذلك بترتيب وإشراف مباشر من رئيس ديوانه السيد يوسف بن ارحمة رحمه الله تعالى. وحل محله في الخطابة الشيخ فؤاد البحيري رحمه الله، الخطيب المفوه، صاحب اللفتات الجميلة، والخطب المؤثرة القوية، يشبه الشيخ عبدالحميد كشك -رحمه الله- في قوة صوته، وعجائب مفرداته، وجزالة عباراته، يشدك حينما تسمع إليه، كان يزور الشيخ دائمًا في مجلسه، وبفقده فقدت البحرين عالمًا جليلاً، وخطيبًا محنكًا نبيلا.

وقد كتبنا العديد من خطب الشيخ المنبرية، وسيكون لها كتاب خاص بها، حيث إنها مجموعة نفيسة في شتى المواضيع، تمثل ثروة علمية أدبية، وستعين الخطيب والواعظ، لما تتسم به من فكر سليم، واعتدال الرأي، ولا شك أن طباعتها ستضيف للمكتبة درة نفيسة، وإضافة قيمة.



حكومة البحرين

دائرة الأوقاف الشرعية

SUNNI WAQF DEPARTMENT

العدد ٢١٣ - ١٩٥٨

التاريخ ٢ ربيع الثاني ٧٨ الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٥٨

حضرة الفاضل المكرم الشيخ يوسف بن احمد الصديقي المحترم

تحية واحتراما.

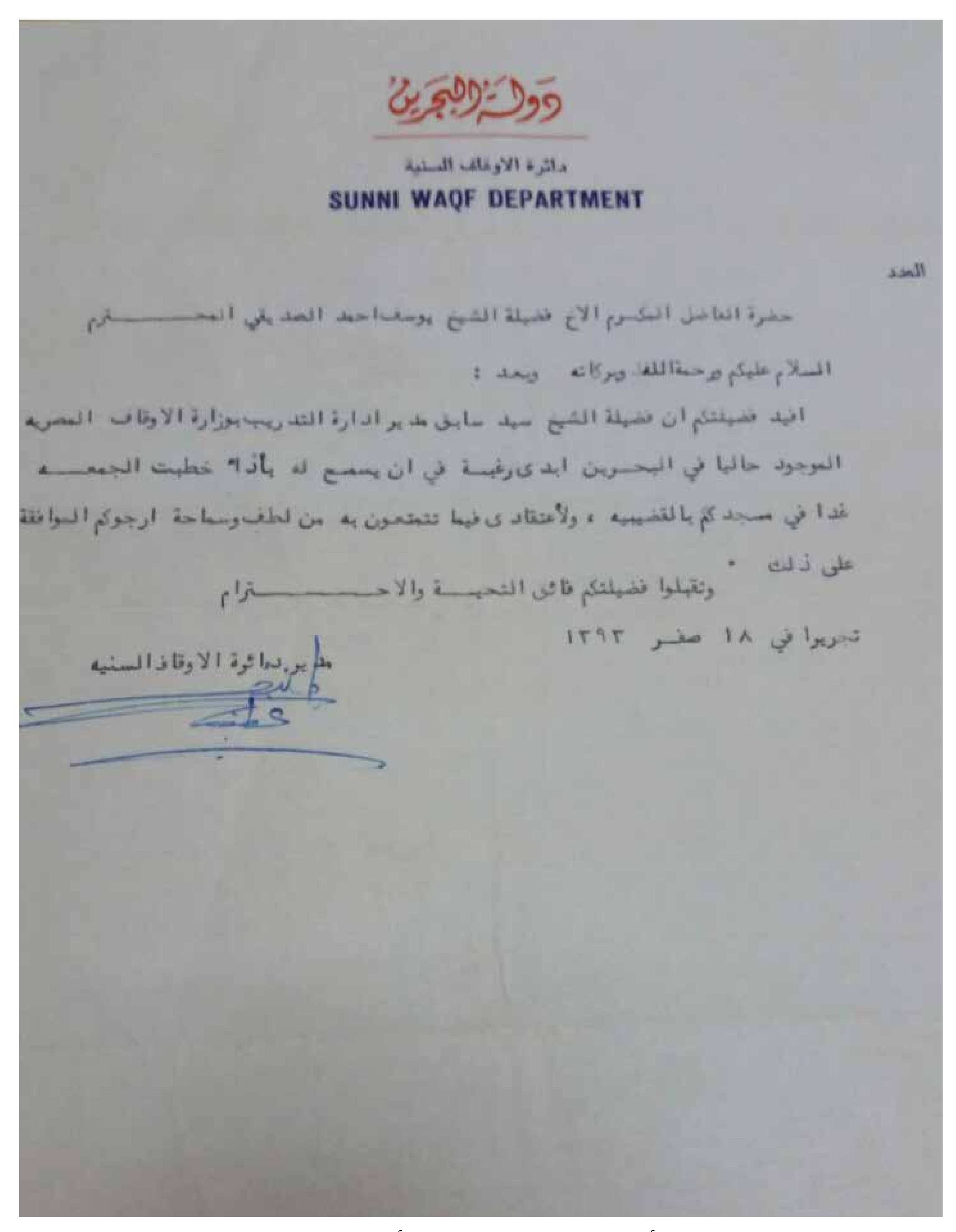
وبعد افيدكم ان مجلس الدائرة في جلسته المنعقده في يوم الاحد ٢٧ ربيع الثاني ١٣٧٨ وافق على تعيينكم خطيبا في جامع القضيبيه بناء على طلب تقدم به جماعة من المسلمين والدائرة تهنيكم وتأمل شكم الموافقة على ما ذكر وترجو منكم ان تباشروا الخطابة في الجامع المذكور ابتداً من يوم الجمعة القادم.

هذا وتقبلوا فائق التحية والاحترام.

مدير دائرة الاوقاف السنية

(رسالة من مدير الأوقاف بالموافقة على تعين الشيخ يوسف خطيبًا بجامع القضيبية)

وقد زار السيد سابق البحرين - صاحب كتاب فقه السنة- وأبدى رغبته بأن يخطب الجمعة، فكتب مدير الأوقاف في ذاك الوقت وهو الشيخ عطية الله إلى الشيخ يوسف يطلب منه السماح له بأداء خطبة الجمعة في جامع القضيبية.



دولة البحرين

دائرة الأوقاف السنية

SUNNI WAQF DEPARTMENT

العدد

حضرة الفاضل المكرم الاخ فضيلة الشيخ يوسف احمد الصديقي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

افيد فضيلتكم ان فضيلة الشيخ سيد سابق مدير ادارة التدريب بوزارة الاوقاف المصريه الموجود حاليا في البحرين ابدى رغبة في ان يسمح له بأداء خطبت الجمعه غدا في مسجدكم بالقضيبيه ، ولأعتقادى فيما تتمتعون به من لطف وسماحة ارجوكم الموافقة على ذلك .

وتقبلوا فضيلتكم فائق التحية والاحترام

تحريرا في ١٨ صفر ١٣٩٣

مدير دائرة الاوقاف السنيه

(رسالة من مدير الأوقاف بالسماح للسيد سابق بأداء خطبة الجمعة بالقضيبية)

الحمد لله الواحد القهار : الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار

سبحانه يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء

الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من

يشاء عقيماً إنه عليم قدير : وأشهد أن لا إله إلا الله

يصوركم في الأرحام كيف يشاء : وأشهد أن سيدنا

محمداً رسول الله المعصوم من تسلط الشهوات ولا

هواء : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أهل الفوز والفضل الكبير : أما بعد أيها المسلمون اتقوا الله

عباد الله قال الله : وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل

وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء

ما ينشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب

الأسماء ما تحكمون :: يا أتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

حذار حذار من عادة قبيحة انتشرت في هذا

العصر :: وجريمة وقع فيها الكبير والصغير ::

تتمثل فيها سخافة العقل والخضوع لوحي الشيطان

أساسها التقليد الأعمى لعادات الجهال الأجداد

والآباء :: وثمرتها الضجر والتبرم بأحكام القضاء

والوقوع في كفران نعمة الله العزيز القدير ::

في بيوت المسلمين تأخذ العادات الذميمة

أدوارها :: وبين الزوجات المظلومات ::

(إحدى خطب الجمعة بخط الشيخ)



دولة البحرين

دائرة الاوقاف السنية

SUNNI WAQF DEPARTMENT

العدد ١٦٤/١٩٧٦

التاريخ ٢٨ رجب/١٣٩٦ الموافق ٢٤/٧/١٩٧٦

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ يوسف احمد الصديقي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسر هذه الدائرة أن تتقدم الى فضيلتكم بطلب ارسال بعض خطبكم الجمعية اليها وذلك للاستنارة بها في توجيه بعض خطباء الجمع الذين هم في حاجة الى رفع مستوى خطبهم الجمعيه

وتفضلوا بقبول فائق الشكر و الاحترام

مدير دائرة الاوقاف السنية

(خطاب من مدير الأوقاف إلى الشيخ يوسف يطلب فيها تزويد الأوقاف بنسخ من خطبه للاستنارة)

- **المبحث الرابع: شيوخه وتلامذته وفيه مطلبان:**

- **المطلب الأول:** شيوخه.
- **المطلب الثاني:** تلامذته.

- **المطلب الأول:** شيوخه.

درس الأديب الشيخ يوسف على يد علماء أفذاذ ، ضربوا في العلم شهرة، وفي المعرفة سموًا ورفعة، في داخل البحرين وخارجها، فمن شيوخه في البحرين:

١- **والده الشيخ أحمد بن محمد** ، كان إمام مسجد أم الشجر، علّمه القرآن الكريم حتى حفظ أكثره وهو لم يتجاوز العاشرة، ثم أكمل حفظه في الأحساء، ووالده أخذ العلم عن علماء فارس ومنهم سلطان العلماء عبدالرحمن بن الملا يوسف.

٢- **عمه الفقيه الزاهد الشيخ عبدالله بن محمد الصِّديقي**، كان زاهدًا عابدًا فقيهًا شافعيًا، كان طالبًا بالمدرسة الصولتية بمكة، أخذ عن علمائها، كأمثال الشيخ حسن بن محمد مشاط، والسيد عباس بن عبدالعزيز المالكي وابنه السيد علوي، والشيخ أبو بكر بن عبدالله الملا، والشيخ إدريس البنّاني، والشيخ عبدالله النمنكاني، والشيخ خليفة النبهاني، وسلطان العلماء عبدالرحمن بن الملا يوسف، والشيخ عبدالله بخاري وغيرهم كثير، وعمه صاحب المدرسة الخيرية ومؤسسها في مسجد العوضية.

٣- **الشيخ علي بن محمد الأنصاري**، إمام حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى بمنطقة الصخير، أخذ عنه اللغة العربية، حيث درس على يديه الأجرومية، حينما كان شابًا صغيرًا. وذكر الشيخ في مفكرته أنه توفي في «**٢٣جمادى الآخر عام ١٣٦٣هـ، وكان رحمه الله من العلماء الأخيار رحمه الله رحمة واسعة، وقد بلغ من العمر تسعين سنة، صفته رحمه الله طويل القامة، أحمر الوجه طويله، طويل اللحية خفيفها**». وكان رحمه الله من العلماء الأخيار، وكان شاعرًا أديبًا نحويًا.

٤- **الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبدالرزاق آل محمود**، معلمه الأول بعد والده، قرأ عليه متن الزبد وشرحه، لما كان طفلاً لم يتجاوز العاشرة من عمره في مدينة الحد. كان رحمه الله فقيهًا شافعيًا ورعًا متعففًا، محبًا للتدريس، وقد قرّض الشيخ أحمد كتاب(تنبيه العوام والخواص في تحريم الفطر والقصر في رمضان على الطواش والغواص) للشيخ محمد بن عبدالرحيم الصديقي، وهو ابن عم الشيخ يوسف. وكان الشيخ دائمًا ما يذكره بالخير، وذلك لأنه كان يعامله كابن له.

٥- **الشيخ محمد بن عبداللطيف آل محمود**، درس على يديه أيضًا متن الزبد، وكان الشيخ يوسف يحبه كثيرًا، ويثني عليه كثيرًا، وهو صديق حميم لعمه الشيخ عبدالله. يقول عنه الشيخ: أنه كان جميل الصوت جهوري، وإني أتلذذ لسماع صوته.

٦- **الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصديقي**، حضر دروسه ومجالسه العلمية، وقد أغرم الشيخ بأشعاره فحفظ غالب أشعاره. توفي رحمه الله عام ١٩٦١م. وقد كُتب عنه كتاب جمع فيه سيرته وجميع أعماله، كتبه الأخوان الدكتور عبدالمنعم الصديقي، وحفيده الشيخ عدنان الكندري.

٧- **الشيخ محمد بن أبي بكر الملا الأحسائي**، المشهور بالعلم والورع والزهد والأدب، أخذ عنه القرآن والتجويد، والفرائض ومبادئ اللغة العربية.وتوفي رحمه الله في ١٢ جمادى الثاني عام ١٣٦٨هـ.

٨- **الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل عمير**، الرجل الضرير، قرأ عليه متن الزبد، والأجرومية في اللغة العربية، وألفية ابن مالك ، والرحبية في علم الفرائض.

٩- **الشيخ محمد بن حسين آل عرفج** ، أخذ عنه النحو والفرائض، وقد أرَّخ الشيخ يوسف لوفاته، وكان ذلك في ١٧ ذي الحجة١٣٦٠هـ، وقال عنه أنه كان عالماً فرضيًا نحويًا.

١٠- **الشيخ عبدالعزيز بن عبيدالله**، أخذ عنه الفقه والنحو.

١١- **العلامة المحدث الأصولي الفقيه السيد الشريف عبدالله بن الصديق الغماري**، أخذ عليه

علم الحديث، ولازمه كثيرًا طيلة وجوده في الأزهر مدة سبع سنوات، واستفاد من نصائحه وتوجيهاته، فتعلم من الكثير. وهو أشهر من نار على علم، وسيرته التي كتبها بخط يده تنبيك عن علمه وسعة فكره واجتهاده. وهو يكبر الشيخ يوسف بتسع سنين. وقد سجن أيام جمال عبدالناصر من عام ١٩٥٩م وحتى ١٩٦٩م أي مكث في السجن إحدى عشر عامًا. وقد ألف الكثير من الكتب في سجنه مع التشديد والتضييق. فرحمه الله رحمة واسعة. وقد ترجم لنفسه في كتاب (سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق) وهو كتاب نفيس لا يستغني عنه طالب العلم، ترجم لنفسه ترجمة واسعة وافية، وفيه فوائد وغرائب، لا سيما أنه رجا من الله تعالى أن يكون مجدد القرن، وهو كذلك، فكل من اطلع على كتبه عرف قدره، وعرف صدق ما تمناه من وصوله رتبة الاجتهاد.

١٢- **العلامة المجتهد المحدث المتفنن السيد الشريف أحمد الغماري**، كذلك قرأ عليه شيئًا من علم الحديث، وعلوم الآلة والأصول، وهو الأخ الأكبر للسيد عبدالله، وهو أشهر من نار على علم، له كتب كثيرة في علم الحديث، واسع الاطلاع على كتب الحديث المطبوع والمخطوط. قال عنه السيد عبدالله: « لو تيسر له من الكتب ما تيسر للحافظ ابن حجر أو السخاوي ما كان يقل عنهما ».

١٣- **الشيخ أحمد بن حسن الباقوري**، ذكره لي الشيخ كثيرًا، ولا أتذكر ما أخذ عنه من علم.

١٤- **الشيخ أحمد الماوي**، درس على يديه الفقه.

١٥- **الشيخ عبدالعزيز عبدالدايم**، درس على يديه الفقه.

١٦- **الشيخ محمد علي النويري**، أخذ عنه الفقه والفرائض.

١٧- **الشيخ أبو السعود**، درس على يديه التفسير، وكان شيخًا عالماً .

١٨- **الشيخ التازي** أخذ عنه الفقه، لا أتذكر اسمه.

١٩- **الشيخ علي عواد**، درس على يديه الفقه.

٢٠- **الشيخ محمد حجازي**، أخذ عنه التفسير.

٢١- **الشيخ السيد سعد**، أخذ عنه التفسير والحديث.

٢٢- **الشيخ أحمد محمد عثمان**، أخذ عنه الحديث.

٢٣- **الشيخ عبدالوهاب الساكت**، أخذ عنه التوحيد.

٢٤- **الشيخ يوسف النجار**، أخذ عنه النحو.

٢٥- **الشيخ حسين**، أخذ عنه النحو.

٢٦- **الشيخ توفيق النحاس**، أخذ عنه النحو.

٢٧- **الشيخ محمد ضيف الله**، درس على يديه علم البيان.

٢٨- **الأستاذ عبدالحكيم نعناع**، أخذ عنه اللغة والأدب.

٢٩- **الأستاذ عبدالحميد العباسي**، أخذ عنه اللغة والأدب.

٣٠- **الشيخ محمود عوض**، أخذ عنه علم المعاني والبديع.

٣١- **الشيخ أحمد لاشين**، أخذ عنه علم الأصول.

٣٢- **الشيخ منجود**، تعلم على يديه علم الفرائض.

- المطلب الثاني: تلامذته:

تلاميذ الشيخ كُثُر لا أذكر من درس عليه في السابق، فمنهم شيخ الدين، ومنهم الشاعر، ومنهم الوجيه وذو المنصب، كان الشيخ قد درّس عددًا كبيرًا جدًا في مجلس عمه الشيخ عبدالله بالمنامة في بداية السبعينيات، ولكني لم أكن أذكرهم، فقد غابت أشكالهم من ذاكرتي، كما أني لم أجتهد للتعرف إليهم، و أذكر بعضًا ممن عرفت، وهم:

١- **الوجيه يوسف بن ارحمه الدوسري**، وقد ذكرنا نبذة عنه في مطلب الأصدقاء.

٢- **الشيخ إبراهيم بن مطر**، وكان يتردد إليه دائمًا بمجلس عمه بالمنامة وفي بيته بالزلاق، وينيبه في خطابة الجمعة في حال اعتذاره.

٣- **المحدث الشيخ نظام يعقوبي**، كان يتردد إليه كثيرًا في مجلس عمه بالمنامة، حينما كان في سن صغيرة، وكذلك في مجلسه في الزلاق، يصفه الشيخ يوسف بأنه طالب نجيب، ذو فطنة وذكاء. والشيخ نظام غني عن التعريف فأعماله كثيرة في نشر العلم، فقد طبع العديد من الكتب النافعة ولا يزال، ولديه مكتبة كبيرة عامرة بالكتب والمخطوطات النادرة.

٤- **الشيخ القاضي الدكتور إبراهيم بن راشد المريخي**، كان يتردد إلى مجلسه كثيرًا، ويستمع إلى نصائحه، ودروسه وأشعاره. وكان الشيخ إبراهيم يأنس بمجالسة الشيخ يوسف، وقد التقاه أيضًا خارج البحرين، في تونس مع مجموعة من طلبة العلم الفضلاء. والشيخ إبراهيم منذ صغره طالب مجتهد، محب للعلم والقراءة والتعلم، مقبل على الطلب باجتهادٍ وحبٍ للمعرفة. نال شهادة الدكتوراة عن جدارة واستحقاق، وقد برع في علم الحديث، ولديه إلمام واسع في علوم شتى، كما أنه فقيه مالكي. ولديه الآن دروس وطلبة، ومجلسه عامر بالمحبين.

٥- **الدكتور عبدالله بن يوسف المطوع**، وكيل وزارة التربية والتعليم سابقًا، كان يتردد إلى مجلسه منذ صغره مع أخيه جمال، وقد أخذ عنه الفقه الشافعي والحديث، وكان ملازمًا لمجلسه، امتاز الدكتور عبدالله بحب العلم والتعلم. وله العديد من المؤلفات والمقالات التربوية.

٦- **الشيخ خميس حسن الشيخ**، المدرس بالمعهد الديني. وقد أجرى الشيخ خميس مقابلة صحفية معه تكلم فيها عن حياته.

٧- **الشيخ أحمد بن حسن النعيمي**، أخذ على يديه الأصول في كتاب المنهاج للبيضاوي. وقال الشيخ أحمد درست عنده مدة فرأيته عارفًا بالأصول، يفهم عبارات البيضاوي ويفكك عباراته بسهولة، مما يدل على تمكنه في الأصول، ويضيف الشيخ أحمد: بأن الناس قد ضيعوا علم الشيخ يوسف لقلة الطلبة، وعدم اهتمام الناس بهذه العلوم. والشيخ أحمد عالم في الأصول والحديث والتفسير واللغة والبلاغة، وأسفاره كثيرة في طلب العلم، وأخذ عن مئات المشايخ في داخل البحرين وخارجها. ولديه دروس مستمرة في شتى العلوم، وكل من اتصل بالشيخ أحمد

عرف مقدار علمه وسعة أفقه.

٨- **الشيخ أحمد بوعبجل**، درس على يديه الفقه فترة طويلة في كتاب الإقناع، وكان يتردد إلى مجلسه بشكل منتظم، كان حريصًا على الحضور، وفيًا لم يترك زيارة الشيخ حتى في آخر أيامه. وقد تأثر بسلوك الشيخ حتى أنه كان يقلده أثناء الخطابة.

٩- **الشيخ أحمد بن جبارة و أخوه سعد** ، درسوا على يديه الفقه.

١٠- **الشيخ قاسم الغانم**، وقد ذكرت عنه.

١١- **الدكتور الشيخ محمد رفيق الحسيني**، وأخوه الدكتور الشيخ حسن الحسيني، قرأوا على يديه متن الزبد، ومتن الرحبية. كذلك والشيخ بدر الذوادي المؤرخ الذي كتب واهتم بمساجد البحرين والشيخ عبدالله كاندي.

١٢- **عبدالناصر محمد الصدِّيقي**، أخذ عنه الفقه الشافعي في كتاب متن الزبد، والنحو في إلفية ابن مالك، والشعر والأدب، وشيئاً من التفسير.

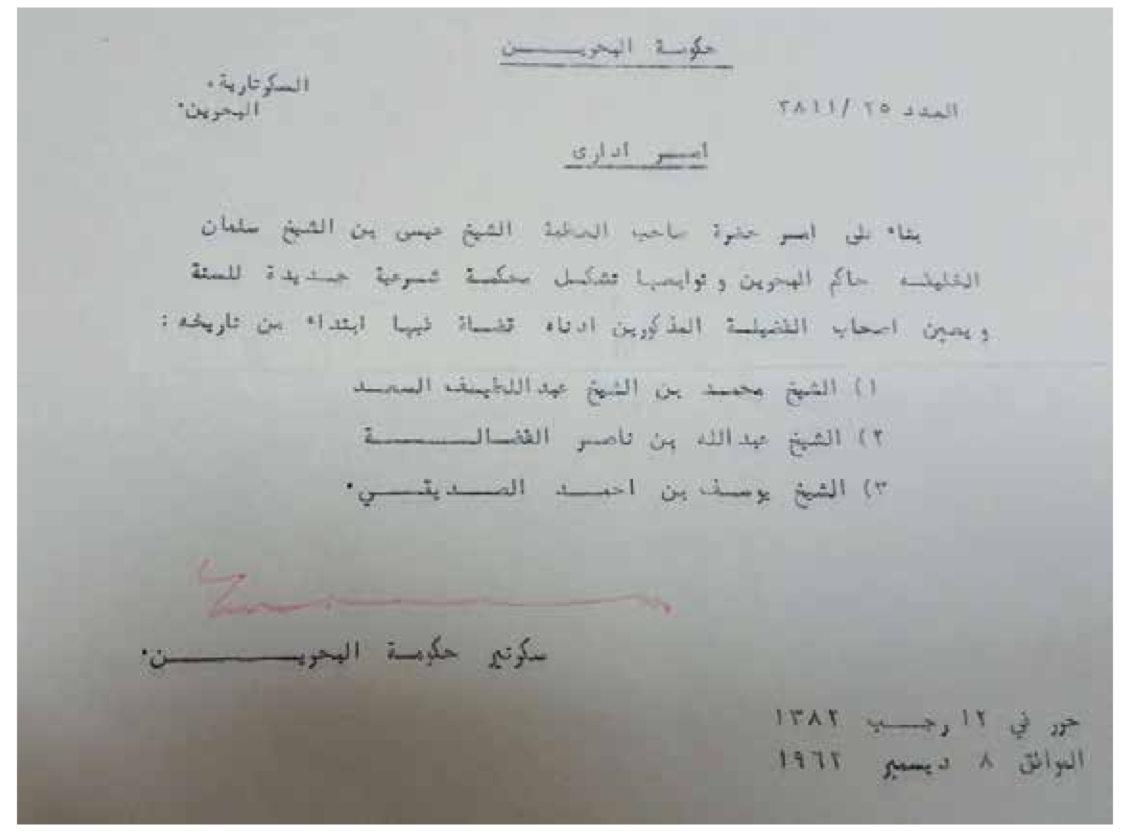
١٣- **الشيخ عادل إبراهيم الذوادي**، تردد كثيرًا إلى مجلسه ولازمه ملازمة طويلة وأخذ عنه بعضًا من العلوم في الفقه والسلوك.

بالإضافة إلى من كان يحضر دروسه، ويحضر مجلسه للعلم والاستفادة وهم كثر، منهم الشيخ العالم فؤاد البحيري خطيب وإمام جامع القضيبية، وهو رجل عالم فاضل، يتميز بمواعظه البليغة، وأساليبه الجميلة، والشيخ كمال الدسوقي خطيب جامع الزلاق، والشيخ زكي خطيب جامع أم الحصم، وكان سابقًا خطيبًا لجامع الزلاق، والشيخ فهمي متولي، والشيخ الأديب أحمد محمد يوسف، والشيخ المحدث الدكتور ناجي العربي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وابن الشيخ قاسم الغانم الشيخ إبراهيم، كما أنه درس عليه الكثير من أبناء الزلاق حينما كان مدرسًا، منهم: السيد محمد بن فيحان الدوسري ، كان مدرسًا للفن بمدرسة الزلاق، صاحب فن ورسم جميل، ثم أصبح أول نائب في البرلمان عام ٢٠٠٢م، كان ذا خلق وخفة دم، وكان ممن درسني، رحمه الله تعالى، والسيد مفتاح الدوسري، وهو أستاذ بارع في الفلسفة والتاريخ، ويحفظ الكثير من المواقف التاريخية. وقد درست على يديه التاريخ في المرحلة الإعدادية، وخلق كثير لا أستحضر أسماءهم.

- **المبحث الخامس: توليه القضاء:**

قضى الشيخ في مهنة التدريس ثلاث سنوات ثم بعد ذلك التحق بسلك القضاء في المحاكم الشرعية بأمر من الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في ١٢ رجب ١٣٨٢هـ الموافق ٨ ديسمبر عام ١٩٦٢م، ولمحبة الشيخ سلمان بن حمد للشيخ يوسف أوصى أبناءه به خيرًا، يقول سمو الأمير محمد بن سلمان رحمه الله للشيخ يوسف لقد أوصى أبي بك خيرًا، وقال لي " تَحمَّلوا بالشيخ يوسف، تراه رجل عالم وراح ينفعكم " ومن ذلك الوقت كان أبناء الشيخ سلمان أوفياء للشيخ يوسف يكنون له كل محبة وتقدير، احترامًا لوصية أبيهم. وبعد أن انتقل الشيخ سلمان إلى الرفيق الأعلى، أرادوا تنفيذ وصية أبيهم فصدر الأمر الأميري بتعيينه قاضيًا شرعيًا.

وقد صدر الأمر الأميري بتعيينه قاضيًا هو وزميليه الشيخ عبدالله الفضالة، والشيخ محمد بن الشيخ عبداللطيف السعد في يوم واحد.


حكومة البحرين

السكرتارية،
البحرين.

العدد ٢٥/ ٢٨١١

امر اداري

بناء على امر حضرة صاحب العظمة الشيخ عيسى بن الشيخ سلمان الخليفة حاكم البحرين وتوابعها تشكل محكمة شرعية جديدة للسنة ويعين اصحاب الفضيلة المذكورين ادناه قضاة فيها ابتداء من تاريخه:

١) الشيخ محمد بن الشيخ عبداللطيف السعد
٢) الشيخ عبدالله بن ناصر الفضالة
٣) الشيخ يوسف بن احمد الصديقي.

سكرتير حكومة البحرين.

حرر في ١٢ رجب ١٣٨٢
الموافق ٨ ديسمبر ١٩٦٢

(صورة من الأمر بتعيينه قاضيًا هو وزملاؤه)

كان عمله في القضاء الشرعي يتطلب منه سرعة البت في الخصومات، وكتابة الأحكام وإبرام العقود الشرعية، وكان القاضي يحكم باجتهاده، حيث لم يكن هناك قانون للأحوال الشخصية، فكان القاضي يبحث ويتعب في البحث عن القضية، ولكن من يتمتع بالعلم وسعة الاطلاع لم يكن يجد عقبة أمامه، ويسهل عليه التعامل في القضية.



على منصة القضاء

وتشاء الأقدار أن يجتمع الشيخ الصدِّيقي بصديق الدراسة الشيخ عبدالله الفضالة، إلى جانب كل من الشيخ محمد بن عبداللطيف السعد، والشيخ إبراهيم آل محمود، والشيخ عمر القاضي، وكان رئيس المحكمة في ذلك الوقت الشيخ عبدالرحمن المهزع، الذي كان يمتاز بشخصيته القوية، وذكائه الحاد، وسرعة البت في القضايا. يقول عنه الشيخ: "كان رجلاً ذا شخصية قوية، كريم النفس، يحسن التعامل مع الخصوم، مع سرعة البت في قضاياهم، لازمته فترة طويلة فكان نعم الرجل الصالح".

تميز الشيخ في عمله في سلك القضاء الذي كان يتمتع فيه القضاة في ذلك الوقت بصلاحية كاملة وواسعة، فكانوا يكتبون الأحكام في مجلس القضاء، وكان همهم مصلحة الناس وحل قضاياهم بسرعة مع إحقاق الحق، ولم يكونوا يؤجلون قضاياهم إلا بحسب ما تسمح به الضرورة، أو وفق

ما يتطلبه سير القضية، ولم تكن هناك قضايا متراكمة، فتراكم القضايا من دون مسوغ غير مقبول، كما يقول الشيخ، فالإنسان الذي يحمل همّ الآخرين لا يستطيع أن ينام إلا إذا سعى إلى حل مشاكلهم.

تدرج رحمه الله في المناصب القضائية من قاضٍ إلى قاضي تمييز في المحكمة الاستئنافية الشرعية ثم وكيلاً للمحكمة.

وكان المغفور له الشيخ عيسى بن سلمان حاكم البحرين راضيًا وفخورًا بتولي الشيخ يوسف منصب القضاء، ورأى أنه الشخص الكفؤ لهذا المنصب، فقد ذاع صيته بين الناس بحكمه العادل في القضاء وعدم خشيته من أحد، لا يظلم أحدًا، ويستمع إلى الجميع ويصغي باهتمام شديد، فيحكم بالعدل وبما يدين به أمام الله سبحانه. لذلك اتخذه الشيخ عيسى صديقًا له ومستشارًا في الأمور الدينية والقضائية، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

- **المبحث السادس: أخلاقه وصفاته واحترام آرائه، وفيه ثلاثة مطالب:**

- **المطلب الأول:** أخلاقه وصفاته.
- **المطلب الثاني:** تقدير الشيخ واحترام آرائه.
- **المطلب الثالث:** اعتداله الفكري.

- المطلب الأول: أخلاقه وصفاته.

كان الشيخ يُضرب به المثل في حسن الخلق ، فقد كان واسع الصدر حليمًا، طيب النفس كريمًا، فهو يمتاز بالهدوء، وحسن المعاملة والعشرة، كان ذا أخلاق جمة، كريمًا في البذل، بشوشًا يزنه حسن الخلق،لم يسئ إلى أحد، ولم ينتقم لنفسه، صبوراً على المصائب والإيذاء من الجاهلين والمتطفلين. ومع كثرة المتطفلين عليه وحساده إلا أنه لا يعير لهم اهتمامًا. لم يحسد أحدًا مع كثرة حساده الذين حسدوه على مكانته وحظوته، كان متواضعًا لله فلم يغره منصبه التكبر على الناس والإعراض عنهم، بل كان يتوددهم، ويفتح مجلسه كل يوم ، لا يرد سائلاً ولو بشيء قليل. ينتفع به الجالس، ومجلسه عامر بطلبة العلم والعلماء والوجهاء. كان يقضي جل وقته في القراءة، ويحل مشاكل الناس ويبت في قضاياهم. اتخذ من مجلسه منصة للقضاء تسهيلاً وتيسيرًا لهم.

كان زاهدًا في الدنيا ولم يأخذ شيئًا من لُعاعاتها، ولم يتعلق بمظاهرها ومباهجها، ولم يطمع في أن يأخذ أكثر من حاجته، مع قدرته على تحصيل المزيد من المال، تميز بالكرم، كان سخيًا لا يلق بالاً للمال، لا يفرح بمجيئه ولا يحزن لذهابه. كان دائمًا ما يقول: ماذا سنأخذ من هذه الدنيا، وماذا سنخرج منها، ويمتثل بالقول:

وانظر إلى من ملك الدنيا بأكملها	هل راح منها بغير القطن والكفن

كان يزور الناس في بيوتهم، لا يفرق بين غني وفقير، ووجيه وبسيط، الكل عنده سواء، يعود المرضى، ويتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم، ويجبر خواطرهم.

فكم من شخص أساء إليه فتنازل عن حقه، بل وسعى في خدمته، وتشفع له، وأكرمه، وكأن شيئًا لم يحدث، ولذلك انتقده الكثير على ذلك، فكان لا يبالي ولا يستمع لنصيحة تثنيه عن معروف يقدمه حتى لو كان من المسيئين إليه.

لم يشتكِ قط من ملل أو كسل، وكان حريصًا جدًا على الوقت، فإذا جاءه أحد في مجلسه وهو يقرأ، وأراد أن يخوض في أمور الدنيا، استصحبه معه إلى عالمه، عالم الفكر والتنوير والمعرفة.

ولم يكن يكسر خواطر من يتعامل معهم في البيع والشراء ونحوه من آسيويين وغيرهم، بل يجبر خواطرهم، فكم من شخص تعامل معه ، وهو يبيع أكثر من سعر السوق، ومع ذلك ظل يشتري منه، ولو شيئًا بسيطًا. وأذكر أني كنت معه نشتري، فباعه الرجل بسعر غال، فقلت: يا أبي هناك مكان تباع فيه هذه البضاعة بسعر أرخص من هذا، فأخذت أنقص من سعرها، فقال لي: لا تفعل، ولما اتفقنا على سعر معين أعطاه الشيخ السعر الأول. وكأنني لم أصنع شيئًا، فلما انصرفنا سألته عن ذلك، فسكت، ثم قال، هذا مسكين لديه العديد من الالتزامات من أجرة محل وعمال... إلخ، ثم قال، يروى أن الشافعي اشترى سلعة، فقيل له بكم اشتريتها، فقال بدينارين، فقيل له، حقها دينار واحد. فقال: نعم ، حقها دينار وحق كرامتي دينار.

- **صفاته:**

كان رحمه الله قصيرًا، نحيف البدن، أسمر اللون قليلاً، كان يكتحل بالإثمد في كل يوم جمعة، ولحيته كثة، يخضبها بالسواد، أنيقًا في ملبسه، يلبس الغترة البيضاء وعمامة فوق الغترة يوم الجمعة وأيام العمل، و أثناء الزيارات الرسمية، وكان يلبس البشت دائمًا حتى في أوقات صلاة الفريضة في المسجد.

كان قليل الطعام لا يأكل إلا ما يسد جوعه، وينام قليلاً، ولكنه يخلد إلى النوم مبكرًا، لا يحب السهر، ولذلك كان لا يشتكي كثيرًا من الأمراض، وغالبًا ما يكون فطوره في الصباح التمر والقهوة. وكيف يكثر من الطعام من ذاق لذة الأنس بالكتاب وعاش معه، فلا يصلح حال، ولا تنتج عند الإنسان معرفة مع بطن ممتلئ، فكثرة الأكل مجلبة للنوم والكسل، وهي من أسباب الشهوات وقسوة القلب، جاء في الإحياء للإمام الغزالي " البطن على التحقيق ينبوع الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات" . وهذا سيدنا لقمان يوصي ابنه بقول: " يابني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وجلست الأعضاء عن العبادة" .

كان سمتًا في مشيه، يمشي بهدوء واطمئنان وكأنه يعدها عدًا، لا يحب العجلة في أموره إلا إذا قصده ضيف فإنه يستعجل،لم يكن يغضب بسرعة، ويتعامل مع المشاكل بهدوء، ويجبر الخواطر، يحب النكتة، ويكره الكسل. وكان صبورًا على الشدائد، وعلى المرض أيضًا، وكان صبره على العلم أشد.

ـ المطلب الثاني: تقدير الشيخ واحترام آرائه:

حين عاد الشيخ إلى البحرين كان موضع تقدير الجميع واحترامهم، كما حظي الشيخ بمكانة رفيعة في المجتمع تقديراً لمكانته العلمية وحسن تعامله وصداقته مع الجميع، وامتد هذا التقدير ليصل إلى أعلى المستويات، فقد كان الشيخ محط إعجاب حاكم البحرين آنذاك سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة طيب الله ثراه الذي استمع من الشيخ في أحد لقاءاتهما لقصيدة طويلة تحكي تاريخ آل خليفة الكرام، ورغم أن عدد أبياتها تجاوز ألف بيت فإن سمو الشيخ سلمان استمع لها كاملة وأعجب بها كثيراً، وعنوانها: (أرجوزة لطيفة في سير ووقائع آل خليفة). وقد أمر بطباعتها على نفقته الخاصة.



(غلاف الأرجوزة وقد طبعت عام ١٣٧١ هـ)

لقد كان الشيخ رحمه اللّه موضع تقدير واحترام الجميع وكذلك كانت آراؤه. ففي الستينيات من القرن الماضي توجه وزير المعارف في ذلك الوقت الأستاذ أحمد العمران إلى الشيخ الصدِّيقي ليطلب منه أن يقنع الأهالي بافتتاح مدرسة للبنات في الزلاق، بعد أن تحرّج الكثير من العائلات في إرسال بناتهم إلى المدرسة، فالعادات والتقاليد في ذلك الوقت كانت تقضي بأن المرأة يجب أن تلزم بيتها، وعندما توجه الأهالي إلى الشيخ الصدِّيقي بالسؤال حول السماح للبنات بالتعلم؟ أجابهم بأن التعليم واجب على الجميع، ولا فرق بين ذكر وأنثى، ولا ضير من السماح للبنات بالتعلم، فما كان من أهل القرية إلا أن تقبلوا رأي الشيخ رغم اعتراض بعضهم، ولهذا تم افتتاح مدرسة ابتدائية للبنات عام ١٩٦٠م. وكان أهالي الزلاق يرجعون إلى الشيخ في أغلب القضايا الأسرية لحلها، كونه المرجع الديني لأهل القرية، بل للبحرين بأسرها.

وكان الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان –طيب الله ثراه- يضعُ جُلّ ثقته فيما يقوله الشيخ يوسف في الأمور الدينية فإن كانت هناك قضية مطروحة كان يقول: " وماذا قال الشيخ يوسف؟ «ما علينا من أحد»، إلّي يقوله الشيخ يمشي " . هذا ما كان ينقله إليه السيد يوسف بن ارحمة رئيس ديوانه. وفي إحدى السنوات تم الإعلان في بعض دول الخليج أن غدًا أول أيام عيد الفطر، ولكن الشيخ يوسف لم يتبع تلك الدول في إفطارها لأنه من المستحيل رؤية الهلال حسابيًا، حيث كان لديه اطلاع واسع، وإلمام في علم الفلك (١) ، وقال إن غدًا هو المكمل لرمضان، فلما وصل الأمر إلى الشيخ عيسى رحمه الله، قال: (إلي يشوفه الشيخ) .



(مع الأمير الراحل في إحدى زياراته الرمضانية)

١- أخذ الشيخ علم الفلك من علماء الأزهر الشريف، حيث يعتبرون أن تدريس علم الفلك أمر مهم وضروري كسائر العلوم الشرعية، لأنه يتعلق بمواقيت العبادات من صلاة وصيام وحج وأعياد. وقد استفاد الشيخ يوسف من عمه الشيخ عبدالله، الذي كان واسع الاطلاع في علم الفلك، حيث أخذ هذا العلم على يد العلامة المؤرخ الشيخ خليفة النبهاني رحمهم الله جميعًا.

- **المطلب الثالث: اعتداله الفكري:**

أسلفنا فيما مضى أن من أسباب محبة الشيخ لدى الناس وذياع صيته في الأرجاء تواضعه واعتداله وتنور آرائه، وهذه الصفات جعلته، رحمه الله، محبوباً ومقدّراً من الجميع، وقد كان معتدلاً في فكره يمقت الطائفية، بل كان -رحمه الله- على اطلاع وإلمام واسعين بالفقه الجعفري، وكانت مكتبته تضم العديد من كتب الفقه الجعفري، وكان بعض الشيعة يسألونه عن بعض المسائل الفقهية والأسرية لما عرفوا عنه من اعتداله وسماحته. لقد كانت علاقته رحمه الله طيبة بالعلماء الشيعة الذين كانوا يزورونه في مجلسه ومن هؤلاء السيد عبدالمجيد الخوئي والسيد محمد علي الشيرازي. وكذلك علاقته بالعلماء الإباضية، فكانت تربطه علاقة حميمة بالعلامة الشيخ أحمد الخليلي، والشيخ أحمد الحارثي. وعن ذلك يقول الشيخ رحمه الله: " أبغض التعصب المقيت في المذاهب، فالجميع يختلف، إنهم ينهلون من معين عذب، وهو كتاب الله، وهم الذين عناهم الشاعر بقوله:

وكلهــم مــن رسول الله مُلتمسٌ ... غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

وقد كان بعض الشيعة في القرى المجاورة للزلاق يأتون إليه للسؤال وللرقية الشرعية.

المبحث السابع: علاقاته وأصدقاؤه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقاته بحكام البحرين وأفراد العائلة المالكة، والأصدقاء.

المطلب الثاني: علاقاته بالعلماء.

المطلب الثالث: أصدقاؤه.

- **المطلب الأول: علاقاته بحكام البحرين وأفراد العائلة المالكة، والأصدقاء:**

للشيخ علاقات واسعة وطيبة مع جميع الناس من حكام ومحكومين، لذلك لم تنحصر علاقاته في داخل البحرين بل تعدتها إلى العالم كله، وذلك لما يتمتع به من علم وحكمة وسمعة طيبة.

وقد تعلق الشيخ منذ صغره بهذه الأسرة الكريمة وأحبها، وصارت بينه وبين أفرادها صداقات، وعلاقات حميمة، كما قرأ سيرة هذه العائلة قراءة متأنية وموسعة، وعرف رجالها وأبطالها، فكان أفراد هذه العائلة يسألونه عن تاريخهم فيجيبهم بتوسع، وبمعرفة الواثق بكل معلومة يقولها، وقد ألف الشيخ منظومة فاقت ألف بيت في سير ووقائع آل خليفة أهداها للشيخ سلمان بن حمد، سيأتي تفصيل حديثها. ومما كتبه الشيخ عن هذه العائلة باختصار في نهاية الخمسينيات:

" إن نسبهم يتصل إلى عنزة، وكان مقطنهم في نجد بمحل يقال له الهدار، وكانت لهم الكلمة العليا، والنفوذ التام، ولأسباب عربية، وإرادة أزلية، حركتهم إلى النهوض، فنهضوا ويمموا ساحة الكويت، ولم يلبثوا إلا مدة وجيزة، حتى سرت حمية الشرف والبطولة في مسام عروقهم، فقصدوا الزبارة، وسرعان ما نزلت أقدامهم هناك حتى التف حولهم بعض قبائل العرب القاطنين هناك، وأغدق آل خليفة من سحائب جودهم على أولئك القاطنين، فكأني بشاعرهم يقول:

فهم كماء المزن ما في نصابهم … كهام ولا فيهم بعد بخيل

فبايع أولئك القومُ الزعيمَ الأول محمد بن خليفة، لأنهم رأوا رجلاً ينبغي أن توضع مقاليد الأمور بيده، وهم عند ظنهم. ولما أرادت المشيئة الأزلية أن يبزغ نجمهم في سماء البحرين،

أرسلوا بعض خدمهم إلى البحرين لشراء بعض لوازمهم، وحدث بينهم وبين المزارعين من رعايا البحرين بعض النزاع، وكانوا إذ ذاك تحت الأعاجم، فاستشاط أميرهم غضبًا على ما فعل خدمُ آل خليفة من النزاع مع رعاياه، فجهز جيشًا إلى الزبارة لكي يحاربهم هناك، وما علم أنه سيحارب أبطالاً صناديد، ذوي قوة وبأس شديد. فما طلعت سفنه عليهم إلا وآل خليفة على غاية ما يرام من الأهبة والاستعداد، فأخذ الراية البطل الشيخ أحمد وهو يقول:

ألا لا يجهلـن أحـد علينـا فنجهـل فـوق جهل الجاهلينا

فما نزل الجيش إلى الساحل، إلا والأشاوس في وجهه، وما هي إلا نحرة جزور حتى كتب الله النصر والظفر لآل خليفة، ودحر عدوهم، فساروا يجرون ثوب الخيبة والفشل. وعند ذلك يمم آل خليفة لساحة البحرين، وملكوا زمامها بحزم وقوة، وكم دحروا من خصم ألد حاول الاستيلاء عليها، وما زالت تتوالى على عرشها من أبناء آل خليفة جيلاً بعد جيل إلى أن تربع على عرشها عظمة الحاكم الحالي الشيخ سلمان، فقادها بحزم ثاقب إلى ساحل النجاة، وازدهرت بجده ازدهارًا ملموسًا " .

- **أولاً: علاقاته مع الحكام:**

- **الشيخ عيسى بن علي:**

أدرك الشيخ الصدِّيقي الشيخ عيسى بن علي رحمه الله المتوفي عام ١٩٣٢م، ولكن لم يلتقه، و كان عمر الشيخ حين توفي ثلاث عشرة سنة، وقد أرّخ الشيخ لوفاته بأنه توفي في ٢٥ شعبان ١٣٥٠هـ.

وقد كتب الشيخ في مذكراته أن بحر العلوم محمد صالح النجفي، وهو شاعر عراقي، وهو من مدينة النجف قد رثى الشيخ عيسى بن علي بقوله:

الأرض تـرجف والسماء تمـور والـريح تنسف والخليج يفـــور

والجـو ينحب والطبيعة شاعـر ينعــى وشعــر دمـوعه منثور

وقال:

قـد كان أكبـر مصلح يرمـي لما ... فـيـه صـلاح بـلاده ويشيـر
يمشـي ومنفعـة بلاده أمامـه ... ويسيـر والآمال حيث يـسـيـر
ويـرى رعيتـه بعين عنايـة ... مـامَسَّها الإهمال والتقصيـر

وهي قصيدة رائعة فيها الكثير من الحكم والعظة، ويبلغ عدد أبياتها (٩٣) بيتًا وهي من محفوظات الشيخ.

وكذلك رثاه الشاعر محمد سهيل الملحم، ومطلعها:

خطب دهى الشرق فارتجت جوانبه ... وأظلم الجـو وازداد غيـاهبـه



(قصيدة سهل الملحم في رثاء الشيخ عيسى بن علي)

- **الشيخ حمد بن عيسى:**

كذلك أدرك الشيخ حمد بن عيسى الذي تولى الحكم بعد وفاة والده، والمتوفى عام ١٩٤٢م والتقاه مرات عدة في بيت جده الشيخ محمد بن شريف بالزلاق، وكذلك التقاه في مجلسه بالصخير، حيث اتخذ من هذا المكان مقرًا له، وكان يثني على الشيخ يوسف ويتوسم فيه الخير، وأنه من سيحمل مشعل النور والعلم بعد جده. ويتذكر الطفل يوسف الشيخ حمد جيدًا، وأنه ذو هيبة، وذكر الشيخ في مفكرته بقوله:« **توفي الشيخ حمد بن عيسى حاكم البحرين في ٨ صفر ١٣٦١هـ وكان عمره يوم وفاته ٧٢ سنة، ومدة حكمه عشر سنوات، وصفته أنه طويل القامة، كث اللحية، طويل الوجه، مشرب بحمرة. أما أخلاقه، فجميلة إلى حد النهاية، رحيم القلب بالفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، بحث الآبار وبنى المساجد، وقد حج بيت الله الحرام في عام ١٣٥٦هـ. كما سار إلى بر ظهران للقنص هو وعائلته، وأخوه الشيخ محمد، واجتمع مع الملك عبدالعزيز في ٢٢ شوال ١٣٦٠هـ** ». ويصف الشيخ يوسف فترة الشيخ حمد بأنها كانت "**فترة عصيبة حيث الحرب العالمية الثانية، وقد ضربت البحرين بقنابل لتدمير المنشآت النفطية. حيث ضربت في ١٨ رمضان ١٣٥٩هـ بأربعين قنبلة من الدولة الإيطالية على ساحل الجزيرة من الشرق على موضع يسمى (الفينري). وأنه قد سعى لتحسين المستوى المعيشي، وفي عهده شيد جسر يربط بين المنامة والمحرق في ٢٨ ذي القعدة ١٣٦٠هـ.**"

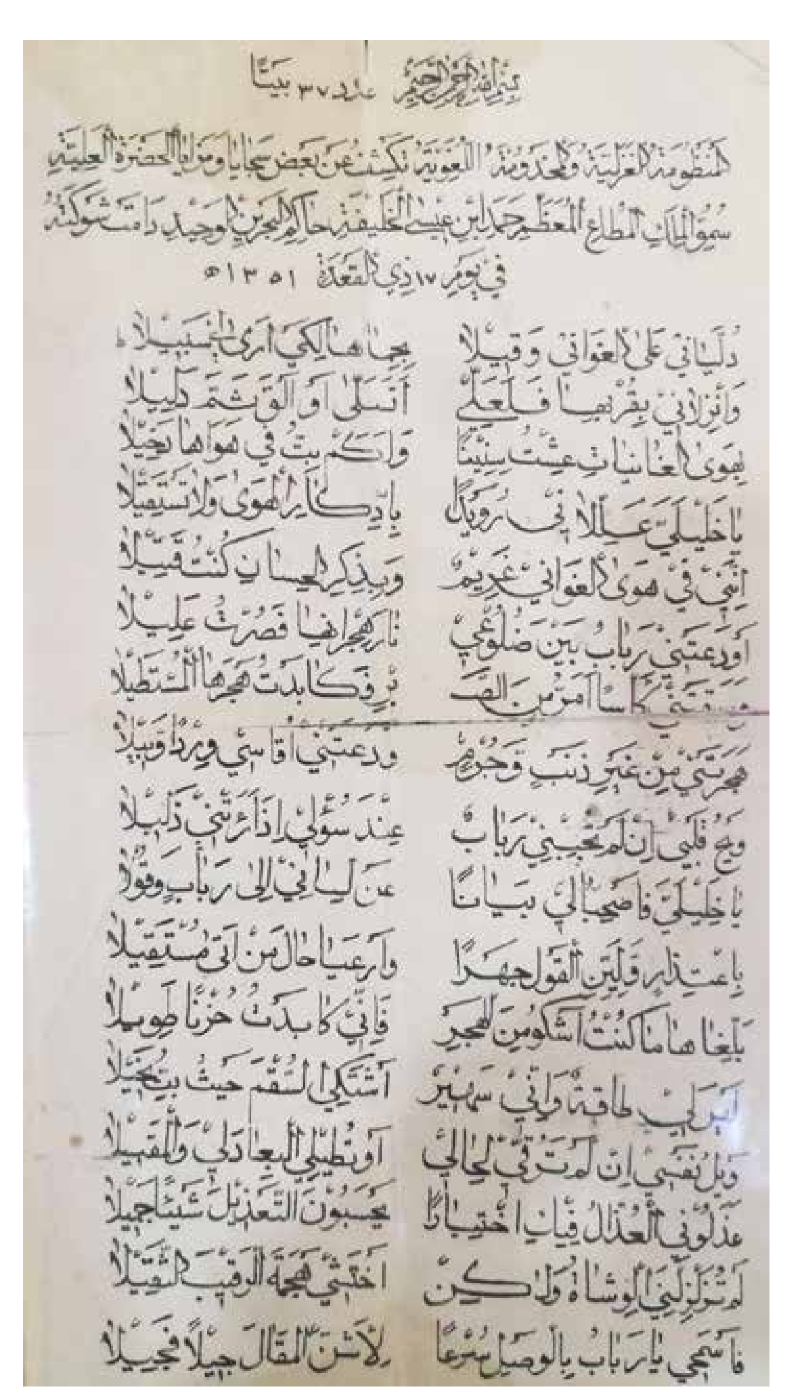
وكان الشيخ حمد منظمًا في حياته، وفي إدارة دفة الحكم، حتى أنه نظم عملية الزواج، فكان يحرص ألا يتزوج أحد إلا بعد أخذ موافقة مسبقة منه، وذلك لحصر حالة الزواج، وعدم ترك الأمور على مصراعيها من دون ضوابط. وصف الشيخ يوسف الشيخ حمد بقوله:

صفــاتُــه كان طــويلَ القامــة	وكثَّ لحيــةٍ عظيـمَ الـهـامــة
مُورَّد الوجــه إلى الطـول قريبْ	وجهوريَّ الصوت كم كان رحيبْ
ويُكــرم الجــائـع والعُــريــانـا	لطاعــةٍ كـم شَيَّد البنيــانـا
وكان مَشغوفًا بشِعــر القُدمــا	أهـلَ بـلاغــةٍ يحُبُ الكَـرمـا

وقد رثاه بكلمة رقيقة وهو في سن العشرين، لذلك جاءت كلماتها سهلة بسيطة، قال فيها:

رحماك أيها القبر بهذا الضيف القادم، كن رحيمًا أيها القبر بابن عيسى، فهو ذو اليد الطولى. إن الحياة أيام معدودة، والأيام تختلس العمر اختلاسًا، فالموت كالمقراض يقرض العمر إقراضًا، أيامنا تطوى، وهي مراحل. والإنسان مهما بلغ من السلطة والنفوذ لابد أن تزوره أسد المنية.

وقد امتدح الشيخَ حمد بن عيسى الشاعرُ الكويتي زين العابدين في يوم ١٧ من شهر ذي القعدة عام ١٣٥١هـ بقصيدة أسماها (المنظومة الغزلية والمخدومة اللغوية تكشف عن بعض سجايا ومزايا الحضرة العلية) قال فيها:



بسم الله الرحمن الرحيم عدد ٣٧ بيتاً

المنظومة الغزلية والمخدومة اللغوية تكشف عن بعض سجايا ومزايا الحضرة العلية

سمو الملك المطاع المعظم حمد ابن عيسى الخليفة حاكم البحرين الوحيد دامت شوكته

في يوم ١٧ ذي القعدة ١٣٥١هـ

دلّـاني على الغواني وقيلا ... بحماها لكي أرى التسبيلا

وأنزلاني بقربها فلعلي ... أتسلى أو ألتقي ثم دليلا

بهوى الغانيات عشت سنينا ... وأكم بت في هواها نحيلا

يا خليليَّ علّلاني رويدا ... بادّكار الهوى ولا تستقيلا

إنني في هوى الغواني غريم ... وبذكر الحسان كنت قتيلا

أودعتني رباب بين ضلوعي ... نار هجرانها فصرت عليلا

[illegible] كأساً أمرّ من الصـ ... ـبرِ فكابدت هجرها المستطيلا

هجرتني من غير ذنب وجرم ... ودعتني أقاسي وجداً وبيلا

ويح قلبي إن لم تجبني رباب ... عند سؤلي إذا رأتني ذليلا

يا خليليَّ فاصحبا لي بيانا ... عن ليالي إلى رباب وقولا

باعتذار ولين القول جهرا ... وارعيا حال من أتى مستقيلا

بلغاها ما كنت أشكو من الهجـ ... ـر فإني كابدت حزناً طويلا

أين لي طاقة وإني سهير ... أشتكي السقم حيث بت نحيلا

ويل نفسي إن لم ترق لحالي ... أو تطيلي البعاد لي والمقيلا

عذلوني العذال فيك اختيارا ... يحسبون التعذيل شيئاً جميلا

لم تزل لي الوشاة ولكن ... أختشي هجمة الرقيب الثقيلا

فاسمحي يا رباب بالوصل سرعا ... لا أشن القتال جيلاً فجيلا

دليـاني علـى الغــوانـي وقيـلا	بحماها لكي أرى لــي سلسبيلا
وأنــزلانــي بقــربهـــا فلعلــي	أتسلـى أو ألـــق ثـــم دلـيــلا

إلى أن قال:

ملك تـنــظــر الملــوك إلــيــه	نـظــرة الــود حيث كان جليلا
ملك حاز حوزة الملك بالصبــر	وفكـــر كالطــود بـــا ثــقيـلا
ملك أســبـل الإلــه علـيـه	نعمة لا تحصــى ولن تستحيلا
حمدًا لاسم ماضي لفعل مولـى	زاد في الـنـــاس رتبـة تكميلا

وهي قصيدة من (٣٧) بيتًا، كتبها الشاعر بخط يده، بخط جميل جدًا، وهي موجودة في مكتبة الشيخ، وهي النسخة الأصلية.

وقصيدة:

عرجا بي على أكناف الصخير	وانزلانـــي بهـــا بلا تنكـيـر
حيث إني وجدت فيها شفـــاء	مذ عراني سقْم بـــداء وفـيــر

وهي قصيدة من (٢٣) بيتًا.

ومما مدحه مبارك العقيلي بقوله:

لشمس مجدك في الآفاق أضواء	وللمقلين في جـــدواك إثـــراء
وللكـــرام إذا تتلى فضائلكـــم	في كل محفل إطراق وإصغـــاء

وهي قصيدة من (٣٨) بيتًا مؤرخة في ٧ محرم ١٣٥٨هـ

كما رثى الشاعرُ علي بن عبدالله الشيخَ حمد بقصيدة بعثها إلى رئيس ديوانه عبدالله بن جبر

قال فيها:

خَطبٌ دهانا ياللّه من حـــادث	بـه القلـوبُ فُجعتْ والأكـبُـدا
يا للبــلاد يالها مـن نكـبـــة	بها الخليجُ مُـدْلَهِـمٌ أَسْـــوَدَا
يـا لـلــرَّعيةِ قـد أُصيبُوا كُلُّهُـم	بموتِ مَنْ أَضْحى مَلِيْكًا سَـيّـدًا
أعني به الشهم المطاع المُنتقـى	نجلٌ لعيســى بن علــي حَـمَـدا
آل خليفة دامَ ربــي مجــدهـم	دهرًا وظَفّرَهـم على كل العِـدا

وهي قصيد من (٢١) بيتًا

- **الشيخ سلمان بن حمد:**

وهو الذي تولى مقاليد الحكم بعد وفاة والده عام ١٩٤٢م وحتى ١٩٦١م وفي زمنه واجه كما يقول الشيخ متاعب كثيرة، ولكن الشيخ سلمان بعزمه وحكمته استطاع أن يتغلب على تلك الصعاب. وكان بين الشيخ سلمان والشيخ يوسف علاقة وطيدة، وعلاقة محبة واحترام، ويصف الشيخُ يوسف الشيخَ سلمان بأنه صاحب حكمة وعزم قوي، وأنه كان يتذوق الشعر ويلامس وجدانه.

ولمحبة الشيخ يوسف للشيخ سلمان نظم له قصيدة رائعة تفوق ألف بيت تحكي سيرة ووقائع آل خليفة الكرام منذ دخولهم البحرين وحتى وقت الشيخ سلمان، نظمها في نهاية الأربعينيات، حيث الشباب والعزيمة والنشاط.

للقصيدة حكاية:

يقول الشيخ يوسف: كنت أجلس ساعات طوالاً في المسجد أنظم القصيدة من الصباح الباكر وحتى المغرب، إلى أن انتهيت من نظمها خلال أيام، يدفعني إلى ذلك الحماسة ومحبتي للشيخ سلمان في أن أهديه شيئًا من عندي، فهو يستحق كل التقدير، لأنه كان يكرمني ويحبني، ويضيف: وحين انتهيت منها أبلغت الشيخ سلمان فناداني بعد صلاة الصبح، وكان من عادته أن يصحو مبكرًا ويستقبل الناس وينظر في حاجاتهم، فقصدت قصر الصخير، وألقيت عليه القصيدة، وعلى الرغم من طولها إلا أنه أصر أن يسمعها كاملة من دون أن يمل أو يضجر، وفي وجهه البشر

والرضا، فالشيخ سلمان يتذوق الشعر وينظمه كذلك، فمكثت أكثر من ساعتين ونصف الساعة ألقي القصيدة وهو يسمع من دون أن يوقفني. ويضيف الشيخ: كنت قد ألقيتها وأنا واقف بين يديه، وكلما مالت الشمس ولا مست جسدي، قال لي الشيخ سلمان: اقرب، حتى لم يبق بيني وبينه سوى متر واحد. وحين انتهيت من إلقاء القصيدة شكرني بحرارة بالغة، ووجهه يكسوه الرضا والإعجاب، وقال له الشيخ سلمان: بمثلك نفتخر، ثم أمر بطباعتها، ومطلعها:

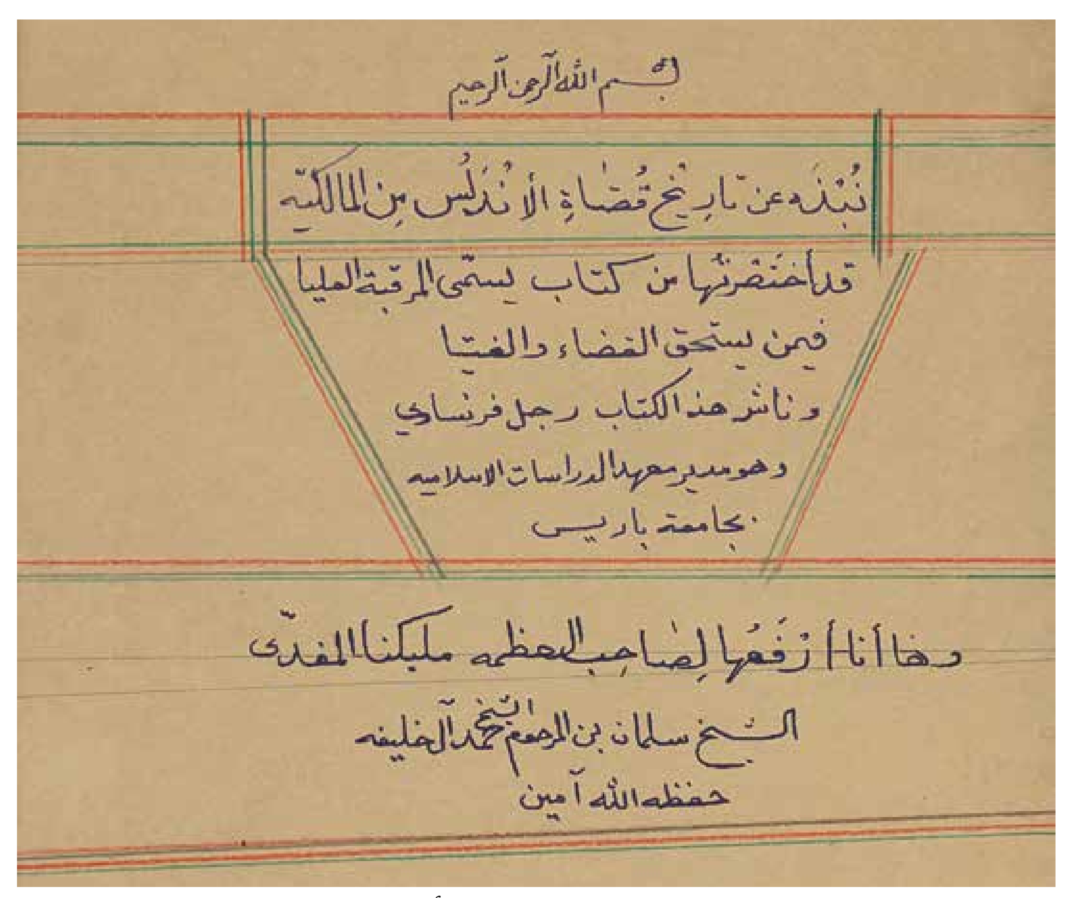
الحمد لله القديم العالم	معلم الإنسان ما لم يعلم
ثم الصلاة والسلام ما لمع	برق وما ضوء من الشمس سطع
على النبي الهاشمي الخاتم	وآله وصحبه الضراغم
وبعد فاسمع أيها الخل الأبر	مدحًا صحيحًا في البهاليل الغرر
بني خليفة الرجال الكملا	نالوا المعالي أولاً فأولا
عزهم إلى السهى متصل	عنزة منها هم تسلسلوا
أتوا من الهدار للكويت	قادهم خليفة في صمت

كما ذكر سيرة الشيخ سلمان بقوله:

ثم تولى بعده الابن الكبير	الشيخ سلمان هو الوجه المنير
في الألف والثلاثمئة واثني عشر	كانت ولادة أميرنا الأغر
وهو الذي شبه أباه في الكرم	(ومن يُشابه أباه فما ظلم)
تسلم الحكم وكان الأحزما	وفي مجال الحلم كان الأحلما
قد أنجب ثلاثة يا ذا العلا	من البنين النابغين النبلا
عيسى وبعده خليفة النجيب	ثالثهم محمد نعم الأديب

وقد كتب الشيخ كتابًا لم يكمله عن قضاة الأندلس من المالكية اختصره من كتاب يسمى (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا). كتب إهداء الكتاب للشيخ سلمان، وجاء في مقدمة الكتاب:

"... ولما كنت مغرمًا في إبان نشأتي بتاريخ أعاظم الرجال من صدر الإسلام إلى يومنا هذا



بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن تاريخ قضاة الأندلس من المالكية

قد اختصرتها من كتاب يسمى المرقبة العليا

فيمن يستحق القضاء والفتيا

وناشر هذا الكتاب رجل فرنساوي

وهو مدير معهد الدراسات الاسلاميه

بجامعة باريس

وها أنا أرفعها لصاحب العظمه مليكنا المفدى

الشيخ سلمان بن المرحوم الشيخ حمد آل الخليفه

حفظه الله آمين

(غلاف الكتاب عن تاريخ قضاة الأندلس من المالكية)

خصوصًا سير فطاحل العلماء ومناقبهم إلا أن باعي كان في العلم قصيرًا، حتى منَّ الله عليّ بالرحيل إلى الأزهر الشريف لأرد من مائه الصافي، وأتضلع من جداوله المنصبة، فنلت ما وهبني الله، وذلك بفضل وسعي صاحب العظمة الشيخ سلمان بن المرحوم الشيخ حمد آل خليفة حرسه الله آمين، فها أنا مبتدئًا فيما أشرت إليه في ذكر قضاة الأندلس من المالكية، متشبهًا بأصائل الرجال وجيادهم، وإن لم أكن أنا أمثلهم، وعلى كل إن التشبه بالكرام فلاح".

والشيخ سلمان هو من بعث بالشيخ يوسف إلى الأزهر الشريف بعد أن وجد فيه النباهة والشوق إلى طلب العلم، وحين عاد من الأزهر عينه خطيبًا في جامع القضيبية، كما قال له الشيخ سلمان بعد تخرجه من الأزهر والتحاقه بالتدريس: سيكون لك مكان في القضاء، ولكن شاءت الأقدار وتوفي الشيخ سلمان دون أن يعينه قاضيًا، ولكن الأبناء لم ينسوا وصية أبيهم الذي أوصاهم خيرًا بالشيخ يوسف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل التاريخ عبرة وذكرى والصلاة والسلام
على خاتم الأنبياء سيدنا محمد النازل عليه (وكلا نقص
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى إذ دلهم خطب أما بعد
فأنا لما عثرت على هذا الكتاب وكنت مغرما في إبان نشأتي بتاريخ
أعاظم الرجال من صدر الإسلام إلى يومنا هذا خصوصا وسير فطاحل
العلماء ومناقبهم إلا أن باعي كان في العلم قصيرا حتى من الله علي بالرحيل
إلى الأزهر الشريف لأرد ماءه الصافي وأتضلع من جداوله المنصبة
فنلت ما وهبني الله وذلك بفضل وسعي صاحب العظمة الشيخ سلمان
بن المرحوم الشيخ حمد آل خليفة حرسه الله آمين فها أنا مبتدئاً فيما
أشرت إليه في ذكر قضاة الأندلس من المالكية متبركاً بأماثل الرجال
وجيادهم وإن لم أكن أماثلهم وعلى كلٍّ إن التشبه بالكرام فلاح

(مقدمة الكتاب بخط الشيخ يوسف)

وقد كتب الصديقي رسالة وجهها إلى سمو الأمير الشيخ عيسى بن سلمان يعزيه فيها بوفاة والده الشيخ سلمان، قال فيها: ..« **إن الإنسان في هذه الحياة مهما طال عمره، ومُدَّ أجله، فهو إلى**

نهاية، لأن دار الدنيا هي دار تعب ونصب، ودار كدر وفرح، إن أضحكت يومًا لا بد أن تبكي، فهنيئًا لمن وُفّق لعمل صالح يرضي خالقه وضميره، وما قدم من عمل صالح لا بد أن يراه في صفحات سجلاته، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ (سورة الزلزلة) ولا شك أن والدكم الفقيد كان من الطراز الأول في ميدان الحياة، فهنيئًا له ما قدم، فقد بنى لنفسه أعمالاً جليلة ستظل محفوظة إلى يوم القيامة.

ولقد عرفت والدكم وأنا في سن الخامسة عشرة، ولم أسمع أن تلفظ بكلمة فيها جرح لشعور الغير، بل كان في غاية من الأدب والاحترام. وأذكر أنني توليت الإمامة في الصخير بدلاً من الشيخ علي نظرًا لغيابه، وقد صليت بوالدكم ذات مرة يوم العيد ثم خطبت خطبة العيد. وأذكر أن قال لي بعد أن انصرفنا إلى مجلسه في الصخير: ستوفق إن شاء الله لطلب العلم، وسيكون لك شأن، فكانت كلماته حافزًا قويًا، ودافعًا نحو طلب المزيد. فكان كما قال. فرحم الله والدكم، وأنزل على قبره شآبيب الرضوان، وجعل قبره روضة من رياض الجنة. وما مات من كانت آثاره أمام العيون باقية، وخلف ذرية صالحة، تسير على نهجه ومنواله، وتقتفي آثاره. وإني قد جبلت على محبتكم، والتفاني في حب هذا الوطن، والسلام».

وقد رثاه بقصيدة قال عنها الشيخ يوسف إنها لم ترق إلى ما أطمح إليه، وهي:

ريعت أوال وانهلت مـــدامعها وأجفلت غزلانهـــا في براريهـا

وارتاعت الوحوش طرًا في مراتعها وانهدت الطير قد بانت خوافيها

و سنذكرها — إن شاء الله- كاملة في المبحث الخاص بأشعاره.

- **الشيخ عيسى بن سلمان:**

وهو الصاحب الوفي، والأخ اللوذعي، الذي إذا رأيته أحببته، وإذا حادثته أكبرته، ذو خلق جم، وكرم عم، ينسيك من تواضعه أنه حاكم، بسيط مع الناس متلائم، فتواضعه يزيدك منه احترامًا، وعليه إقبالاً، تستأنس بالحديث إليه، وبالجلوس بين يديه، إن جالسته خلع معك أبهة الحاكم، ولبس معك قبعة المواطن البسيط ولكن في قراره حازم، لا يحرم من قصده، ولا يرد من سأله، يده بالعطاء ممدودة، ومساعيه للناس مشكورة، كثير التّبسُم، محبًا لأهل العلم والتعلم.

لم تكن علاقة الشيخ بالحاكم وليدة، بل علاقة قديمة منذ أن كان وليًا للعهد، فعلاقتهما علاقة محبة واحترام وتقدير، لذلك اختاره مستشارًا دينيًا لمجلس العائلة الحاكمة، وقبل ذلك قاضيًا شرعيًا، وكان يقصده في مسائله ويستشيره ويثق بمشورته، وكان يسميه (الوالد) ولم يكن يرده في أي حاجة، ويستقبله في أي وقت من ليل أو نهار.

وكان لهذه المحبة أثر بالغ في نفس الشيخ يوسف فكان دائمًا ما يثني عليه ويدعو له بالتوفيق والسداد، ومن ثقته به أن أحدًا حاول الوشاية بالشيخ وقال للأمير: إنَّ الشيخ يوسف قد قال على المنبر ما قال، قاصدًا الإساءة، فرد عليه الأمير: (الشيخ يوسف لا يقول ذلك) دون أن يراجعه، لأنه يثق بمحبة الشيخ وإخلاصه، (وحتى أنه لو قال ذلك فإن الشيخ لا يقصد الانتقاص من قدر أحد أو يفترض سوء النية في حق الآخرين)، لأن الشيخ عيسى عاشر الشيخ يوسف وخالطه منذ الصغر واصطحبه معه إلى الحج ولم ير منه إلا كل خير، وقولاً بالحق ورأيًا سديدًا.

أما سفره معه إلى الحج فقد كان في عام ١٩٦٧م وكان المرشد الديني لهم، ومن ضمن الوفد الذي رافق سمو الأمير: من العائلة الحاكمة كل من الشيوخ: أحمد بن حمد بن عيسى، وإبراهيم بن محمد بن عيسى، وعبدالله بن خالد، وخالد بن محمد، ومحمد بن علي بن أحمد، وسلمان بن إبراهيم، وحمد بن عبدالله بن إبراهيم، وإبراهيم بن حمد بن عبدالله، ومحمد بن علي بن خليفة، والدكتور علي بن عبدالله بن خالد، وخليفة بن حمد بن عبدالله بن عيسى.

وبقية الوفد هم: الشيخ يوسف بن أحمد الصدِّيقي، ويوسف بن ارحمه الدوسري، ومبارك جاسم كانو، وإبراهيم علي كانو، وأحمد بن الشيخ يوسف بوبشيت، وحمد بن ناصر بن أحمد، وعلي بن أحمد الرميحي، وعلي محمد أمين، وعلي بن عبدالله بن علي، ومحمد علي هلال، وعلي بن جابر بن حويل، وحمد بن منيخر، وسعيد بن كمبش، وعلي بن حسن الماجد، ومحمد بن علي بن فاضل، وعزيز الحلاق.

يقول الشيخ: " كان الشيخ عيسى: ملازمًا لي أثناء السفر وكان قد أجلسني إليه منذ إقلاع الطائرة وحتى وصولها، وكان يسألني عن أحكام الحج طوال فترة الرحلة، ولم أكن أثقل على المرافقين بكثرة الوعظ والكلام، ولكن هي مواعظ بسيطة وإرشادات رقيقة، وكنت أبتعد عن شبح الغلو، ورياح التشدد، وكان التيسير مع الحرص على أداء الواجب هو شعارنا، وكان الحج مع الأمير والصحبة الطيبة أكسبنا الكثير من التواضع والاحترام " .

وما يجدر ذكره هو أن الشيخ قد أهدي له قطعة كبيرة من كسوة الكعبة الشريفة، وقد احتفظ بها في داره دون أن يطلعها على أحد. وقد قمتُ بتقطيعها إلى أجزاء صغيرة أكبر من حجم اليد المعتدلة بقليل، وتوزيعها على أفراد عائلته، واحتفظت بقطعة منها متوسطة الحجم بعد أن قمت بعمل إطار لها، ووضعتها في مجلسه.

وكان الشيخ عيسى رحمه الله كثير الزيارة لمنزل الشيخ يوسف، وأحيانًا يأتيه على غير موعد مسبق، وكان شهر رمضان بعد منتصفه هي الزيارة التي لم يكن يتركها، وكان يجلس معه وقتًا طويلاً ويتناول معه الطعام.

يقول الشيخ الصدِّيقي عن هذه المحبة: " كان الشيخ عيسى يحبني كثيراً، ويدنيني من مجلسه ويقربني إليه، وكان رحمه الله صاحب نفس أبية، وخُلق كريم، ويد بيضاء، وكان رحمه الله يتمتع بالحكمة والروية، دائم التبسم، متواضعاً أشد التواضع، وهكذا العلم يكسب الإنسان التواضع الجم، وكانت ثمرة هذا التواضع هو كسب محبة الناس واحترامهم له " . ويضيف الشيخ الصدِّيقي: " وهكذا حاله معي، كان دائم السؤال عني، فإن غبت سأل عني، وإن مرضت عادني، وكان يزورني دائماً في مجلسي بالزلاق، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك، واستمرت زيارته لي حتى اختاره الله " ويتابع: " الشيء الذي لا أنساه أني حججت معه في حجته الأولى، وقد اختارني لأكون صديق رحلة الحج، وكان حلو المعشر، يعامل الجميع بسواسية، وأذكر أنه أجلسني

أمامه في الطائرة في رحلتنا إلى الحج، يسألني عن أحكام الحج، وأجيبه وهو يبتسم، وينهال علي بكلمات الشكر التي دائماً ما كان يكررها بقوله:« بارك الله فيك " .

وكان الشيخ عيسى كثير السؤال عن الشيخ يوسف وعن أحواله، حتى في وقت السفر كان يسأل عنه ويطمئن على أحواله.

كما كان للشيخ يوسف رسائل يبعثها لسمو الأمير، فكان مما كتبه وهو خارج عن أرض الوطن: **إلى شريف النسب، وكريم الحسب، سمو الأمير، أقدم إلى سموكم أزكى سلامي، وأطيب أمنياتي، متمنيًا أن تكونوا في صحة عامة، ونعمة شاملة، وأنه لا يسعني في مدحكم إلا أن أتمثل بقول الشاعر:**

الدهر لولاك ما رقت سجاياه　　　والمجد لفظ عرفنا منك معناه

ولست أشبه يديك بالسحاب جريًا على عادة القدماء، ولكنني أكون مع من يقول:

من قاس جودك يوماً　　　بالسحب أخطأ مدحك

السحب تعطي وتبكي　　　وأنت تعطي وتضحك

ولست أنسى مجالسك الغر بين أصحابك الزهر، كأن البدر وسط هالته.

ولا زالت أياديك العظام في وجوه إصلاح الوطن أكبر دليل على هممكم العالية، وآرائكم السامية، وإني وإن كنت نائيًا عن الدار، فإن ذكرك مقرون بعاطر الثناء على لسان شخصك المحبوب، مرسوم في جناني.

ولا يسعني في الختام إلا أن أنشدك هذين البيتين:

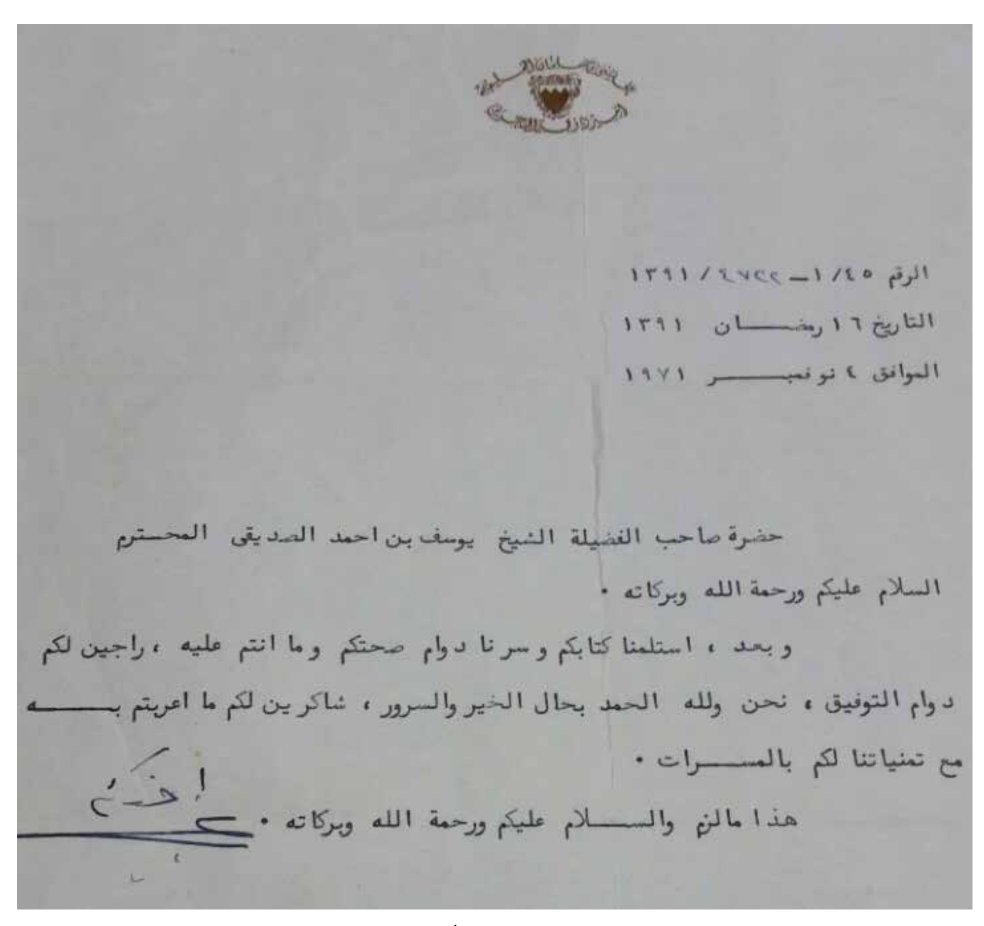
يا من أراني من صنائع بره　　　وأرى له الحمد الكثير قليلا

سيكون ذكرك عطر كل مجالسي　　　ويكون شكرك ما حييت جزيلا

وهذه المحبة امتدت إلى أبناء الأمير الراحل، وهم أصحاب السمو الشيخ راشد رحمه الله، والشيخ محمد، والشيخ عبدالله، والشيخ علي، وبناته الكريمات، حيث كانوا يزورونه ويطلبون مشورته، و يكنون له كل الاحترام والتقدير، وكان بمثابة والدهم.



(الشيخ عيسى أثناء زيارته للشيخ يوسف بمنزله بالزلاق)



الرقم ٤٥/١ـ ٤٧٢٢/ ١٣٩١

التاريخ ١٦ رمضـــان ١٣٩١

الموافق ٤ نوفمبـــر ١٩٧١

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ يوسف بن احمد الصديقى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، استلمنا كتابكم وسرنا دوام صحتكم وما انتم عليه ، راجين لكم دوام التوفيق ، نحن ولله الحمد بحال الخير والسرور ، شاكرين لكم ما اعربتم بـــه مع تمنياتنا لكم بالمســرات .

هذا ما لزم والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

(رسالة الشيخ عيسى بن سلمان رداً على رسالة الشيخ يوسف)



(الأمير الراحل عيسى بن سلمان مع الملك سلمان بن عبدالعزيز والشيخ يوسف الصديقي)

ولثقة الشيخ عيسى رحمه الله بالشيخ يوسف اختاره لإبرام عقود العائلة المالكة، ويُذكر أن أول عقد أبرمه هو للشيخ عيسى بن راشد آل خليفة على كريمة الشيخ سلمان بن حمد الشيخة شيخة بنت سلمان، وكان الشيخ سلمان قد توفي رحمه الله، فحرص الشيخ يوسف أن يسمع موافقتها ورضاها بهذا الزواج بنفسه. ومن بعده عقد للشيخ خالد بن عبدالله بن خالد آل خليفة على كريمة الشيخ سلمان أيضًا وهي الشيخة مريم. وكذلك للشيخ سلمان بن عبدالله على كريمة الشيخ سلمان الشيخة ثاجبة، وكذلك الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالله، على كريمة الشيخ سلمان الشيخة عائشة.

كما أجرى عقد الزواج بين جلالة الملك حمد بن عيسى، وسمو الأميرة سبيكة بنت إبراهيم، في مجلس الشيخ عيسى بالرفاع، وسمو ولي العهد الأمير سلمان بن حمد.

عقد نكاح الشيخ سلمان بن عبدالله

عقد نكاح الشيخ خالد بن عبدالله

- **ذكرياته مع الأمير:**

يوم أن قام الشيخ عيسى بن سلمان بافتتاح محطة الكهرباء لقرية الزلاق في ٦ يونيو من عام ١٩٥٩م، وكان وقتها وليًا للعهد.

وبعد سنتين من هذا الحدث الذي أفرح أهل الزلاق، زارهم الشيخ عيسى بعد سنتين مع إخوانه

الكرام، أي في عام ١٩٦١م، ليهبهم الأراضي ويسلمهم الوثائق، وألقى الشيخ بهذه المناسبة كلمة قال فيها:

«إن مما يبعث في النفس ارتياحًا، ويثلج الصدر انشراحًا، ويجعل النفس تسرح في مرتعها الخصيب، ويجعلها نشوة ثملة من ذاك العبير الفواح، أن يشرف هذه القرية ولي العهد الشيخ عيسى بن الشيخ سلمان وإخوانه لهذه القرية التي طالما كانت تتطلع إلى محياه متوسمة فيه مطالع السعد، متوخية فيه أكبر الآمال. لقد مر عامان من يوم نوّر القرية بطلعته السامية، واليوم ينورها بسجاياه الحسان، وأخلاقه الفذة، يأتي لهذه القرية لكي يتحف مجيئه من صنائع معروفه، جاء ليسلم وثائق ذات أهمية دالة على تمليكهم للأراضي التي صدرت الأوامر بهبتها لهم في العام المنصرم. وهذه الهبة التي صدرت من عظمة الحاكم وولي عهده لأبناء بلادهم وشعبهم تعتبر غرسًا متينًا لتكوين سلامة المجتمع من عوامل البؤس والفقر. لأن الفرد أو الشعب إذا علم أن هناك عينًا ترعاه، متطلعة إلى مطالبه، متشوقة إلى رقيه، لاشك أنه يشعر بكرامته واحترامه، ويزيد من محبته لقيادته، وتتلاشى عنه جميع عوامل البؤس. ولا شك أن هذه العين الساهرة المحبة للرقي ذات سجايا حسان، وأفضال وإنعام، وهي عين عربية متسللة من أعراق عربية طيبة لها قيمتها في تاريخها المجيد، سجية تلك منهم غير محدثة. ولا شك أن الشيء الذي يأتي من معدنه لا يستغرب، لأن الأرومة العريقة، والشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين، وآل خليفة هم الشجرة الطيبة التي لها قدم راسخ . ثم قال: وختامًا باسمي واسم إخواني أهل هذه القرية نقدم خالص شكرنا وتمنياتنا القلبية لعظمة الحاكم وولي عهده، وأنجاله الكرام وأسرته المحترمة، داعين الله أن يطيل عمره، وأن يوفق ولي عهده للسعي لما فيه رضاه، كما لا يفوتني أن أشكر مدير دائرة الأوقاف والشؤون القروية الشيخ عطية الله على ما يبذله من إصلاحات، وفق الله الجميع».

وحين بنى الشيخ عيسى رحمه الله تعالى جامعه في الرفاع الغربي أرخ لهذا البناء ببيتين من الشعر:

شَيَّد عيسى مسجدًا في الرفاع　　　يَلوحُ كالنَّجم بتلك البِقاعِ

أَتيــتُـــهُ اليـــوم وأَرَّخـــتـــه	(الخلـد للفــاتــح صِدْق) يُذاع

كما قال قصيدة في يوم تتويجه حاكمًا، ولكن لم يكملها، وهي:

تاهت أوال بيوم العرش وازدهرت	وازّينت علــى الفـخــر ألـــوانًا
وقامت الغيد نشوى في محــافلها	وردّدت من جميل الصوت ألحــانًا
كـذا جيـاد الخيل في مــرابضهـا	تـتيه فخـرًا بيـوم العـز نشـوانًا

وقد توفي الشيخ عيسى رحمه الله تعالى في السادس من مارس عام ١٩٩٩م، وحزن عليه الشيخ يوسف حزنًا شديدًا، ليس لأنه الحاكم فحسب، بل لكونه الصديق والخل الوفي، صاحب الخلق والسماحة والكرم، كسب الناس بمحبته وتواضعه. وقد صلى عليه الشيخ يوسف صلاة الجنازة بمقبرة الرفاع، رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وفي يوم الأربعين من وفاته، قال كلمة:

إن الرجال لا تقدر بالجمال والمال، وإنما بجلائل الأعمال، تقدر بما تقدم لأبناء وطنها من توفير الحياة الكريمة من مال ومسكن ومأمن. ولا شك أن أميرنا الراحل رجل انغمس في ميادين الشهامة والمروءة، حتى أكسبته حلل البهاء والوقار ففاق أترابه، وسبق أعوانه.

إن الأيام في طياتها عظات وعبر، وحكايات وخبر، وهكذا تفنى الأعوام والدهور، والليالي والشهور، وينتقل الإنسان العظيم ذو الجاه والهيبة ، والمكانة والرفعة، إلى إنسان صامت لا حراك به، وكأنه لم ينم على السرر المرفوعة، ويتقلب على الفرش الناعمة الوثيرة، وينعم بالأموال الكثيرة، والقصور الفسيحة، فإذا هو بين طرف عين يتوسد التراب.

أيها الإخوة: بالأمس شَيَّعت البحرين أميرًا من أنجب الأمراء، بالأمس ودعت البحرين ابن بجدتها، وحامي ذمارها، ورُوّع العالم الإسلامي والعربي بهذا النبأ الذي صدّع القلوب، وأدمى العيون، بالأمس شيع الأمير إلى جوار ربه، إلى الروح والريحان، إلى منازل الأبرار، إلى مقعد صدق، إلى النعيم المقيم.

أيها الإخوة، إن فقيدنا الراحل كان ذا خلق رفيع، وتواضع جم بديع، كان كريمًا جوادًا، باذلاً في كل ميادين الخير معطاءً، بشوشًا ذا سماحة، مبتسمًا ذا هيبة ووداعة. ولا شك أن فقده رزية من أعظم الرزايا، وبلية من أعظم البلايا، وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذي في إبان علوه ومجده نالت

البحرين استقلالها، ومشت في ركب الحضارة.

لقد انهد ركن من أركان الرجولة الفاضلة، والأخلاق السامقة، فاهتزت لها المشاعر، وأدمت القلوب، على اختلاف مللهم ونحلهم ومشاربهم.

بانـوا وخلفت أبكي في ديـارهـم ... قل للديار سقاك الـرائح الغـادي

وقل لأضعانهـم حييت مـن ظعن ... وقل لـــواديهـم حييت مـــن واد

رحلـوا علـى رغمي ولكن حبهـم ... بين الفـــؤاد المستـهـام مقيـم

قـد خانهم صرف الـزمان لأنهم ... كانـــوا كـــرامًا والـزمـــان لئيم

وقد جمع الشيخ مجموعة من القصائد العربية والنبطية ، وأهداها إلى الشيخ عيسى، ولكن لم يكملها.

(القصائد العربية والنبطية بخط الشيخ يوسف)

- **جلالة الملك حمد بن عيسى:**

وتستمر العلاقة الحميمة بين الشيخ يوسف وبين العائلة المالكة، وقد كان لجلالة الملك حمد بن عيسى الذي تولى مقاليد الحكم في البلاد في ٦ مارس ١٩٩٩م بعد وفاة والده رحمه الله، نصيب من هذه العلاقة، حيث تردد إلى زيارته بعد وفاة والده، تكريمًا واحترامًا لمكانة الشيخ يوسف، وأذكر الزيارة الأولى بتاريخ ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م الموافق ١٧ شعبان ١٤٢١هـ، والزيارة الثانية بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠٠١م - ١٨ رمضان ١٤٢٢هـ. الزيارة الثالثة في يوليو ٢٠١٠م وزاره مرة في المستشفى للاطمئنان على صحته.

كان الملك يعتبره بمثابة والده، كيف لا وهو يتذكره حينما كان في سن صغيرة، فالملك من مواليد ٢٨ يناير ١٩٥٠م. فبالنسبة له هو بمكانة أحد أبنائه، وكان دائم السؤال عنه، يكن له كل الاحترام والتقدير، ويرسل الشيخ خالد بن أحمد وزير ديوانه للسؤال عنه، وسؤاله عن أمور الدين والدنيا، لقد سعى جلالة الملك بكرم أخلاقه، وجميل صفاته، إلى إكرام الشيخ يوسف وإنزاله المنزلة اللائقة به باعتباره عالمًا من علماء البحرين، تأسيًا بوالده وأسلافه، الذين أحبوا الشيخ يوسف وعائلته، وربطتهم علاقة وثيقة، تتسم بالمحبة والإخلاص والاحترام والطاعة، وقد أنعم جلالة الملك على الشيخ يوسف بوسامين: الوسام الأول: وسام الشيخ عيسى من الدرجة الأولى، والثاني وسام البحرين.



(جلالة الملك حفظه الله في إحدى زيارته لمجلس الشيخ يوسف)

وحين توفي الشيخ يوسف جاء جلالة الملك وقدم واجب العزاء، وأثنى على الشيخ يوسف ثناء طيبًا، وأشاد بعطائه الطويل والكبير في خدمة البلد، وخدمة الإسلام والقضاء الشرعي، وقال: إنه مربٍ فاضل، كرس حياته للدين والوطن، وأعطى الكثير من جهده ووقته لهذا البلد، فهو مثال وقدوة صالحة للأجيال القادمة، وإن الشيخ يوسف قد علّمنا الكثير وزوّجنا، وأفضاله كبيرة وكثيرة، وإنه يمثل الفكر المعتدل الذي ينبغي أن يقتدي به العلماء وطلبة العلم، وإن الشيخ يوسف هو أحد قيادات هذه المملكة التي نكن لها كل حب وتقدير، ثم وجه جلالته إلى ضرورة أن يكتب شيء باسم الشيخ يوسف تخليدًا لذكراه. وفي زيارتي الأخيرة لجلالة الملك بمعية معالي الدكتور الشيخ خالد بن خليفة آل خليفة نائب رئيس مجلس الأمناء المدير التنفيذي لمركز عيسى الثقافي بتاريخ ٢٠٢١/٩/١م، أمر جلالته بالإسراع في إطلاق اسم الشيخ يوسف الصدِّيقي على شارع بالزلاق، وهي لفتة ملكية كريمة.

قال الشيخ يوسف في أرجوزته عن الملك:

واليـــوم يحكـــم البـــلاد حمـــد   لأنـــه الأكـمـــل والأرشـــد

وهو جـليـــل القـــدر والمثـــال   مكـــرم الأعـــمـــام والأخـوال



(مصافحاً جلالة الملك حفظه الله في مجلس آل سعد)

ثانيًا: علاقاته مع أفراد العائلة:

- **الأمير خليفة بن سلمان رئيس مجلس الوزراء:**

كانت علاقته بالأمير خليفة بن سلمان رئيس مجلس الوزراء علاقة احترام وتقدير، ويصفه الشيخ يوسف بأنه ذو شخصية قوية، وعقل متفتح، مكافح يحب العمل، كثير السؤال عن الناس والوقوف على احتياجاتهم. وكان الصديقي يزور الأمير خليفة في مجلسه بين الفينة والأخرى، وأحيانًا في منزله، كما أن الأمير خليفة قد زار الشيخ في مجلسه بالزلاق مرات عديدة. ويقول الشيخ: إن التطور الاقتصادي والعمراني، والإنجازات الكبيرة التي تحققت للبحرين كانت بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها سمو الأمير خليفة بن سلمان وعمله الدؤوب، وجهده المتواصل وتضحيته. فخليفة بن سلمان رجل دولة يتمتع بحكمة سياسية، وبصر ثاقب، كيف لا وهو من تغذى بلبان المعرفة من والده الشيخ سلمان، حيث كان ملازمًا له في صغره، وكان والده هو المدرسة الأولى التي نشأ تحت ظلالها، وتعلم منها الحكمة، وكيفية تسيير دفة البلاد، فلا تستغرب من كفاح هذا الرجل، وحبه اللامتناهي لوطنه. وقد جاء مشكورًا بنفسه وقدم واجب العزاء.



(الأمير الراحل والأمير خليفة بن سلمان والشيخ يوسف والشيخ محمد بن خليفة وزير الداخلية السابق أثناء افتتاح جامع سافرة)

- **الأمير سلمان بن حمد ولي العهد:**

هو الشاب الطموح، الساعي للخير، كريم النفس، متواضع، متواصل مع الناس، له عادة طيبة في رمضان حيث يقوم بزيارة الناس إلى مجالسهم. وكان سموه — ومنذ صغره- يرافق أباه جلالة الملك منذ أن كان وليًا للعهد إلى المجالس، وكان قد حضر مجلس الشيخ يوسف منذ أن كان صغيرًا مرارًا مع والده، وكان يستمع إلى حديثهما بشغف وعناية تامة، وكأنه ينشد المعرفة، ويقرأ في سطور كلامهما. وسمو الأمير يكن للشيخ يوسف المحبة والتقدير والاحترام، وقد التقاه كثيرًا. وذات مرة كان الشيخ يوسف يلقي شعرًا على سموه في فضائل الخيل، وهو يستمع إليه بشغف وحب معرفة.

وأذكر أن سمو ولي العهد كان دائم الزيارة لقرية الزلاق، حيث مقر منزل جدته، أم أمه، الشيخة الفاضلة الكريمة (فاطمة بنت سلمان بن حمد آل خليفة) أخت الشيخ عيسى حاكم البلاد السابق رحمهم الله جميعًا. وكنت أراه كثيرًا، ويلقي علينا السلام ويتحدث إلينا بتواضع وسماحة.

وقد أدى سموه واجب العزاء لعائلة الشيخ يوسف الصديقي في وفاته، وهكذا هم أبناء العائلة في محبتهم للناس وتواصلهم معهم.

- **الأمير محمد بن سلمان:**

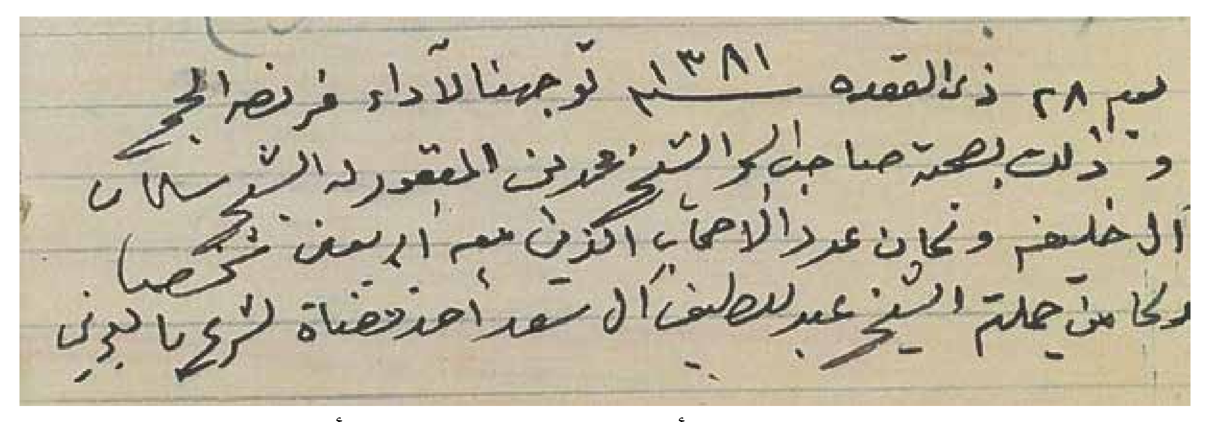
ولم تكن مكانة الشيخ الصدّيقي مميزة لدى الأمير الراحل فقط، بل كانت ممتدة في العائلة المالكة الكريمة، وكان من محبيه سمو الأمير محمد بن سلمان آل خليفة، صاحب المواقف النبيلة والمشرفة، والذي يقدر الناس وينزلهم منازلهم.

كان الأمير محمد بن سلمان يقدر الشيخ ويجعله دائمًا في صدارة المجلس، ويتبادلان الأحاديث في أمور الدين والدنيا، وكان يصغي إليه باهتمام بالغ، ويتأكد من كل كلمة تقال، شديد الحذر، لا يأخذ الكلام من دون تروٍ وسند، له مواقف شجاعة، ومساعٍ نبيلة. كان لا يبخل على من قصده في شيء إما بالمال أو المساندة، كريم النفس، وكتب الشيخ في مفكرته، أن سمو الشيخ محمد بن سلمان أعطاه مبلغًا من المال وأمره بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين بشرط أن يكون التوزيع

سرًا، متمسكًا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام "**صدقة السر تطفئ غضب الرب**" وهذه الصدقة جعلها في ثواب والده الشيخ سلمان.

كان يهوى الطبيعة وجمالها، ويحب الخيل والإبل ويكرمها أشد الإكرام، يستيقظ من الفجر ويصلي ثم يمضي إلى حيث يباشر عمله، وكان يباشره بنفسه، لا يتكل على أحد. وكان أبناؤه الكرام شديدي الاحترام لأبيهم، يقدرونه ويوقرونه، وكانوا نعم الأبناء الصالحين الذين يقدرون حق الأبوة.

يقول عنه الشيخ الصدِّيقي: "كان هذا الرجل شهماً، ذا هيبة، متوقد الذكاء، يتميز بفراسة عجيبة، وذاكرة قوية فريدة، لا ينسى ما يودعه في عقله، يتذكر كثيرًا أيام الصبا، ويسترجع كل كلمة قالها له أبوه، وكنت دائمًا ما أذكره بمواقف أبيه فإن كان يعرفها هز رأسه وابتسم، وإن كان لا يعرفها أدار بكامل جسمه، وألقى إليّ كل حواسه، وطلب معرفة دقائق الأمور وتفاصيلها" يقول: "وقد صاحبته طويلاً، لا أتغيب عن زيارة مجلسه الأسبوعي، وكان دائماً يزورني في مجلسي، وفي أي وقت يقصدني، كان الشيخ محمد يحب التعلم، ومعرفة كل ما هو جديد، ويسأل كثيراً، ويصغي إليك باهتمام شديد، وقد اصطحبني معه في رحلة الحج، فلبيت طلبه وذلك بتاريخ ٢٨ ذي القعدة١٣٨١هـ عن طريق البر، وكانت صحبة طيبة، وكانت حجتنا بسيطة، عشنا أجواء روحانية، وكانت ذكريات لا تُنسى، ولم يبخل علينا بشيء. كما كان لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة مسجده المبارك نصيب في رحلتهم، كما زارا خلال حجتهم العديد من الأمراء"



يوم ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٨١ توجهنا لأداء فريضة الحج
وذلك بصحبة صاحب السمو الشيخ محمد بن المغفور له الشيخ سلمان
آل خليفة وكان عدد الأصحاب الذين معه أربعين شخصا
وكان من جملتهم الشيخ عبد اللطيف آل سعد أحد قضاة الشرع بالبحرين

(من مفكرة الشيخ وقد كتب السنة التي أدى فيها مناسك الحج مع سمو الأمير محمد بن سلمان)

وقد رأيت في مذكراته كلمة بعنوان (في ربوع الحجاز) ولعله ألقاها بين يدي الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، ونص الكلمة:

«الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وجعلنا من أتباع خير الأنام، ويسر لنا حج بيته الحرام، في عهد ملك عادل همام، وبصحبة أمير شاب كريم. لقد بث الملك السكينة والطمأنينة والهدوء في بيت الله الحرام، وفي بلاد الحجاز، والجزيرة كلها، فنال بذلك حب الله ورسوله والمؤمنين، وانطلقت بالثناء عليه ألسنة المسلمين وأقلامهم.

جلالة الملك/ لقد فارقنا أوطاننا، وجاء الناس من كل فج عميق، لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام الذي هو أحد أركان هذا الدين العظيم ابتغاء مرضاة الله، وإجابة لداعي الله، ولأذان من أبينا إبراهيم عليه السلام، فوجدنا هنا بالملك وأبنائه المخلصين، راحة وأمنًا وسرورًا واطمئنانًا، فلم يشغلنا عن ذكر الله شاغل، ولم يمنعنا عن نسكه وعبادته مانع، ورأينا أننا بين إخواننا وعشائرنا :« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » . والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" . فأعزكم الله ونصركم وجعلكم ذخرًا للعرب والمسلمين في هذا البلد الأمين، والحصن الحصين، فهنيئًا لكم بما شرفكم الله به من خدمة ضيوفه، وهنيئًا للعرب والمسلمين بكم.

صاحب الجلالة/ إن مما يدعو للشرف والاعتزاز أن أقوم بين يدي جلالتكم بالنيابة عن صاحب السمو الشيخ محمد بن المغفور له الشيخ سلمان آل خليفة شاكرًا لكم اليد البيضاء التي أسديتم بها علينا في هذا البلد الطيب، ولا شك يا صاحب الجلالة أن علاقة آل سعود وآل خليفة علاقة وطيدة، علاقة إخوة، فأنتم صنوان من أرومة عريقة ذات سيادة لها مكانها المرموق بين القبائل، وكأني بالشاعر يعنيكم:

فأنتم كماء المزن في نصابكم ... كهام ولا فيكم بعد بخيل

وما خمدت نار لكم دون طارق ... ولا ذمكم في النازلين نزيل

صاحب الجلالة/ لقد عرتني هزة و نشوة عندما قرأت قصة والدكم الراحل يوم فتح الرياض في الليلة التي ولد فيها جلالتكم، قاسى والدكم في سبيل استرداد ملك أسلافه وأجداده

الأشاوس، وكأني بلسان حاله يقول:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه	**وأيقن أنا لاحقان بقيصرا**
فقلت لـه لا تبك عينك إنمـا	**نحاول ملكًا أو نموت فنُعذرا**

لقد حاول الملك بأيد ناصعة، وبطولة فذة، وعزيمة ماضية، وبطولة عجز عن تكوينها دهاة العرب، أن يسترد أمجاد الآباء والأمجاد وأن يوحد الجزيرة العربية ذات هيبة ومكانة، حقًا إنها بطولة من الطراز الأول، بطولة سطرتها يد التاريخ وحملتها بطون الأسفار، فرحمه الله رحمة واسعة على ما قام به من جهد كبير في سبيل توحيد الجزيرة العربية، وفي سبيل ما قام بها من خدمات جليلة، ومساع نبيلة، في سبيل راحة حجاج بيت الله الحرام. وها أنتم اليوم تسيرون على نهجه، متحملين أعباء تلك المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقكم، وأنتم أهل لها بمشيئة الله، وفقكم الله يا جلالة الملك لما يحب ربنا ويرضى، وبارك الله في جهودكم ورعايتكم، وأعانكم الله على أداء مهمتكم، وبيان رسالتكم، ودم في حفظ الله ورعايته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وكان رجوعهم في ١٧ من ذي الحجة" . وكان عدد الذين اصطحبهم معه في الحج -كما ذكر في مذكراته- أربعين شخصًا كان من ضمنهم الشيخ عبداللطيف آل سعد أحد قضاة الشرع.

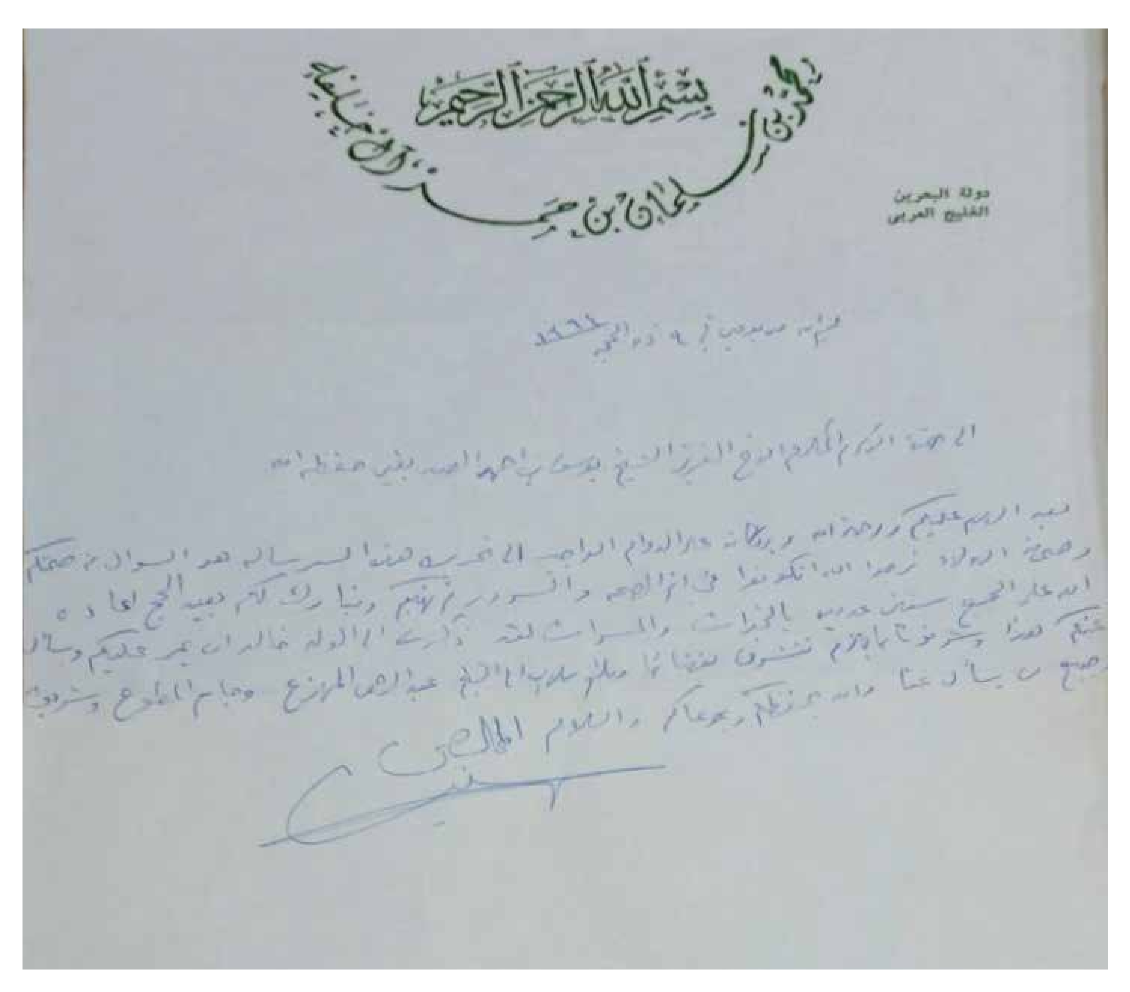


(مع سمو الأمير محمد بن سلمان وابنه الشيخ أحمد رحمهم الله في رحلة الحج)



(سمو الأمير محمد بن سلمان، مجموعة من المرافقين)

كما كانت بينهما مراسلات، فمما كتبه سمو الأمير محمد بن سلمان للشيخ يوسف أثناء زيارته للقاهرة وذلك في ١٥ يوليو ١٩٦٤م: «... سررنا جدًا باستلام كتابكم الكريم المؤرخ ٢٥صفر ١٣٨٤هـ والذي وصلنا بتاريخ هذا اليوم الخامس من ربيع الأول ١٣٨٤هـ، حيث اطمأنا على وصولكم سالمين إلى القاهرة وهذا شيء يسر له، ونحب أن نفيدكم بأننا قد زرنا الشيخ عبدالله الصديقي في بيته من مدة أيام قلائل وهو بخير وصحة. وختامًا نشكركم على ما تضمنه كتابكم من جميل العبارات، راجين منه تعالى أن يتقبل دعاءكم، وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب».

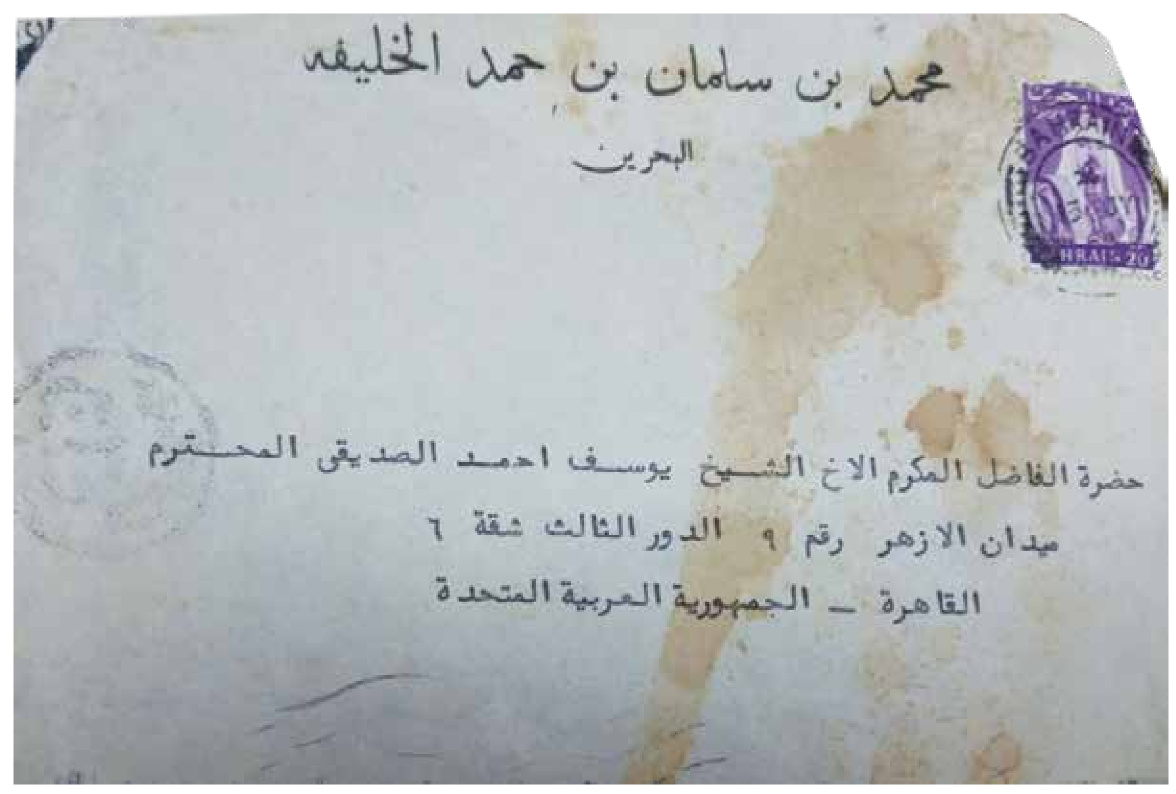

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن سلمان بن حمد آل خليفة

دولة البحرين
الخليج العربي

(نسخة من الرسالة)

وقد امتدح الشيخ يوسف سمو الأمير محمد بن سلمان في قصائد عدة ذكرناها في المبحث المتعلق بأشعاره.


محمد بن سلمان بن حمد الخليفه
البحرين

حضرة الفاضل المكرم الاخ الشيخ يوسف احمد الصديقى المحترم
ميدان الازهر رقم ٩ الدور الثالث شقة ٦
القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة

(غلاف الرسالة)

- **المطلب الثاني: علاقاته بالعلماء والوجهاء.**

التقى الشيخ خلال أسفاره لحضور المؤتمرات العديد من العلماء الأجلاء الذين لهم وزنهم في تاريخ الأمة الإسلامية، وعزز هذه المعارف اختياره لعضوية الرابطة الإسلامية حيث كانت فرصة لالتقاء عدد من الفطاحل الذين لن يجود الزمان بمثلهم، ومن أبرز من التقاهم الشيخ الصدّيقي

- **الشيخ العلامة عبدالله بن حميد**، فكانا يجلسان ساعات طوالاً يتبادلان الحديث في الشعر والأدب، وفنون العرب، ومآثر الرجال، وتقلب الأحوال، وقد تولى بن حميد القضاء في الرياض إلى جانب العديد من المناصب الأخرى، ثم طلب الإعفاء من منصب القضاء وتفرغ للتدريس والإفتاء. وقد اختاره الملك فيصل رحمه الله رئيسًا للرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، ومدرسًا فيه، ثم عين في زمن الملك خالد رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى وعضوًا في هيئة

كبار العلماء. وقد استمرت الصداقة بين الشيخين حتى وافت المنية الشيخ عبدالله بن حميد عام ١٤٠٢هـ، لكن الصداقة استمرت بين الصدّيقي وبين الابن البار الشيخ صالح عبدالله بن حميد الذي ورث عن أبيه العلم والفضل، والذي زار الصدّيقي في مجلسه بالبحرين. ويصف الشيخُ ابنَ حميد الابن بأنه كأبيه، ذو علم واسع وعقلية متفتحة، وهو أديب أريب يتذوق الشعر ويعرف فنونه، وينتقي منه الحسن، ذو أدب جم، رفيع الأخلاق، جميل السلوك، صاحب تقوى وورع.

- **الإمام أبو الحسن الندوي**، العالم النحرير، والمفكر الشهير، الذي ملأ الأقطاب علمًا، والأرض فكرًا، صاحب المؤلفات المشهورة، والأدبيات المملوحة، ذو علم وأدب، ولسان ذرب، وحب للعلم والطلب، ورغم أنه من بلاد أعجمية، فإنه فاق الأعراب فصاحة ونطقًا، وعلمًا وأدبًا. وقد كتب الشيخ الندوي رسالة للشيخ يوسف يزكي فيها مؤسسة (سراج العلوم) قال فيها: " ... فإني أرى أن مؤسسة سراج العلوم في (جهند) بقطر نيبال كمعقل للتعليم ومصدر إشعاع على منطقة من حدود الهند الشمالية متعطشة إلى المعارف الإسلامية، والعلوم الدينية، وأن جهود القيام بهذه المؤسسة قد تعتبر رباطًا في سبيل الله، وعملاً عظيمًا في سبيل العلم الديني، فأحث أهل التوفيق والمقدرة على مساعدتها وتمويلها " . توفي رحمه الله عام ١٩٩٩م.

- **العالم المحدث عبدالفتاح أبو غدة**، المحدث الكبير، والأصولي الخبير، الفقيه الحنفي، والمحقق اللوذعي، صاحب التحقيقات الدقيقة، والإشارات اللطيفة، كل من قرأ كتبه عرف شأنه، وعلم قدره، كثير البكاء، يكسو وجهه نور وبهاء، يصفه الشيخ بأنه من الطراز الأول في العلم والأدب وفنون الكتابة. اشتهر بورعه، وتحقيقاته الدقيقة، وله العديد من المؤلفات التي لا تخفى على طالب العلم. توفي رحمه الله عام ١٩٩٧م . وقد التقيته في الأحساء أثناء دراستي وكان في ضيافة السيد إبراهيم الخليفة.

- **الشيخ محمود الصوّاف**، من أشهر علماء العراق، الرجل الجريء المقدام، صاحب شجاعة قوية، وفراسة غريبة، لا يخشى في الله لومة لائم، وهو من خريج الأزهر الشريف التقاه كثيرًا وفي القدس الشريف أيضًا، وهو من مناصري قضية فلسطين، له العديد من المؤلفات توفي رحمه الله عام ١٩٩٢م.

• **الشيخ عبدالعزيز بن باز**، الذي كان يناقشه في المسائل الفقهية والعقائدية، ومع كثرة ما كانا يتناقشان إلا أن كلاً منهما كان يحترم الآخر ويجله ويقدره، التقاه كثيرًا في المؤتمرات. وذات مرة صلى الشيخ يوسف صلاة الفجر بالشيوخ في إحدى المؤتمرات المنعقدة في مكة، فما كان منه وهو فقيه شافعي إلا أن التزم بمذهبه فجهر بالبسملة وقنت بعد الركوع، وهذا أمر لا إنكار فيه، وهو مذهب ابن إدريس الذي ملأ الدنيا علمًا وفقها، وانتشر مذهبه في الآفاق. فجاء أحد المتطفلين وأنكر على الشيخ يوسف صنيعه، وقال بصوت مرتفع، بلهجة بدوية مدوية أصمت الآذان، وبقياس ينبو عن جهل مطبق: ما فعلتهَ من الجهر بالبسملة والقنوت لم يقله ابن تيمية، ولا ابن باز. فسكت عنه الشيخ كعادته وسمته ولم يرد على جهالاته، فلما انصرف الناس ناداه، وقال له: قل للشيخ ابن باز بأن فلانًا من الناس صلى بنا الفجر فبسمل وقنت، وفعل هذا المتطفل وقال لابن باز هذا الكلام، فقال له الشيخ ابن باز، طالما أن الشيخ يوسف قد صلى بكم، فليس لك حق أن تنكر عليه، فهو فقيه شافعي يتبع مذهبه، ويعرف ما يصنع، ولا إنكار في مسائل الخلاف، فرجع خائبًا منكسرًا. ثم استمر الشيخ ابن باز في تعامله مع الشيخ يوسف، فكان يبعث له في كل شهر مجلة البحوث الإسلامية، فجمع أعدادًا كبيرة منها. توفي رحمه اللّٰه في مايو ١٩٩٩م.

• **محمد سيد طنطاوي**، شيخ الأزهر، المتوفى ٢٠١٠م، وهو عالم دين معتدل ، هُوجم بسبب أفكاره، كحِلِّ أخذ فوائد البنوك. له العديد من المؤلفات، من أشهرها كتابه (التفسير الوسيط)



(مع شيخ الأزهر)

وهو كتاب عظيم النفع، التقاه الشيخ أكثر من مرة، وقد زاره في مجلسه بالزلاق وذلك في أبريل عام ١٩٩٨م.

وفي الحقيقة إن الشيخ يوسف التقى الكثير من العلماء، وإنما ذكرت بعضًا منهم، حيث إني لا أعرف تفاصيل تلك اللقاءات، ولكن ذكر لي الشيخ يوسف أنه التقى بعدد كبير من العلماء وتحدث إليهم وحاورهم، منهم فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي، والشيخ محمد الغزالي، وغيرهم كثير.

أما العلماء والأدباء والشيوخ الذين كانت بينه وبينهم صحبة وود ومحبة ورسائل، فهم كثر، أذكر منهم:

أولاً: من خارج البحرين:

- **السيد عبدالله بن الصديق الغماري**، وقد لازمه مدة من الزمن أثناء دراسته في الأزهر، فكان يرافقه في كل مكان. وهو عالم نحرير، وأصولي خبير، محدث ذاع صيته، وانتشر في الآفاق علمه، إن تكلم أُنصت إليه، وتهافت الناس عليه، واشرأبت الأعناق إلى سماع أقواله، وتحيرت العقول إلى فهم مراده، إلا من له في العلم باع طويل، لا بالعلم مقصر عليل، وتزود بالعلوم العقلية، وبالمنطق والعلوم الفلسفية.

وكانت صحبتهما طويلة، وكان السيد عبدالله يثق في رفيقه، ويحدثه بأسراره، ومعاناته، حتى أنه كان يحدثه أنهم يتربصون به ويتجسسون عليه. حيث إنه كان ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين في بداية أمره، ثم لما رأى أن الحركة أخذت أبعادًا سياسية ترك العمل معهم.

- **الشيخ محمد بن عبدالرحيم الصدِّيقي**، شاعر أديب أريب، من أبناء عمومة الشيخ يوسف، كان عالماً جليلاً، ولد بالمملكة العربية السعودية بمنطقة الجبيل، وعاش فيها حياته، حيث درس بمكة، واستقر به المقام بالطائف، كان جريئًا صداعًا بالحق، له مؤلفات في الأدب، منها سلافة الأديب، وورع العلماء، وضالة الأدباء، كانت بينه وبين الشيخ مراسلات كثيرة. توفي رحمه الله في أواخر شهر صفر عام ١٤١٠هـ. ومن أشعاره، قصيدة ألقاها أمام الأمير الشيخ عيسى بن

سلمان في قصره بالرفاع تتكون من ثلاثين بيتًا، ومطلعها:

يا حادي الركب عرج بي على بلاد	نباتها العز والأمجاد والشيم
عرج على وطن للعرب قاطبة	حصنًا منيعًا لدى الشدات إن ظلموا
فيها ابن سلمان عيسى لا نظير له	فخر العروبة حقًا بينهم علم



(الأديب الشيخ محمد بن عبدالرحيم الصدّيقي)

• **الشيخ محمود بن محمد الصدِّيقي**، هو من مواليد مدينة الحد، ثم انتقل للعيش في الدمام، كان محبًا للشيخ يوسف ويتردد إلى زيارته باستمرار، قام رحمه الله بتدريس الشيخ عيسى بن سلمان الحاكم السابق وكذلك أخويه سمو الأمير خليفة بن سلمان و سمو الأمير محمد بن سلمان، عين مدرسًا للمواد الشرعية والعربية بمدرسة الدمام الأولى، وإمامًا وخطيبًا لجامع النور بالدمام، تولى رئاسة أول مركز للإفتاء والدعوة والإرشاد في الدمام، توفي رحمه الله بالرياض ١٤١٤هـ (١).

• **الشيخ علي بن محمد ملك**، تلقى العلم على يد والده، وعلى يد خاله الشيخ عبدالله الصديقي، والشيخ أحمد بن حجر، وغيرهم، كان خطيبًا في عدد من مساجد قطر، وعين مأذونًا شرعيًا، والشيخ واسع الاطلاع كثير القراءة، له العديد من المؤلفات (٢). وهو حلو الحديث، تأنس بالجلوس إليه، يطلع على كل جديد من الكتب، يمضي ساعات طويلة في القراءة.

• **الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي**، صديق الدراسة في الأحساء، وهو عالم جليل، وقاضي شرعي بقطر، اشتغل بالدعوة والإرشاد، له العديد من القصائد الرائعة – ذكرناها في محفوظات الشيخ- ويحتفظ الشيخ بالعديد من قصائده في مكتبته، وقد كتبها بخط يده أثناء دراسته في الأحساء، وخطه جميل، وأسلوبه في الرسائل رقيق. وفي مكتبة الشيخ يوسف العديد من الرسائل التي كان يرسلها له الشيخ أحمد، من هذه الرسائل أن طلب الشيخ يوسف منه نسخة من تفسير ابن كثير، فكتب الشيخ أحمد رسالة بتاريخ ٢٠/٣/ ١٩٦٩م جاء فيها:

«تشرفت بكتابكم، وسررت بخطابكم، بارك الله فيكم، فبخصوص ماذكرتم من تفسير ابن كثير الذي طبع في بيروت مجددًا وأن الشيخ علي طبعه، وتريدون نسختين، فالحقيقة أن الشيخ علي شرى حوالي مائتي نسخة كما يقولون، وبلغني أنه أرسل إلى البحرين هو أو عبدالبديع بيد (شمد البستكي) عدة نسخ، ولا أدري أن هذا الخبر صحيح أم لا، وأما هناك فأعطوا بعض الخواص،

١- كتاب الشيخ العلامة محمد بن عبدالعزيز الصديقي ص ٤٨

٢- المرجع السابق

وقبل شهور سألت عبدالبديع فزعم أنه قد نفدت النسخ، وبعد رجوعي من الحجاز وجدت كتابكم، وبعد الفراغ من استقبال الزائرين أردت أن أتصل بعبدالبديع لأسأله، فقالوا إنه قد سافر إلى بيروت. وبعد رجوعه سأسأله إن شاء الله، فإن حصلت نسخة سأرسلها ، وإن لم يحصل فالعذر عند كرام الناس مقبول».

ويبدو أن الشيخ أحمد أرسل نسختين من كتاب التفسير لابن كثير، واحدة في مكتبته والأخرى في مكتبة عمه الشيخ عبدالله بالمنامة. وهي من طباعة دار الأندلس ببيروت، وهي الطبعة الأولى عام ١٩٦٦م وطبعت على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، وهي التي عناها الشيخ يوسف في طلبه.

ومن الرسائل التي أرسلها الشيخ أحمد والتي تدل على العلاقة الحميمة بينهما منذ أن كانا طالبين في الأحساء، وتدل على الإخلاص والمحبة، وصدق المشاعر، والمشاعر الصادقة، وحفظ الود، والعتب الرقيق، رسالة مؤرخة في ١/٨/ ١٩٦٧م، وأنقلها للقراء كاملة:

حضرة الأخ الفاضل النبيه، والقاضي النزيه الشيخ يوسف الصديقي المحترم

حفظه الله وتولاه، ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

سلام كله حب وإخلاص، وود وإخاء، وتقدير وشوق ووفاء.

سلامًا ينبئ عما يكنه الضمير لذلك المحب الجليل، وتحية أضمها أسمى آيات الثناء والمودة الخالصة، راجيًا أن تكونوا وذويكم الكرام سابقين في ميادين الصحة والرفاهية، والعيش الرغيد.

أيها الأخ الكريم ، من حين أن اجتمعتُ بكم في الأحساء منذ ثلاثين سنة تقريبًا، قد ارتسمت محبتكم في سويداء القلب، وحفظت لكم مكانة الأخوة والفضل، ولكن شاءت الأقدار أن لا نجتمع حيث إني كنت برأس الخيمة، ولا آتي البحرين إلا في فترات قليلة، وحضرتكم قد ذهبتَ إلى مصر، ثم رجعتَ تحمل لواء العلم والإرشاد، ومنذ أن نزلتُ بقطر، وأنا أسمع عنكم كل ذكر جميل، ولكن لم تتفضل بالمراسلة، ومنذ سنتين أخبرني الشيخ محمود الصديقي بأنكم عتبتم على أخيكم،

حيث إني أرسلت لبعض الأصدقاء نسخًا مما كتبته عن سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولم أرسل إليكم، فبادرت وأرسلت إليكم بواسطة عبدالملك الشهابي الساكن بالمحرق، وقبل شهر تقريبًا أرسلت إليكم نسخة من كتاب (نداء عام) بيد محمد عبدالله النعيمي، وجاءني كتاب من فضيلة الأخ الشيخ عبدالله يطلب له نسخة من الروضة كما يطلب لكم، وقد أرسلت الروضة بيد عبدالله بن حسن بواسطة العم، من الأول إلى السادس، وهذا ما تم طبعه ونسخه من الوصايا الخالدة، ونسخة من الحلال والحرام، وإن شاء الله تستلمون تلك الكتب من العم الشيخ عبدالله، وتشعرون أخاكم، ودمتم في رعاية الله».

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد بن حجر آل بو طامي البنعلي

(نسخة من رسالة الشيخ أحمد)

• **الشيخ عبدالله الأنصاري**، كانت بينهما صحبة طيبة وتواصل وزيارات، و مآثر الشيخ عبدالله لا تنسى، وبصماته في خدمة العلم جلية واضحة، فقد طبع عشرات الكتب وأحيا ما كان مدفونًا من مخطوطات، واعتنى بإخراج كتب الفقه وخاصة الفقه الشافعي. وكان يزود الشيخ يوسف بكل كتاب يطبع، ويكرمه بإرسال عشرات النسخ. وحضر معه العديد من المؤتمرات، وأرخ الشيخ لوفاته بأنه في ١٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ.



(الشيخ يوسف مع أخيه الشيخ عبدالله الأنصاري ومجموعة من العلماء في إحدى المؤتمرات)

• **السيد علي بن عبدالرحمن الهاشمي**، وهو مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وصحبتهما أيام أن كان صغيرًا، فقد كان صديقًا لوالده السيد عبدالرحمن، الحسيب النسيب من سلالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت بينه وبين الشيخ يوسف مراسلات أيام دراسته في الأزهر، فكان السيد علي يبعث إليه رسالة في كل شهر تقريبًا يطمئنه على حاله، ويطلعه على

آخر المستجدات، ويأخذ رأيه. والسيد علي رجل وفي، ذو خصال حميدة، كثير التواصل، ناصحًا صادعًا بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان كثير الزيارة له، ومن تواضعه أنه كلما وصل البحرين اتصل وسأل عنا وعن عائلة الشيخ، وترحم عليه، وذكر مناقبه وسيرته وفضله، ودعا له بالمغفرة والرحمة، متعه الله بالصحة والعافية.



(السيد علي مع الشيخ يوسف بمنزلة بالزلاق)



(مع السيد علي الهاشمي والشيخ عيسى بوبشيت)

- **الشيخ أحمد الخليلي**، مفتي سلطنة عمان، وهو رجل عالم مفسر أصولي، كثير التأليف، صاحب حجة وبيان، متمكن في العلوم العقلية، واسع الاطلاع، كان يحب الشيخ كثيرًا ويزوده بالكتب، وفي كل مرة يزور البحرين يحرص على رؤية الشيخ والالتقاء به، والحديث إليه، وتبادل المعلومات وسماع الشعر. وله كتاب اسمه جواهر التفسير، من أفضل ما كتبه، وقارئ الكتاب سيطلع على علم الرجل وتمكنه.



الشيخ الخليلي في زيارة للشيخ يوسف في بيته بالزلاق

- **الشيخ عارف بن عبدالله الحسن**، المربي الفاضل، والشاعر الأديب، والابن البار، والده الشيخ عبدالله فقيهًا شافعيًا -صاحب كتاب تحفة المحتاج- كان على صحبة ومعرفة قوية بالشيخ يوسف، يقول عنه الشيخ: إن الشيخ عارف يتميز بالذكاء والجد والحرص، وأنه أُلهم الشعر إلهامًا، وشعره فيه حلاوة وطلاوة، وخفة وفكاهة، وهو شاعر كأبيه، وكان الشيخُ يحفظ الكثير من أشعاره لما تتميز به من الخفة والمرح. وكان الشيخ عارف يبعث إليه الرسائل حينما كان يدرس بالأزهر، ويلقبه بالوالد. ومما كتب الشيخ عارف رسالة رقيقة بخط أديب، مؤرخة في ١٩٧٥/٢/١٧م قال فيها:

«.. وإن سألتم عني فأنا وصلت القاهرة بسلامة الله بعد أن قطعت الأميال عبر الأثير، وفوق السحاب، في ظلام دامس، وليل حالك، في جو أرخى عليه الليل سدوله. وكان الهدوء يسود الجميع في بطن ذلك الصندوق الحديدي، وهو يشق طريقه كأنه حوت ذي النون إذ ذهب مغاضبًا. فما لبثنا ثلاث ساعات ونصف ساعة إلا وجرس الإنذار يدق، ليكن كلٌ على أهبة الاستعداد للنزول.

فهبطنا في مطار القاهرة، وآثار البهجة والسرور علينا بادية وظاهرة، فنزلنا فور وصولنا أرض المطار من الطائرة، ونحن أكثر من مائة نفس بين الزائر والزائرة، فأخذنا حوائجنا بعد التفتيش، لننطلق إلى بيوتنا بالسيارة أو القاطرة، فاتخذ كل منا سبيله إلى منزله، وبعد هذا هدأت النفوس، ونامت العيون الساهرة».

ورسالة رقيقة أخرى مؤرخة في ١٩٧٥/٥/٢٨م جاء فيها:

«... في ساعة مباركة تسلمت مرقومكم المضمخ بشذى الود والحنان، فلثمته ولسان حالي يقول:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العيشة من عرار

قرأته بإمعان نظر، فوجدت ظاهره وباطنه على حد سواء، فكم حصل لي به من سرور، وكم تمتع بسماعه أذناي، ويرواه عيناي، وتكحل بمداده مقلتاي، وشكركم عليه أصغراي، فشكرًا لكم

وما تلوم جسمي عن لقائكم ... إلا وقلبي إليكم شيق عجل

فإن نهضت فما لي غيركم وطر ... وإن قعدت فمالي غيركم شغل

وكم تعرض لي الأقوام بعدكم ... يستأذنوك على قلبي فما وصلوا

والشيخ عارف قام بتصحيح أوزان منظومة الشيخ بعنوان الأرجوزة اللطيفة، كما أنه كان يستعين به في الكثير من كتابة بعض الكلمات في المؤتمرات، ويستشيره في كثير من الأمور لما يتميز به من فكر مستنير، وعقل راجح. وقد كتب الشيخ يوسف مرة بيتًا من الشعر، فقال له أحد المهتمين بالشعر وكان شيخًا البيت فيه انكسار، فعرض الشيخ يوسف البيت على الشيخ عارف، فقال له إن البيت سليم، إلا أن الرجل لم يقتنع ، فكتب الشيخ يوسف على سبيل المداعبة أبياتًا وأرسلها إلى الشيخ عارف، قال فيها:

يقول راجي عفو رب أحد | على الدوام يوسف بن أحمدِ
مصليًا على الحبيب المصطفى | وآله وصحبه أهل الوفا
وبعد فاعلم أيها الخل الوفي | حماك ربي من لئيم مقرفِ
قد حار عقلي من صديق عالم | إن قلت غربًا قال شرقًا فافهم
أو قلت إن ذا ولي عهدنا | شيد في الرفاع أحسن البنا
أو قلت من صد عن الأحباب | قد غشهم فاسمع أخي جوابي

فكتب الشيخ عارف له:

يا سيدي لا تبكين أسفا | على صديق عالم ما أنصفا
ولا تصدّ عنه لكن داره | من صدّ غش باتفاق العُرفا
هذا مقالي إن رجوت عارفا

الشيخ حسن طنون، عالم واعظ من السودان، له أسلوب رائع في الوعظ، يشد السامعين إليه، كان يتردد إلى البحرين للوعظ والإرشاد، ترك أثرًا طيبًا، وتأثر أهل البحرين به وأحبوه لإخلاصه وطيبه، ورقة مواعظه، حيث تميزت مواعظه بالرقه والروحانيات. متواضع لين الجانب، ذو خلق رفيع، حظي الشيخ باحترام علماء البحرين وشيوخها وسائر الناس كما كانت له جهود دعوية كبيرة في الكويت، وكان يتردد إلى مجلس الشيخ يوسف ومجلس عمه الشيخ عبدالله. وكتب — رحمه الله– رسالة إلى الشيخ يوسف مؤرخة في ٢٠/١/١٩٧٠م قال فيها:

«أرجو مخلصًا أن تكونوا بوافر الصحة، وضافي العافية، كما أنني على ما تحبون والحمد لله، وقد وصلت الخرطوم بسلامة الله، وألفيت الإخوان والأهل كلهم بخير.

ويسعدني أن أتقدم إليكم بخالص عبارات الشكر وأجمل آيات الثناء على الحفاوة البالغة التي طرقتم بها جيدي، والمبرة التي أثقلتم بها كاهلي، ولا يسعني إلا أن أبتهل إلى الله وأتضرع إليه بأن يجزيكم عني خير الجزاء، ويوفقكم للخير دائمًا، إنه سميع الدعاء، كما وأسأله جل وعلا أن يجعل محبتنا خالصة لوجهه الكريم ». توفي رحمه الله بالكويت عام ١٩٩٢م.



(الشيخ يوسف مع الشيخ حسن طنون، الشيخ آل مبارك)

- **الشيخ عبدالرؤوف الرحماني**، كان يلقب بخطيب الهند، وهو رجل محب للعلم أسس جامعة سراج العلوم السلفية، وهي جامعة مهمة في النيبال، كان كثير التجول في الدعوة إلى الله، وهو عضو مؤسس برابطة العالم الإسلامي، على صلة بجميع مؤسسي الرابطة وعلمائها، وكان من بينهم الشيخ يوسف حيث تعرف إليه في الرابطة، وكان يبعث بالرسائل إليه لطلب المساعدات للجامعة.

ثانيًا: من داخل البحرين:

- **الشيخ عبدالرحمن بن أحمد المهزع**، عالم فاضل، درس بالأحساء، مدة ثماني سنوات، والده الشيخ أحمد صاحب مدرسة دينية، وقد درَّس في هذه المدرسة الشيخ عبدالرحمن بالإضافة إلى وظيفة القضاء. لازمه الشيخ يوسف عندما تولى القضاء، وتعلم منه الكثير في أمور القضاء كونه يكبره في السن، وكان الشيخ المهزع يحب الشيخ يوسف كثيرًا لعلمه ولحكمته في التعامل مع القضايا، واجتهاده فيها، ولتواضع الشيخ المهزع كان يزور الصديقي في مجلسه

بالزلاق، والعلاقة بينهما قديمة من الآباء والأجداد، وكان الشيخ المهزع يبعث إليه برسائل من المحكمة منذ أن كان الشيخ يوسف إمامًا بمسجد الزلاق، يطلب فيها مرة شهادته، ومرة بالتزويج.

والشيخ المهزع جريء في قول الحق، سريع البت في الخصومة، لا يرضى من المتخاصمين رفع أصواتهم في مجلس القضاء. وكان –رحمه الله– ذا هيبة وسمت جميل، كريم النفس، يده ممدودة بالعطاء، وكان يكتب بعض الأشعار.

وقد كتب الأديب الشيخ محمد بن عبدالرحيم الصدِّيقي قصيدة من إحدى عشر بيتًا، يمدح فيها الشيخ عبدالرحمن المهزع، قال فيها:

لقد وردت رسالتكم أخينا	علمت بها علمًا يقينا
فمكنتم مودتكم بقلبي	وتزداد على مر السنينا
فكم لكم علينا من أياد	دومًا بالمكارم تتحفونا
وأنتم آل مهزع من قديم	هداة الملا حصنًا حصينا
وذكركم يدوي في البرايا	على طول الزمان له طنينا
هنيئًا لأول أنت فيها	تحكم شرع خير المرسلينا
أرى البحرين تنجب كل يوم	فحولاً في العلوم محنكينا
أرى البحرين تصنع كل يوم	عباقرة تفوق الأولينا
فلم أر مثلهم أبدًا أباة	إلى العليا دومًا طامحينا
أبا محمود يا رمز المعالي	ومن للعلم والتقوى .. (١)
تقبل هذه الأبيات مني	تحياتي لصحبك أجمعينا

فأجابه الشيخ عبدالرحمن بقوله:

كتابٌ قد أتاني من محبٍ	علمتُ مفادَه علمًا يقينا

١- كلمة غير واضحة في الأصل

تـذكـرنـي مـودته فقلبـي	يحن لـه علـى مـر السنينـا
أيـاديـه ووالـده علـينـا	قـديمًا بـالفـوائد يتحفونـا
فـأنـتـم آل صديـق هـداة	عبـاقـرة الملا محـنكينـا
فأنت ويوسف الصديقي عندي	لكـم شـأن يطن لنا طنينـا
هنيًا يـا عـزيـزي أنت فينا	تسمـى بـاسـم خيـر المرسلينا
أبـوك الفـذ أنجبكم فكنتم	لنـا في وقتنا حصنًا حصينـا
فكم مـن علـم أتيتَ به ونظـم	بهـرتَ بـه وفقت الأولـينـا
فلـم أر مثلكـم أبـدًا فأنتـم	إلـى العـليا دومًا طامحينـا
أبـا عبدالرحيم فدتك نفسي	فـدمْ مـاعشتَ للتقوى خدينـا
فبلغ يـا عزيـزي الأهل عنـي	تحيـاتـي وصحبك أجمعينـا

كانت ولادته بالأحساء عام ١٩٠٦م، وتوفي عام ١٩٨٦م، رحمه الله رحمة واسعة، وأولاد الشيخ من الذكور يوسف وأحمد ومحمود.



(مع الشيخ المهزع ومن خلف الشيخ عبدالرحمن، أحمد بن راشد الدوسري)

وفي مكتبة الشيخ يوسف مخطوط كبير يشتمل على كتب عدة ، أولها: مخطوط للشيخ أحمد بن علي البصري، وهو شرح نظم قطر الندى وبل الصدى للسيد ياسين بن السيد إبراهيم. وبعده مخطوط الربع الأول من شرح الشيخ محمد الخرشي على مختصر الشيخ خليل. وهو ملك الشيخ قاسم المهزع.

- **الشيخ محمد بن عبداللطيف آل السعد**، وهو زميل الدراسة والعمل، حيث تم تعيينهما قاضيين شرعيين في قرار واحد، حضرا معًا الكثير من المؤتمرات، منها المؤتمر الذي عقد بكوريا الجنوبية، بتاريخ ٢١مايو ١٩٧٦م، ومؤتمر بغداد، وكانت بينهما مزاورة وتواصل دائم، وعرف عن عائلة آل السعد بالعلم والتواصل مع الناس، لا سيما مجلسهم العامر بفريق الفاضل. وأبوهم هو الشيخ عبداللطيف كان قاضيًا أيضًا بنفس دائرة الشيخ عبدالرحمن المهزع. وكذلك كانت له صحبة طيبة بأخويه الشيخ عبدالرحمن، والشيخ إبراهيم رحمهم اللّه رحمة واسعة. كانوا يصلون الشيخ أيام الأعياد والمناسبات، برفقة المحبين من أمثال الوجيه نوار الوزان.



(مع الزميل الشيخ محمد بن عبداللطيف على منصة القضاء)

العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم المطوع، درس مع الشيخ في الأزهر وهو في سن صغيرة، كان –رحمه الله– كفيفًا، وكان شديد الذكاء، قوي الحافظة، وكان الشيخ يوسف يذاكر معه، ويقرأ له الدروس، ويقول عنه: إني أقرأ عليه الدرس مرة واحدة فيحفظه دون الحاجة إلى إعادة. وقد برع في اللغة والتفسير. كان صدّاعًا في قول الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ينصح الفقير والغني، والبسيط وذا الجاه، وهو إنسان محبوب لخفة دمه. اشتغل بالتدريس، حتى أصبح مديرًا للمعهد الديني، توفي رحمه الله عام ١٩٩٧م.

- **الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن يوسف المطوع**، وهو ابن عم الشيخ أحمد المطوع، وابن خالة الشيخ يوسف، درس معه في الأزهر الشريف، حتى نال الشهادة العالمية، وكان زميل الدراسة بالإضافة إلى ما تربطهما من قرابة، وكان ذا اطلاع واسع، محب للعلم والقراءة، ويحب الثقافة، وكان متفوقًا نبيهًا، ولديه مكتبة كبيرة، عامرة بالكتب والمراجع، ما زال يحتفظ بها أخوه (ناصر) وقد وهبني بعضًا من كتبه النادرة. كما أنه كان حريصًا على اقتناء الأشياء الأثرية. كان يزور الشيخ في مجلسه بالزلاق، عمل–رحمه الله– مرشدًا دينيًا بقوة دفاع البحرين.

- **الشيخ إبراهيم بن محمد آل محمود**، رجل صّداع بالحق، لا يخشى فى الله لومة لائم، كانت تربطه بالشيخ صداقة حميمة، و الشيخ يحبه ويقدره للعلاقة القديمة مع أبيه وأبناء عمومته، وعائلة آل محمود بأكملها، وكان يتردد دائمًا إلى الشيخ بالزيارة. وكان يبعث بالرسائل حينما كان طالبًا بالأزهر إلى الشيخ يوسف، والشيخ إبراهيم صاحب خط جميل، ومما كتب:

«.... **استلمت** أيضًا خطابك المؤرخ ٥٩/٢/١٥ ..... أخبارنا لا جديد فيها سوى أنني والأخ محمد بن الشيخ عبداللطيف قد نجحنا في امتحان الترم الأول، وكانت درجاتنا جيدة، نسأل الله تعالى التوفيق والنجاح أيضًا في امتحان الترم الثاني، وفي كل شأن، هذا مالزم بيانه، وشرفوني بما يلزم، وبلغ سلامي عمكم الشيخ عبدالله، وأخوالك والشيخ أحمد المطوع، ومن يسألك عني، ومنا كافة الإخوان والأصحاب يسلمون عليكم، ودمتم بخير.... **المخلص إبراهيم محمد آل محمود**».

ومن الجميل أنني وجدت في مكتبة الشيخ يوسف تهنئة للشيخ عبداللطيف بن الشيخ محمود وهو جد الشيخ إبراهيم، يهنؤه فيها بزواج نجله محمد، ومسمى القصيدة (ليل الأنس والابتهاج في

ليلة العرس والزواج) لناظمها محمد بن حسن بن عيد المحرقي، قال فيها:

لحضرة أفخم أكرم ... وَحَبرٍ فاضلٍ أحشم

صفي صادق أشيم ... وَفي أَسْعد أسمى

وهذا عمدة الفهما ... ونخبة جملة الكرما

جليل القدر في العلما ... حوى علما كذا حلما

إمام عالم نحرير ... بعلم الفقه والتفسير

وكذا الفرض والتقدير ... له التصدِير قد يمنى

توفي رحمه الله عام ٢٠١٥م بعد صراع مرير مع المرض.



(في إحدى المؤتمرات مع الشيخ إبراهيم آل محمود، الشيخ عبداللطيف آل محمود والشيخ إبراهيم السعد)

- **القاضي الشيخ عبدالله الفضالة**، كذلك هو زميل الدراسة والعمل، وهو من سنه تقريبًا، درس الشيخ في الأحساء، ولكن لم يذكر لي والدي الشيخ أنه التقاه في الأحساء، وكان معه في الأزهر الشريف توفي رحمه الله عام ١٩٩٠م ، كان خطيبًا في مسجد الشيخ حمد بالمحرق وإمامًا في مسجد الغاوي بالمحرق.

- **الشيخ عمر عبدالوهاب القاضي بن عبدالرحيم بن عبدالله**، زميل الدراسة والعمل، وكانت بينهما مراسلات، ومما كتبه رسالة رقيقة، بأسلوب جميل، وذلك في ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٨٣هـ :«.... عزيزي الأخ الكريم، لقد طال الانتظار، وامتد الفراق، وزاد الهجران، وأنا أريد أن أسابق الزمن، محاولاً في أقرب وقت العودة إلى وطنكم، وذلك لما ألمّ بي، وزادت أشجاني من البعد والفراق، ولكن قضاء الله للمرء غالب. وإلى الآن لم يحدد موعد الامتحان، ولكن يا أخي العزيز كل آت قريب، أرجو الله أن أسعد في وقت قريب بلقياكم، وأتمتع برؤياكم، ونستعيد الذكريات، ونسترجع الأحاديث الممتعة التي تدخل السرور في قلوبنا، والحبور في صدورنا، والتي كان لها الأثر في انسجامنا، وتقارب طباعنا، وكنا نحس كأن جيلنا على طبيعة واحدة، وقلب واحد...». توفي رحمه الله في عام ٢٠٠٤م (١).

- **الشيخ محمد صالح العباسي**، وهو شاعر أديب نحوي، جريء في قول الحق، له العديد من الرسائل في النصح والإرشاد، قضى حياته في الإرشاد والنصيحة والخطابة، وكذلك له العديد من الأشعار، قال قصيدة وجهها إلى ابنه عبدالله رحمه الله قال فيها:

يـا نسيم الصباح بلغ سلامـي ... ولـدي وادعــه لأمــر صــواب

قل له طال عمــره طـال شوقـي ... فتــوجــه إليّ واسمع كتـابــي

ومما يذكره أهل البحرين عن هذا الشيخ الجريء ترشحه للمجلس الوطني عام ١٩٧٣م ، وقد كتب بيتًا من الشعر على صورته في الترشيح، اشتهرت كثيرًا ، قال فيها:

رشحتُ نفســي ولا أبـــالـــي ... بمـن لا يـرتضـي الإسـلام دينًا

١- والشيخ عمر أكمل دراسته ما يعادل الابتدائية والثانوية في فارس وفي العراق (البصرة) وقد حصل على الشهادة العالمية من كلية الشريعة عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م، وحاز على الشهادة العالمية مع الإجازة في القضاء عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م، كما حصل على الشهادة العالمية في التدريس عام ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٦٠م، وفي الأخير حصل على الشهادة العالمية بدرجة أستاذ (الدكتوراه) في الأزهر الشريف. المصدر مقدمة كتاب (المصباح الوهاج في الإسراء والمعراج) للشيخ عمر.

وقال في قصيدة أخرى:

أحب بــــلادي ومــن حبهــا	أرشــح نـفـســـي بــه أعـلـن
وأهــل بلـــدي علـيّ كــــرام	وإن حـــا د بعض ولــم يفطنوا
وظنـــي جمـيــل بـــآرائـهــم	وإنـــي بتـــرشيحهــم مــوقـن
لأن الــــريــم لــه ذمــــة	ويــأبى سوى الصالح المؤمن
وإنـــي لهـــم ضـــامــن كافل	أؤدي لـهــم كل مـــا يـمـكــن

والشيخ محمد تلميذ للشيخ عبدالله عم الشيخ يوسف، توفي رحمه الله عام ١٩٩٢م، وأحتفظُ في مكتبتي بالعديد من رسائل الشيخ ومكاتباته وأشعاره.

- **الدكتور الشيخ عبداللطيف آل محمود**، عالم فاضل، وأستاذ جليل، ومربٍ ناصح، من أسرة مباركة كريمة، كان يتردد كثيرًا إلى مجلس الشيخ، وخاصة أيام الأعياد والمناسبات برفقة عائلته. وهو كثير التواصل، محب لأداء الواجب، وهو على جانب كبير من الثقافة العامة، بجانب إلمامه بالفقه، خاصة فيما يتعلق بالمعاملات المالية، والقضايا الفقهية المعاصرة. وله جهود كبيرة بارزة في خدمة الوطن والدين، كما له مساهمات جليلة مقدرة على مستوى العالم الإسلامي.

وللشيخ عبداللطيف مكانة خاصة في قلب الشيخ، فهو من أسرة آل محمود، الأسرة التي تميزت بالعلم والورع، والأيادي البيضاء، ومحبة الناس وإكرامهم، ومجلسهم عامر بالمحبين. وعلاقة الشيخ بهذه الأسرة قديمة جدًا، فقد تربى الشيخ وتعلم على يد الشيخ الفاضل، والفقيه الشافعي، الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالرزاق آل محمود.

كان الشيخ يستأنس بمقدم الشيخ عبداللطيف إلى مجلسه، ويستبشر به خيرًا، وكان يقول لي: انتظر الشيخ عبداللطيف، سيأتينا اليوم للزيارة، قوموا بتجهيز كل ما يلزم من واجب الضيافة.

وللشيخ عبداللطيف إخوة وهم: الوجيه الشيخ عبدالرزاق والشيخ فؤاد، والشيخ الدكتور أحمد، وهو شيخ فاضل، له جهود مباركة مشكورة في خدمة الفقراء في داخل البحرين وخارجها، حريص



(مع الشيخ عبداللطيف ، وأخوة الشيخ أحمد أيام دراستهم في الأزهر الشريف)

جدًا على مساعدة الناس، والدعوة إلى الله ، وهو صدّاع بالحق. والشيخ عبداللطيف من العلماء العاملين الناصحين، كثّر الله من أمثاله.

- **الشيخ عدنان بن عبدالله القطان**، اشتغل أول مرة بالتدريس، ثم لما رؤي من حرصه ومشاركاته وعلمه، عُين قاضيًا إبان حكم الشيخ عيسى بن سلمان. والشيخ عدنان حريص جدًا على زيارة الشيخ في مجلسه والاستماع إليه من شعره وأدبه، وكان دائمًا يأتي برفقة زميله الدكتور الشيخ فريد مفتاح. والشيخ عدنان يتمتع بأخلاق طيبة، وصفات فاضلة. وقد تدرج في منصب القضاء وأصبح رئيسًا للاستئناف إلى أن أصبح قاضي تمييز. وهو حاليًا خطيب لجامع أحمد الفاتح الإسلامي، ورئيس بعثة الحج.

- **الشيخ نظام بن محمد صالح يعقوبي**، عالم داعية، اشتغل بالحديث النبوي، وبرع في هذا العلم، إضافة إلى سعة فقه واجتهاد ونظر، وجهوده واضحة في الدعوة، وفي نشر العلم وطباعة الكتب، فقد طبع عشرات الكتب على حسابه الخاص خدمة لطلاب العلم. لديه مكتبة شاملة رائعة، فيها من نفائس الكتب والمخطوطات. وقد تتلمذ الشيخ نظام أول طلبه للعلم على يد الشيخ عبدالله بن محمد الصديقي وهو عم الشيخ يوسف، ولما توفى رحمه الله قام بواجب التدريس الشيخ يوسف، وكان الشيخ نظام حريًصا على حضور دروسه، يقول عنه الشيخ يوسف: كان ذكيًا

حريصًا مجدًا على طلب العلم. والشيخ نظام محب للشيخ يوسف يزوره دائمًا في مجلسه، ولا يبخل عليه بشيء من الكتب التي يطبعها. والشيخ كان كثير الإعجاب بالشيخ نظام لحسن حديثه، وكثرت استشهاداته، وسعة إطلاعه، وحدة ذكائه، فبارك الله فيه.

- **الشيخ راشد المريخي**، وهو صاحب مدرسة فقهية منذ السبعينيات، تولى التدريس بعد إجازة شيخه له وهو الشيخ الزاهد محمد بن يعقوب الحجازي، وله طلبة كثر، كان يزور الشيخ الصديقي دائمًا في منزله مع طلابه، وكان لا يقدم ضيف إلى البلاد إلا ويأتيه به إلى الشيخ للتعرف إليه. كان يحب سماع صوت الشيخ وقت الإنشاد، ويطرب لصوته، ويصغي إليه باهتمام شديد. وللشيخ ابن فاضل عالم هو الشيخ إبراهيم، وهو رئيس بمحكمة الاستئناف العليا الشرعية.

- **الشيخ خميس حسن الشيخ علي**، وهو أحد أحبابه وأصدقائه، قال عن الشيخ "عُرف الشيخ يوسف بعلاقاته الاجتماعية الواسعة، التي تنوعت في جميع الأوساط الاجتماعية بدءاً بقمم المجتمع وانتهاء بالطبقة الكادحة، فبيته واحة الزائرين ومطلب القاصدين، ويُلجأ إليه في حل المشكلات الأدبية، ومناقشة الآراء الفقهية، ويرجع إليه في التشريعات الاقتصادية، والمعضلات الاجتماعية. فيعرض عليه الشعراء نتاجهم الشعري، وتقرأ عليه المقالات الأدبية، ويؤخذ رأيه في التصرفات الاجتماعية. وللأحوال الشخصية وقضاياها مكانة هامة يحرص الشيخ فيها على تأليف القلوب والنصح والإرشاد، ويرغب ويرهب، ويمهل ويؤجل قبل أن يبرم الأمر. وللشيخ فكاهة وملائح يغمر بها محدثيه، ويمالح بها مجالسيه، فلا يشعر الزوار بالكلل ولا يسأم المحدَّث ولا يمل".

- **الشيخ قاسم محمد الغانم**، طالب علم نبيه، وهو صديق وفيٌّ، دائم التواصل مع الشيخ، محبوب لدى الناس، صاحب نكتة ودعابة، كل من جلس إليه أحبه وقدره، درس في الأحساء، وكان من الطلاب المجدين والمجتهدين، وهو ذو نباهة وفطانة، كان مأذونًا شرعيًا، وكان يعمل في المحكمة كاتب عدل، فكان مخلصًا وفيًا في عمله، واشتغل بأمانة السر في المحاكم الشرعية، وكان القضاة يثقون به وبعلمه، ويأخذون برأيه إن استشكلت عليهم بعض المسائل، كان يتردد إلى الشيخ للزيارة و طلب العلم مع مجموعة من المشايخ، توفي رحمه الله يوم الجمعة ١١ مايو ٢٠١٨م.

- **الشيخ إبراهيم مطر**، كان مدرسًا بالمعهد الديني، طلب العلم في الأزهر الشريف، وكان يتردد دائمًا إلى الشيخ لزيارته، ويستعير منه بعض الكتب والمراجع، وكان الشيخ يوسف ينيبه عنه أحيانًا في الخطابة في جامع القضيبيه حال تعذره.

وفي الحقيقة فإن أصدقاء الشيخ يوسف كُثر منهم العلماء والوجهاء ومن الأسرة الحاكمة، والكتّاب وغيرهم، أعلم أنهم كانوا يزورونه وبينهم اتصالات ولقاءات ولكن لا علم لي بتفاصيل تلك الزيارات، منهم أبناء العائلة المالكة جميعهم ومنهم أبناء الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رحمه الله.

كما كان للشيخ أصدقاء من شيوخ وعلماء الشيعة منهم:

- **الشيخ سليمان المدني**، نشأ في بيت علم وأدب، وهي عائلة معروفة بالعلم ولهم زعامة دينية، تولى القضاء الشرعي، وتقلد منصب رئيس محكمة الاستئناف العليا، وعضو في المجلس الأعلى للقضاء، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، له العديد من البحوث والمؤلفات. كان كثيرًا مايلتقي بالشيخ يوسف في المحكمة ويتباحث معه في الكثير من القضايا خاصة ذات الشأن الأسري. يقول عنه الشيخ أنه كان على جانب من العلم والفقه الجعفري، ملمًا به إلمامًا كاملاً، ويستحضر المسائل. توفي عام ٢٠٠٣م.

- **الشيخ منصور الستري**، كان رجلاً عالماً بأصول مذهبه، وكان يزور الشيخ في مجلسه، ويتعاطى معه الكثير من المسائل، وكان كل منهما يسأل الآخر في مسائل عن مذهبه، لغرض المعرفة والاطلاع، وليس التعصب والخصام، كان يكسوهم وقار أهل العلم، وسمة العلماء، دون تعصب لرأي، أو تشكك في قول.

- **الشيخ أحمد بن خلف العصفور**، من عائلة اشتهرت بالعلم، فأبوه الشيخ خلف قاضي البحرين مع الشيخ المهزع، عرف الشيخ وعائلته بالوسطية، وجمع الكلمة ولم الشمل، كان قاضيًا ومستشارًا، وكان يزور الشيخ، وقد زاره مرة في المستشفى، وكانا يتبادلان الشعر والحديث وفنون الأدب. وكذلك أخوه الشيخ عبدالحسين، يتمتع بحسن الخلق، وطيب العشرة، وحسن الاستقبال والبشاشة .

- **المطلب الثالث: أصدقاؤه:**

في مسيرته رحمه الله المليئة بالعلم والعمل كان له طلاب لا يمكن نسيانهم، طلاب حين كبروا وصاروا أصدقاء وأصحابًا وأحبابًا، طلابًا أحبوه واحترموه، وصلوه ولم يقطعوه، وآنسوه وسامروه، من هؤلاء:

- **الطالب الصديق والشاعر الأديب، الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة:**

صداقته معه منذ أن كان الشيخ أحمد يسكن الزلاق، حيث عاش فيها طفولته، وولع بها ولعًا شديدًا، وأحبها حبًا كثيرًا، وتمنى أن لم يغادرها، وكتب قصيدة بديعة بعنوان الحنين إلى القرية، ومما قال فيها:

صحبي هنالك في الزلاق ما برحوا	على الوداد فما صدوا ولا نكروا
أعيش في كل بيت من بيوتهم	طيفًا تعجب منه الليل والسحر

إلى أن قال:

حسبي عذابًا من الذكرى إذا عتبت	على نزوحي وإني اليوم أعتذر
أنا الوفي لها في كل نازلة	دومًا وما غيرها لي في الدنى وطر
ففي مدافنها من معشري نفر	مللت طيب حياتي عندما قبروا
توسدوا الرمل عني في مضاجعهم	فهل ترى عوضتهم عني الحفر



(أمام المجلس)



(الشيخ أحمد مع الشيخ يوسف بمجلسه بالزلاق)

يقول الشيخ الصدِّيقي عن تلميذه النجيب: "كان الشيخ أحمد رحمة الله عليه طالباً نجيباً، امتاز بذكائه وبقريحة الشعر لديه، وكنت أعلمه علوم اللغة العربية وأحفّظه القرآن الكريم، وكان الشيخ أحمد يهوى الشعر ويحبه منذ أن كان في التاسعة من عمره، وقد أجاد الشيخ أحمد الشعر النبطي إلى جانب الشعر الفصيح".

وبالطبع لم يكن حب المعلم للطالب بأقل من حب الطالب للمعلم، فقد كان الشيخ أحمد رحمه الله دائم الوصل لشيخه ومعلمه ودائم الزيارة له، وقد كتب قصيدة إلى الشيخ يوسف في إحدى زيارته له في مجلسه بالزلاق عنونها (قصيدة إلى معلمي الأول فضيلة الشيخ الصدّيقي)، يقول فيها:

لي فيك أهل في التراب دفنتهم ... ودعوا فؤادي بعدهم بحريق

ولقيت بعدهم العزاء بماجد ... حبر كريم الراحتين شفيق

زرع النهى في حقل عقلي ... فازدهى روحي بريحان النهى وشقيق

إن قيل من هو ذلك الشهم ... الذي تعنيه؟؟ قلت العالم الصدّيقي

أحمد بن محمد آل خليفة
ص. ب
البحرين

التلفون:
المكتب ٥٥٩٤١
المنزل ٧١٢٣٣٤
البستان ٦٩١٢٢٩

تحية الزلاق

مهداة لصاحب الفضيلة الشيخ الجليل يوسف احمد الصديقي تقديراً لعلمه وفضله

عطر الربيع سرى بكل طريق   في موكب للزائرين أنيق
فتمايس الأزهار فيه وتستقي   منه فراشات الرجا برحيق
يا قرية الزلاق كم لي ملعب   في كل ناحية وكل طريق
قضيت فيك من الشباب ربيعه   وسكبت في واديك كأس رحيقي
واليوم قد ولى الشباب وانني   من ذكره ابداً اغص بريقي
وأراك في ذا الليل تحتضنينني   والشوق يجري في دمي وعروقي
هذا فتاك اتى اليك وقلبه   من لوعة الهجران كالمحروق
ارنو اليك من الروابي خلسةً   واليك في سر الخيال طروقي
اني اخالك يا مهاد طفولتي   عتبى وشوقك للقاء حقيقي
الام تسأل عن غياب بنيها   والهجر يضني مهجة المعشوق
لي فيك اهل في التراب دفنتهم   وعليهم دمعي استحر بموقي
ولقيت بعدهم العزاء بماجد   حبر كريم الاحتشام صدوق
زرع النهى في حقل عقلي فازدهت   روحي بريحان النهى وشقيق
ان قيل من هو ذلك الشهم الذي   تعنيه قلت العالم الصديقي

أحمد محمد آل خليفة
٢٣ سبتمبر ١٩٨١

(القصيدة بخط الشيخ أحمد)

كما كتب قصيدة بعنوان ذكريات من الزلاق، وهي قصيدة أهداها إلى معلمه الشيخ يوسف، قال فيها:

من لصب شاقه البرق فحنا ... لليال طالما فيها تهنى

ذكريات الأمس تشجي قلبه ... كلما طير على غصن تغنى

كنت بالزلاق أيام الصبا ... يوم لي في تلكم الشطآن مغنى

إلى أن قال:

وإذا شاهدت شيخي (يوسفا) ... صرت منه في لقائي مطمئنا

قد تذكرت ليالينا التي ... رغم شظف العيش ما أحلا وأسنى

فرد عليه الشيخ بهذه القصيدة:

مرحبًا يا من بماضينا تغنى ... مبديًا ودًا بقلبينا استكنّا

ذكريات في ربى "زلاق" لما ... كان من سكانها يومًا وكنّا

وسيأتي ذكر القصيدة بأكملها في الفصل الخاص بأشعاره.

والشيخ أحمد ذو دعابة عجيبة، وقصص لطيفة، يحب النكت والقصص، فهو أديب خفيف الظل، وشاعر لطيف المعشر، وهذه عادة الأدباء، والشعراء اللطفاء، يتميزون بروح مرحة جميلة، وخفة ظلٍ لطيفة، وفي كل مرة يزورنا يحمل معه الكثير من المواقف والنكت.

وذات مرة زارنا الشيخ أحمد فلم يجد الشيخ يوسف في مجلسه، حيث كان في زيارة لأحد أصدقائه، فانتظره حتى جاءه، فكتب هذه الأبيات على عجل، قال فيها:

أتينا إلى الشيخ الجليل فلم نجد ... بمجلسه غير المناضد والكتب

فسألت من لاقيته أين يوسف؟ ... فقالوا غدا نحو الزيارة للصحب

فرحنا وسلمنا عليه تأدبًا ... فمنزله في الروح والعين والقلب

ذكرنا أن الشيخ هو المعلم الأول للشاعر الشيخ أحمد، ومع ذلك كان الشيخ أحمد من فرط ذكائه قد فاق معلمه في الشعر وبحوره، لذلك نجد أن المعلم قد عرض أرجوزته على تلميذه شاعرنا، فاطلع عليها وكتب:

« اطلعت على الأرجوزة اللامعة التي نظمها الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي، فرأيتها فريدة في معانيها وألفاظها، ولولا بعض الهنات البسيطة لأتت من فرائد الزمان. قدمها إليّ صديقي الشيخ يوسف كي أمعن النظر فيها، فرأيتها تحتوي على تاريخ آل خليفة الكرام من الألف إلى الياء، وقد سرد في ثنايا تلك الأرجوزة، التي تعد بحق ملحمة تفيض بالمعاني الشجية، فتصور لنا بسالة أجدادنا الباسلين الأفذاذ، وكيف تسنموا مناصب الشرف والفخار، بعزمهم الذي لا يعتريه الكلال ».(١)

- **الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة :** الوزير المخضرم، والمؤرخ الذي كتب عن البحرين الكثير، واعتنى بالتراث عناية كبيرة، فله الفضل في إخراج تاريخ البحرين بصورة مشرفة، وردَّ الكثير من الأباطيل والافتراءات. كان الشيخ عبدالله يحب الشيخ الصديقي، ويزوره دائمًا ويستشيره في الكثير من القضايا، فالشيخ عبدالله رئيس مجلس العائلة الحاكمة، والشيخ يوسف مستشار في المجلس، كانا كالأخوين، كل منهما يزور الآخر، ويتسابقان في الزيارة.

ومن لطائفهما، أن الشيخ عبدالله بن خالد استعار كتابًا من الشيخ يوسف، وذلك في عام ١٣٩٩هـ. فطلب منه أن يرده، فماطله الشيخ عبدالله، بحجة أنه قد أعاره كتابًا فلم يرده، يعني هذا بذاك، فكتب الشيخ عبدالله هذه الأبيات:

إذا أخذت كتابي وانتفعتَ به ... فاردده لي سالماً إني شغفت به

فاحذر وُقِّيْتَ الردى أن تضيعه ... لولا مخافة كتم العلم لم تره

فرد عليه الشيخ يوسف بهذه الأبيات:

وكم صديق له في القلب منزل ... إذا استعار كتابًا لا يرجعه

وكلما نحن ذكرناه ما طلنا ... في كل آونة حتى ضيعه

١- كتب الشاعر الشيخ أحمد هذه الكلمة في دفتر المسودة التي كتب الشيخ يوسف فيها قصيدته.

وما قصدنا إلحاحًا لصاحبنا	بل خوفنا من النسيان يصحبه
لوزيرنا الشهم فضل لا نشك به	ولا نظن بأن اللحَّ يزعجه

فرد عليه الشيخ عبدالله مرة ثانية بهذه الأبيات الظريفة:

لشيخنا الفذ فضلٌ لا نشكُ به	ولا نظنُ بأنّ المنَّ يصحبه
ولا يوجه إلحاحًا لصاحبه	فطيب أخلاقه عن ذاك تمنعه
إذا أردت كتابًا قد شغفت به	فكم لنا من كتاب لم ترجعه؟



(مع الشيخ عبدالله بن خالد والشيخ إبرهيم السعد وابن اخته حسن الصديقي في زيارة لجزيرة حوار)

- **الشيخ خالد بن أحمد الخليفة**، وزير الديوان الملكي كان يتردد لزيارة الشيخ يوسف في مجلسه بالزلاق ويجلس معه طويلاً، والشيخ خالد متذوق للشعر العربي والنبطي، ويحب سماع الشعر من الشيخ يوسف وقد أهداه العديد من كتب الشعر والتاريخ.

- **يوسف بن ارحمه الدوسري**، الرجل الكريم، والخل الوفي، كان ملازمًا لمجلس الشيخ يوسف، يزوره مساء كل جمعة، يحبه حبًا كبيرًا، ودائمًا ما كان يعترف بفضله، كونه أستاذه الأول، وفي كل مرة يزوره يُقر له بالفضل، وما زيارته المتكررة إلا دليل على وفائه، وصدق محبته، كان يهوى الشعر والأدب، كيف لا وأبوه الشاعر ارحمه الدوسري، وهو رجل محبوب بين الناس ما أَمّه أحد في حاجة إلا وقضاها له، تولى رحمه الله منصب رئيس الديوان الأميري في عهد الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وقد أرّخ الشيخ لوفاة يوسف بن ارحمه بقوله: " **ليلة الجمعة الرابع من شهر جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق ٢٧ من شهر أكتوبر ١٩٩٥م انتقل إلى رحمة الله تعالى أخ عزيز السيد يوسف بن ارحمه الدوسري رئيس الديوان الأميري عن عمر ناهز ٦٧ عامًا رحمه الله وغفر له، فكم كان هذا الإنسان دمث الأخلاق والأناة في الأمور فرحمه الله رحمة واسعة، ورحمنا وإياه إذا صرنا إلى ما صار إليه، ولا نقول إلا كما قال الشاعر:**

أَلمّا علــى معنٍ وقُــولا لقـبـره　　　سَقَتْكَ الغوادي مَرْبَعًا ثم مَرْبعا

فكم كان يتمثل بهذا البيت وقت زيارته لنا، أو وقت زيارتي له. وكان كثيرًا ما يحفظ من أشعار العرب من فصيح ونبط "

- **الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالله آل خليفة**، كان دائم التردد إلى مجلس الشيخ يوسف، ويستأنس معه في مذاكرة الشعر والتاريخ. والشيخ إبراهيم رجل هادئ الطبع، ذو خلق نبيل، ومعدن أصيل، وقد عقد عليه الشيخ يوسف حينما تزوج من الشيخة عائشة بنت سلمان آل خليفة. وكذلك كان والده الشيخ حمد رحمه الله محبًا للشيخ يوسف كثير الزيارة له، حتى بعد أن أتعبه المرض كان يزوره وهو على كرسيه المتحرك، وكان صاحب دعابة، يهوى الشعر والأدب.

- **الشيخ عبدالرحمن بن راشد بن محمد آل خليفة**، هو رجل فاضل، وقور ذو سمت وهيئة، متواضع، يكرم أهل العلم والفضل، محبًا لهم، متواصلاً معهم. بدأ أول عمله قاضيًا مدنيًا، ثم وكيلاً لوزارة العدل والشؤون الإسلامية، ثم رئيسًا للمجلس الأعلى للقضاء ورئيسًا لمحكمة التمييز، وهو يشغل الآن رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والشيخ عبدالرحمن صديق وفي، يحب الشيخ كثيرًا، ودائم الزيارة له في مجلسه، ويستشيره في كثير من الأمور الشرعية.

وكان والده الشيخ راشد كذلك يحب أهل العلم والفضل، وكان والده صديقًا لعم الشيخ يوسف وهو الشيخ عبدالله، ويتردد إلى مجلسه. عمل الشيخ عبدالرحمن مع الصديقي في القضاء، ثم وكيلاً للوزارة، وقد سافرا معًا كثيرًا لحضور المؤتمرات الإسلامية، كما وأذكر أنهما حضرا مؤتمرًا إسلاميًا عقد في بغداد.

- **الشيخ خالد بن محمد آل خليفة**، شيخ جليل، محب للعلم وأهله، وكان وزيرًا للعدل والشؤون الإسلامية، تربطه بالشيخ يوسف علاقة متينة، يقدره ويحترمه، ويثق بعلمه وفتواه، وكان يزور الشيخ دائمًا وهو لا يقوى على الحركة، وكان رحمه الله واسع الاطلاع والمعرفة، بصيرًا بالتاريخ، سمعته مرة يقول للشيخ وقد دخل عليه وفي يده كتاب، قال: مشكلة أبنائنا أنهم لا يقرأون التاريخ، وليست لديهم رغبة في القراءة، ويضيف: كنا مشغوفين بالقراءة وحب الاطلاع، ما من كتاب إلا وتهفو نفوسنا لقراءته، أما جيل اليوم فلا يهوى القراءة.

- **خليفة بن أحمد الظهراني**، هو أول رئيس لمجلس النواب بعد رجوع الحياة النيابية، وذلك عام ٢٠٠٢م، واستمر حتى عام ٢٠١٤م كان نعم الرجل الصالح، تميز بالحكمة، وحب الناس، والكرم، ومجلسه عامر بالناس وبمحبيه. كان الظهراني يحب الشيخ ويتواصل معه باستمرار، حيث يعتبره بمنزلة والده، وذلك لأنه كان صديقًا لوالده الشيخ أحمد،حيث كان والده إمامًا لمسجد الشيوخ بالصخير، وكان أبوه ذا مشاعر صادقة، ونوايا طيبة، سريع البكاء، يتأثر بالمواقف، ويذكر لي الشيخ أنه لما أجرى العقد بين خليفة الظهراني وبين بنت علي بن جهام، بكى أبوه فرحًا لزواج ابنه. وكان العقد في ٥ ذي الحجة ١٣٨٠هـ.

- **الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة**، كان يتردد إليه كثيرًا في مجلسه، ويصطحب معه الضيوف والشيوخ بحكم معرفته السابقة بالعلماء كونه كان يشغل مديرًا للأوقاف. كما أن الشيخ يوسف كان يزوره دائمًا في بيته ويسافر معه. والشيخ دعيج محب للتراث، وهواية جمع العملات القديمة، ولديه تراث تاريخي ووثائق والعديد من المخطوطات، ولديه كتاب عن العملات القديمة يضم كل ما يقتنيه وقد كان يشغل منصب وكيل الديوان الملكي.

- **الشيخ خليفة بن حمد آل خليفة**، وهو أخو الشيخ دعيج، كان محبًا للشيخ، ويحترمه ويعتبره بمقام والده، كما أنه محب لأهل العلم، لا ينقطع عن زيارة الشيخ في مجلسه، وكان

يجتمع بالمشايخ ويأخذ مشورتهم، وهو ذو فهامة ومعرفة، ولديه إلمام واسع في الثقافة الإسلامية، بحكم اختلاطه بالعلماء، وبحكم أنه كان يشغل منصب رئيس بعثة الحج. ولديه مجلس عامر يقصده الناس، تولى منصب وكيل وزارة العدل للشؤون الإسلامية، وكان سفير مملكة البحرين لدى الشقيقة دولة الكويت.

- **العم العزيز عبدالله بن سلمان البوعينين**،الرجل الشهم، الوفي النبيل، صاحب القلب الحنون، الذي كان يحب الشيخ يوسف حبًا شديدًا، وقد تربى الشيخ يوسف على يديه، ورأيته وهو في سن كبيرة لا يترك زيارة الشيخ في منزله بالزلاق، وكان يأنس به كثيرًا، ودائمًا ما كان يذكره بطفولة الشيخ في أم الشجر، ويتغنى بالماضي. وكذلك الوالد فضل البوعينين، وأولاده الوزير الشهم غانم، وعلي النائب العام، وعبدالعزيز وراشد وكلهم أصحاب خلق ودين.

- **العم حسن بن راشد البوعينين**، وهو رجل طيب صالح، محب للعبادة، محافظ على صلاة الجماعة، وله مجلس عامر، يقصد لكرمه وأخلاقه، وفضله ونبله.

- **عائلة علي بن أحمد يوسف كانو**، يزورون الشيخ دائمًا ويسألونه كثيرًا خاصة عن أحكام الزكاة، وأياديهم بيضاء، محبون للخير، لا ينكر فضلهم، ولا تنسى مآثرهم. كذلك أبناء الشيخ عبدالرحمن الزياني، راشد وأحمد وجاسم، والوجيه عبدالله محمد جمعة، وأبناء زينل، وأبناء أخوند عوضي، وغيرهم كثير.

الفصل الثاني

الخزينة العلمية للشيخ يوسف الصدِّيقي

- **المبحث الأول:** أدبيات الشيخ ومحفوظاته:
  - **المطلب الأول:** أدبياته.
  - **المطلب الثاني:** محفوظاته الأدبية.
  - **المطلب الثالث:** محفوظاته الشرعية.

- **المبحث الثاني:** مكتبة الشيخ وقراءاته، وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأول:** مكتبة الشيخ ومحتوياتها.
  - **المطلب الثاني:** اهتماماته وقراءاته.

- **المبحث الأول: أدبيات الشيخ ومحفوظاته، وفيه ثلاثة مطالب:**

- **المطلب الأول: أدبياته:**

لا تلم من ذاب في حب الشعر وتذوق طَعْمه، وهام في عشقه ووجد فيه سَلْوه، وتعطر بنفحات رياضِه، وتضوع مسكًا بأزهارِه، فكان منه إلى القلب أشجى من تغريد البلابل، وأسحر من سحر بابل، وأعطر من أنفاس الرياض، وأنضر من حدائق الغياض.

هام الشيخ يوسف عشقًا بالشعر والأدب، والتقط منه كل فن وعجب، فالشعر أجمل ما صاغه الإنسان، وأفضل ما يتعانق به الخلان، فهو أعبق من العبير الفواح، و أمتع من متنقل سواح، وأرق من نسيم الصبا، وأنضر من زهور الربى، يطرب له كسجع الحمام، وأجمل عنده من البدر التمام، إن تكلم به انسابت جداول كلماته على رياضه، وعانق كلماته بألفاظ بلاغته. والشيخ إن لم يكن قرض الكثير من الشعر، إلا أن له اختيارات عجيبة، ومحفوظات فريدة، قال الفرزدق لا يكون الشاعر شاعرًا متقدمًا حتى يكون باختيار الشعر أحذق منه بعمله. وقال الأديب الكبير عبدالله بن محمد بن خميس :

" فالشعر إلى جانب كونه ملكة واستعدادًا.. صاحبا تكوين الشاعر الذاتي، وفطرا معه.. فهو أيضًا رياضة نفس، وإدمان درس، ومعاناة، وحفظ، واستقراء، واستجادة.. لتنمي الملكة، وينضج الاستعداد، وتُتْلاي الحافظة، وتُخصب لغة الشعر، ومقاييسه، وترسيخ مصطلحاته، فحفظ الشعر وتذوقه، ومن ثم اختياره، ونقده، واصطفاد الأجود منه.. مراحل تسبق قرضه، وتأتي موطئة لإنتاج ثمينه وجيده.. حينما تتلاقى روافده، ويطيب غراسه.

فالشعر له صيارفة يستعملون الحاسة السادسة في نقده، وتذوقه.. وبقدر محصول الإنسان من جيده، ومحفوظه من رصينه ومتينه، ومعاناة دراسته، وإدمان استقرائه.. بقدر كل ذلك تكون ملكته في نقده مؤاتيه، وحاسته واعية صافية.. وإذا صادف هذا طبع شاعري، وخاطر لمّاح، ورغبة مشوقة.. فقد تكاملت مادة الاختيار، وتوفرت عناصر النقد" . انتهى كلامه من كتاب الشوارد.

وكان الشيخ منذ نعومة أظفاره مغرماً بالشعر والأدب، وملهماً بحب القراءة والطلب، شغوفًا بمعرفة كل جديد، يقصد كل عالم وشاعر، يطوف عليهم، ويرتاد مجالسهم، ويكتب عنهم ويناقشهم.

ومن منا لا يهوى الأدب ويرتشف من معينه العذب، فالأدب يحرك الوجدان، ويهدي الحيران، وبه يعرف كلام الرب المنان. وها هو الفاروق عمر يسأل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من يعرف هذا الحرف؟ (**أو يأخذهم على تخوف**) ما التخوف ها هنا؟؟ فقام شيخ من آخر المسجد، فقال أنا أعرف ذلك؟ التخوف ها هنا التنقص، فقال عمر: أو يعرف العرب ذلك؟ فقال له: نعم، يقول شاعرنا:

تخَوّفَ الرَّحْلُ منها تامكًا قَـرِدًا كمـا تَخَوّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ (١)

فقال أمير المؤمنين: عليكم بأشعار العرب فإن فيها معرفة كلام ربكم.

نعم إن الأدب يروح النفس، وفيه يستجم الفكر من عناء الجد والكد، ويرتاح من كد الذهن، لينشط من جديد، وهو ديدن العلماء في كل عصر. وكما قال أرسطاس: أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب. وقال بُزُرْجِمَهْرُ: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان وضيعًا، وبَعُدَ صوته، وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيرًا. وقال أبو نواس: ما استكثر أحد في شيء إلا ملّه وثقل عليه، إلا الأدب فإنه كلما استكثرت منه، كان أشهى له، وأخف عليه. وقال: الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة. وكما ورد أن أعرابيًا قال للأصمعي ما حرفتك؟ قال: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه يُنزل المملوك في حد الملوك.

ذخائـر المال لا تبقى علـى أحد والعلم تذخره يبقـى على الأبد

والمـرء يبلـغ بالآداب منـزلـة يَذلُ فيها له ذو المـال والعُـقـد

وحكي عن بعض الفقهاء أنه قال: حُبٌ من الناس حب من الله، وما صلح دين إلا بحياء، ولا حياء إلا بعقل، وما صلح حياء، ولا دين، ولا عقل، إلا بأدب.

طلبت يـومًا مثلاً سـائـرًا فكنت في الشعـر له ناظـمـا

لا خيـر في المـرء إذا مـا غـدا لا طالب العلـم ولا عـالـمـا

١- **تخوف**: تنقص. **التامك**: السنام. **القرد**: كثير الشعر. **النبعة**: شجرة تتخذ منها السهام. **السفن**: المبراة.
قال تعالى: « أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم » (الآية ٤٧) : سورة النحل.

وقال آخر:

أرى العلم نورًا والتأدُّبُ حليـــةً فخذْ منهما في رغبـــة بنصيبِ

وليس يَتمُ العلمُ في الناس للفتى إذا لـــم يكـن في علمـه بأديبِ

ولقراءة الشعر فن وذوق، وحس وحب وشوق، فليس كل من حفظ شعرًا فهم معناه، وأدرك مرماه، فللشيخ علاقة عجيبة مع الشعر، فهو لا يحفظ إلا ما يلامس شعوره، ويمتزج في فؤاده، وإذا حفظه استشهد به بحسب كل واقعة. وكم ألقى شعرًا على أناس فكان شعره اللجام المخرس، وكم شخص ألقى عليه درسًا طويلاً فكان الشيخ الأديب يرد عليه ببيتين من الشعر فينهي كلامه.

ومن يتعاطى الشعر لا بد أن يكون عالماً بالعربية يعرف مفرداتها، وتركيباتها، ولا يتأتى ذلك إلا بكثرة التحصيل والطلب، ويعرف علم البلاغة، فيتذوق بذلك المعاني ويعرف جيدها من رديئها.

من عرف الشيخ أدرك أنه كان مدمنًا قراءة كتب الأدب وحفظ الشعر، فحينما يمسك الكتاب لا يكاد يرسله إلا وقت الصلاة، أوالنوم، فكان يجد متعة لا يتصورها إلا من هام سكرًا، وذاب في الحب وجدًا، لا يمل ولا يتعب، ولا يتأفف ولا ينصب، يعيش في عالمه وكأنه ليس في دنيانا، فكم ناديتُه مرارًا فكان لا يسمعني، ولا يلتفت إليّ، منكبًا على القراءة والحفظ. فهو شره في قراءة الأدب، والشره- كما قيل- في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة.

كان رحمه الله قوي الحافظة، إذا أودع عقله شيئًا لا يكاد ينساه، يحفظ عشرات الأبيات في وقت قصير، ساعدته هذه الذاكرة على حفظ المعلقات السبع ، والكثير من أشعار المتنبي، والفرزدق وجرير، والخنساء، وقصائد البارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم وغيرهم كثير، حتى تجاوز حفظه أكثر من (٣٠) ألف بيت من شعر العرب. إضافة إلى المنثور من كلام العرب، فإذا سمع عن قصيدة قرأها ولم يقر له قرار حتى يحفظها، وكان دائم النظر في كتاب (أدباء العرب) وتعلق به حتى تمزقت أوراقه وسقطت، وكان يجلس من الفجر حتى الظهر لا يكل ولا يمل من القراءة، فكان يقرأ أكثر من (١٠) ساعات وهو في كبره بعد أن ضعف، وكان قبل وفاته قد أحضر له أحد الزملاء السيرة النبوية (شعراً) للدكتور محمد مغربي، وكانت تربو على ألف بيت تتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يقضي ساعات طويلة في حفظها حتى أنه كان لا يكاد يضع

الكتاب من يده، مع كبر سنه وضعف بدنه. أما في وقت شبابه فحدث ولا حرج، كان يمضي أكثر من ١٢ ساعة في القراءة يوميًا.

وتركز حب الشيخ للشعر في شعر المدح النبوي، وكان كثيرًا ما يستشهد بأبيات المدح النبوي التي كان يلقيها رحمه الله بصوت ذي لحن جميل، وخاصة في الليالي الدينية كليلة المولد وليلة الإسراء والمعراج.

وجمع الشيخ بين حب الشعر الفصيح، والشعر النبطي في تزاوج عجيب، وكان يحفظ رحمه الله الكثير من الأشعار لكبار شعراء النبط من أمثال ماجد الخليفي ونمر بن عدوان وارحمه الدوسري، وكان بعض الشعراء يلجأون إليه -رحمه الله- ليصحح لهم الأوزان أو ليساعدهم على إنهاء بعض قصائدهم، وقد كانوا دائمًا يجدون فيه المنبع الذي ينهلون منه.

لقد اتخذ الشيخ الكتاب صديقًا له فأحبه فأعطاه الكتاب، فكان يقول دائماً (خير جليس في الزمان كتاب) وكان يلازم الكتاب في حال الصحة والمرض، بل كان الكتاب هو الدواء الذي يبحث عنه حينما يمرض. حتى وهو مريض يعاني الألم لا يقر له قرار إلا إذا تحدث في العلم أو قرأ كتابًا. وكان الشيخ لا يضيع جزءًا من وقته إلا بما هو مفيد، فإن دخل عليه شخص يريد الكلام أشغله بكتاب، أو طرح عليه مسألة، فيكون حديث المجلس في العلم والفائدة. وكان أكثر ما يشغل مجلسه الحديث في الشعر والأدب، فكان يجلس مع صديقه وتلميذه الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة رحمه الله شاعر البحرين، ساعات يتحدثون في الشعر والأدب والفكر.

وقد جلس الشيخ يوسف مرة مع الشاعر الكبير، والأديب الأريب عبدالله بن محمد بن خميس — صاحب كتاب الشوارد وهي مختارات جميلة في الشعر- مدة زادت على أربع ساعات لا يتحدثان إلا في الشعر، فمر الوقت عليهما من دون أن يشعرا به، وتعجب الشاعر السعودي من محفوظات الشيخ، ولم يتوقع أن رجل دين يحفظ كل هذا القدر من الشعر في كل المجالات (١) . وكذلك تعجب الدكتور غازي القصيبي رحمه الله منه ولم يتوقع أن لدى الشيخ هذا المخزون من الشعر والأدب، وذلك حين زاره في مجلسه بالزلاق، وقت أن كان سفيراً في البحرين. وكذلك الشيخ العلامة

١- كان اللقاء في مدينة بومبي بالهند، وكان بصحبته خالي عبدالرزاق المرافق له دومًا في أسفاره.

عبدالله بن حميد والد الشيخ صالح رئيس المجلس الأعلى للقضاء بالمملكة العربية السعودية، كان يحب الشيخ يوسف حبًا كثيرًا ويدنيه من مجلسه، لمعرفته بالفقه والشعر، فكانا يقضيان الساعات في العلم والشعر.

يقول الشيخ خميس حسن في إحدى مقابلاته مع السيد الوالد وكان ملازمًا له: شغف الشيخ بالأدب العربي أصلاً وفرعًا، فتبحر في دراسة العصر الجاهلي، فدرس المعلقات دراسة الناقد البصير، وخبر مفرداتها وتراكيبها وصورها وأخيلتها ومبانيها ومعانيها، بل وحفظها عن ظهر قلب، وله إلقاء رائع، وأداء أخاذ، حينما تستمع إليه يأخذ بمجامع الوجدان، وينقلك إلى المرابع والمراتع، حيث الشجون، والحكم التي تصدر عن ذوي الألباب، ذوي الدربة والخبرة، أصحاب الحصافة والكياسة، وذي الكرم والأريحية الأصيلة، فضائل الأخلاق. ووصل الشيخ هذه الجذور بفروعها فكان أكثر إجادة لفترة صدر الإسلام حيث كان حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، فما أجمل تلك القصائد من رواية الشيخ عن صدره بمعانيها وأفكارها، التي تؤصل الفداء والمحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذود عنه، وعن الجهاد في سبيل الله، ونصرة الإسلام والدعوة إلى الله على بصيرة. ثم يسير بنا الشيخ —أطال الله عمره- لأميز ما تميز به العصر الأموي. شعراء النقائض، جرير، والفرزدق، وزهير، والأخطل، وما لهم من سجالات كلها يحفظها الشيخ رواية ويعرفها دراية. ثم يقف بنا حيث العصر الحديث مع أمير الشعراء أحمد شوقي، ومحمود سامي البارودي، ومحمد على المغربي بالقصائد الطوال التي تنيف عن أربعمائة بيت في مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم" انتهى كلامه.

وقد وجدت كتابة بخط يده كتبها في صغره بعنوان (وقفة على الأطلال) وهو يتحسر على مكان كان يرده الناس ثم ارتحلوا عن هذه الدنيا وخلفوا آثارهم، يقول: " **أيها المورد.. أين ماؤك؟ وأين القوم الذين كانوا يردون ساحتك صباحًا ومساء؟ وأين الغيد الكواعب الذين يلتفون حولك؟؟ وأين أصحاب الألحان الشجية، والأغاريد الحسنة؟ خبرني أيها المورد، ماذا فعلت بهؤلاء القوم؟ إني أرى المحل بعدهم قد أوحش، ودرست تلك الآثار. خبرني مرة ثانية بربك ماذا جرى بهم، وأي طارق نزل بهم، أيد القدر امتدت نحوهم، أم عاديات الدهر طحنتهم؟؟. أفصح أيها المورد.. مالك أعجم.. ما الذي أبكمك.. وأعجمك ؟ إني لفي حيرة من صنيعك،**

أأعجبك الحزن والفراق على أحبابك، أم أصابك الذهول مما فاجأك من تبدد القوم. قل لي أيها المورد.. أين روادك؟ أظنك لا تطيق الإجابة لأنك أبكم، إن قومك وغيدك غدت عليهم عوائد الدهر ففرقهم، وطحنتهم رحى المنية، فلم تبقي أثرًا، أنزلتهم في قاع أرض، في جوف لحد مظلم، ولم تبقى إلا آثارهم.. " .

- **المطلب الثاني: محفوظاته الأدبية:**

محفوظات الشيخ الأدبية كثيرة، كتب غالبها بخط يده منها على سبيل المثال لا الحصر:

- المعلقات السبع، وقد حفظها أيام الصغر.

- **قصائد أبي فراس الحمداني** منها وهو يخاطب ابنته حينما احتضر

ابـــنـــتـــي لا تـــجـــزعـــي   كل الأمـــور إلـــى ذهـــاب

نـــوحـــي علـــيّ بحسـرة   مـن خلف ستــرك والحجـاب

والقصيدة الشهيرة:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر   أما للهـوى نهـي عليك ولا أمـر

وكتب تشطير هذه الأبيات، يقول الشيخ في مذكراته: فجاء أحد أدباء مصر الفواضل، وشعرائها الكوامل الشيخ أحمد محمد الكناني الأبياري فشطرها تشطيرًا بليغًا رائعًا:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر   كأنك تستحلي هوى طعمه الصبر

ولم تستملك الغانيات بـدّ لـهـا   أما للهوى نهي عليك ولا أمـر

وهي تبلغ ثمانين بيتًا تقريبًا.

- **ديوان الحماسة لأبي تمام:**

وأول بيت فيه هو لقُريط بن أُنيف يقول فيه:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح إبلي   بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

إذًا لقام بنصري معشرٌ خُشنٌ   عند الحفيظة إن ذُو لُوثة لانــا

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم   طاروا إليه زرافات ووحــدانــا

وفي هذا الديوان من القصائد الجميلة التي لا تخفى على طالب الأدب.

- **قصيدة كعب بن زهير:**

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول   متيم إثــرها لــم يفد مكــبــول

وذكر الشيخ يوسف أنها قصيدة لاقت شهرة عظيمة لأنها قيلت في أكرم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وتسمى البردة لأن النبي صلى الله عليه وسلم ألقى عليه بردته الشريفة عند إنشادها أمام حضرته.

كما كتب وحفظ معارضات القصيدة وهي كثيرة منها:

- **للإمام البوصيري**، وسماها بذخر المعاد في معارضة بانت سعاد وهي:

إلــى متــى أنت باللذات مشـغـول   وأنت عن كل مــا قدمت مسـؤول

في كل يــوم تــرجــى أن تتوب غدًا   وعقد عزمك بالتسـويف محلول

- **معارضة أبو القاسم محمود الزمخشري صاحب الكشاف المتوفى سنة ٥٣٨هـ**، وهي:

أضاء لي بالهوى والقلب متبـول   نجدي برق بنار الحب مـوصـولُ

كأن ومضته مــن نــاره قــبــس   والخد مني بماء الشوق مطلـولُ

- **معارضة الإمام يحيى الصرصري الحنبلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وهي:**

ركب الحجاز ومنك الخير مأمول   هل عندك اليوم للمشتاق تنـويلُ

علل بما طاب للبطحاء من خبر   ذا الوجد إن كان يشفي الصب تعليل

- **معارضة محمد بن أبي العباس أحمد الأبيوردي المتوفى سنة ٥٥٠٧، وهي:**

خاضَ الدُجى ورواقُ الليل مسدولُ   برت كما اهتز ماضي الحد مصقولُ

أشيمه وضجيعي صـارم خـذم   ومحملي برشاش الدمع مبلـول

- **معارضة أبي الفضل عبدالمحسن بن محمود التنوخي الحلبي المتوفى بدمشق سنة ٦٤٣هـ، وهي**

صَب عليل وما بالـربـع تعليل   فليس إلا علـى الأعـوال تعـويل

وقفت فيه ونِضـوي مُرّزم وأنـا   باك كأنـا بـه نـوح مشـاكيـل

ومعارضة العزازي، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، وبن سيد الناس، وبن نباته، والفيروز آبادي صاحب القاموس، والقلقشندي، والنابلسي ، والنبهاني، وغيرهم كثير. وقد كتب الشيخ يوسف في مذكراته أربعًا وعشرين معارضة لقصيدة بانت سعاد، وكلها قد حفظها عن ظهر غيب.

- وكذلك حفظ الكثير من ديوان حافظ إبراهيم شاعر النيل، لا سيما القصيدة الشهيرة التي قالها في الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقد وصفها الشيخ بأنها من أروع قصائد حافظ إبراهيم، لأنها تحكي سيرة رجل عظيم له منزلته ومكانته، منذ إسلامه وحتى مقتله رضي الله عنه، ومطلعها:

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها   أني إلى ساحة الفاروق أُهديها

لا هـم هب لـي بيـانًا أستعين بـه   على قضاء حقوق نام قاضيهـا

وعدد أبيات القصيدة١٩١ بيتًا.

وقصيدة حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي:

عفت ذات الأصـابع فـالجـواء   إلـى عـذراء منـزلـهـا خـلاء

وقصيدة شهاب الدين بن فرج الأشبيلي، وهي:

غرامي صحيح والرجا فيك مفضل   وحزنـي ودمعي مـرسل ومسلسل

وشعر **صفي الدين الحلي**، ومنه:

في مثل حبكم لا يحسن العذل   وإنما الناس أعداء لما جهلوا

وقصيدة **حرثان بن السموأل**، وهي:

يا من لقلب شديد الهم محزوني   أمسى تذكر ريّا أم هارون

وقصيدة **ابن الرومي**:

سقى عهد الشبيبة كل غيث   أغر مجلجل داني الرباب

كفى بالشيب من ناهٍ   على كره ومن داع مجاب

وقصيدة **الطغرائي**، وهي:

إصالة الرأي صانتني عن الخطل   وحلية الفضل زانتني عن العطل

مجدي أخيرًا ومجدي أولها شرع   والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

وقصيدة **ابن الوردي الشهيرة**:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل   وقل الفصل وجانب من هزل

وتخميس **اللامية للإمام السيوطي** وهي:

أيها المغرور قصر في الأمل   أما ترى رأسك بالشيب اشتعل

استمع نصحي وعنك النوم خل   اعتزل ذكر الأغاني والغزل

وقل الفصل وجانب من هزل

وقصيد **ابن دريد المسماة المقصورة، ومطلعها**:

يا ظبية أشبه شيء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

أما ترى رأسي حاكه لونه   طرة صبح تحت أذيال الدجى

وعددها ٢٢٤ بيتًا.

وقصيدة أبي إسحاق الألبيري الأندلسي

تفت فــؤادك الأيــام فــتــا	وتنحت جسمك الساعات نحتـا
وتــدعــوك المنـون دعـاء صدق	ألا يـا صاحـي أنت تـريـد أنت

وعددها ١١٦ بيتًا.

وقصائد ابن مليك الحموي، منها:

تعلمت الألحان من نوحى الورقا	وقد أخذت عني الصبابة والعشقا
ورفقتـي في الحب وجـد هـواكم	فأصبحت عبدًا في الغرام لكم رقا

قصيدة محمد صالح النجفي بحر العلوم يرثي فيها الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين، وهي:

الأرض ترجف والسمـاء تـمـور	والـريح تنسف والخليج يفــور
والجـو ينحب والطبيعة شـاعـر	ينعـي وشعـر دمـوعـه منثـور

كذلك حفظ مثلث قطرب لأبي علي محمد بن الميرزا النحوي اللغوي البصري، المعروف بقطرب، وهي قصيدة شهيرة جميلة:

يا مولعًا بالغضب والهجر والتجنب	هجرك قد برّح بي في جده واللعب
إن دموعي غَمر وليس عندي غِمر	فقلت يا ذا الغُمر أقصر عن التعتب
بالفتح ماء كثرا والكسر حقد سترا	والضم شخص ما درى شيئًا ولم يجرب

وقصيدة مالك ابن الريب الذي رثى نفسه قبل موته، وهو شاعر فاتك لص، نشأ في بادية بني تميم عند البصرة، قال عنه الشيخ في مذكراته، إنه يقول الشعر الجيد، وينال الناس بالشر،

فيطلبه الولاة فيفر، ولما مرض أخذ يذكر مرضه وغربته، وهذه القصيدة تعتبر بحق من الشعر الجيد المتين، وهي:

ألا ليت شعري هـل أبيتن لـيـلـة   بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه   وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

وليس مالك هو الوحيد الذي رثى نفسه بل حتى تأبط شرًا قد رثى نفسه أيضًا، لما أيقن بالقتل، يطلب فيها ابن اخته أن يثأر له، لئلا يذهب دمه هدرًا، وهي:

إن بـالشِعْب الـذي دون سَـلْـعٍ   لـقـتـيـلاً دمُـه مـا يُطَـل

خلّف الـعِـبءَ عـلـيّ وولـى   أنـا بـالعبء لـه مُسـتَقِـلُ

وقصائد تأبط شرًا، وهو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، وهذا اللقب جاء من أمه التي رأته خرج من البيت وهو يحمل سيفه، فقالت لمن سألها عنه: لا أدري تأبط شرًا وخرج. وقد رثى ثابتُ الشنفرى حين قتل، يذكر شجاعته وبلاءه مع أعدائه، وهو لايجد في موت زميله حادثًا مفجعًا يدعو للتباكي، ذلك لأن الموت زميل للصعلوك، وقد مات فارسًا بطلاً لا قعيدًا متراخيًا، ومطلعها:

على الشنفرى ساري الغمام ورائح   غزير الكُلى من صيب الماء باكرُ

عليك جزاء مثل يومك بالجبا   وقد رُعفتْ منك السيوفُ البواترُ

وقصيدة الكميت الأسدي، وقصائد الإمام البوصيري، وديوان الإمام البرعي، وأشعار ابن زيدون، والخنساء وخاصة القصيدة التي رثت فيها أخاها

قـذىً بعينيك أم بالعين عـوّارُ   أم ذرّفتْ إذ خلت من أهلها الدارُ

كأن دمعي لذكراه إذا خطـرتْ   فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ

وقصائد الشنفرى، وهو ثابت بن أوس الأزدي، وهو من الشعراء الصعاليك، وهو جريء وداهية، عاش في البراري والجبال والمفازات، كان يهاجم الناس ويسلبهم، ومات مقتولاً، واشتهر بقصيدته لامية العرب، ورغم أنه صعلوك إلا أن لاميته عبرت عن خلق رفيع، وفيها تصوير بليغ لحياة

الجاهلية، من صبر على الشدائد، وأساليب الغزو، والفروسية والبطولة، والشاعر بدأها بهجرة أهله، وسفره في الأرض بعيدًا عن أهله، وأنه يفضل عشرة الوحوش على عشرة قومه، ويرى نفسه أنه أشجع من الوحوش، ومطلعها:

أقيموا بني أُمي صدور مطيكم   فإني إلى قوم سواكم لأَميلُ

فقد حُمّت الحاجات والليل مُقمر   وشُدّت، لِطيّات، مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى   وفيها لمن خاف القِلى متعزل

ثم قال:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن   بأعجلهم إذا أجشع القوم أعجل

فهنا يتعفف عن الجشع، وهي صفة راقية تنبو عن عزة نفس، ونفس أبية. وهذه القصيدة هي التي اشتهرت عن الشنفرى، وإلا فهناك قصائد أخرى، كقصيدة ألا أم عمرو، ودعتْ ساق حر، والمرقبة.

وأشعار البارودي، وللبارودي شعر عجيب جميل، وهو رجل عسكري، وأحد زعماء الثورة العرابية، إلا أنه أعاد للغة الشعر رونقه من خلال قصائده المؤثرة ذات الإحساس الجميل، وخاصة القصيدة الشهيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) ومطلعها:

يا رائد البرق يمّم دارَة العَلَم   واحدُ الركاب إلى حي بذي سَلَم

وإن مررت على الروحاء فأمر لها   أخلاف سارية هتّانة الديم

وهي قصيدة تربو على أربعمائة بيت.

وكذلك حفظ آلاف من شعر مديح النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الكثير من شعر الشعراء المعاصرين كأشعار أمير الشعراء أحمد شوقي، ومعروف الرصافي، ومحمد إقبال المفكر الإسلامي

الكبير، وقصائد غازي القصيبي، وتلميذه وصديقه الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، وعارف الشيخ الذي كان كثيرًا ما يزوده بقصائده الجميلة والسهلة، فكان الشيخ حريصًا على حفظها لما تتميز به من السهولة والخفة، وحكاياتها للواقع. وشعر مطهر الأرياني، وكتب قصيدته صوت بلقيس،

لكل جليل في الحياة ذهاب	وكل عظيم بالعظيم يصاب
وبلقيس إذ كانت على العرش ربة	وفي أفق المجد الأثيل شهاب
إذا أمرت فالشعوب طوع لأهلها	وإن هي نادت للفخار تجاب

وهي قصيدة رائعة مكونة من (٨٢) بيتًا.

وكذلك كان يستعذب شعر **الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ أبي بكر الملا**، وكذلك **قصائد الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي**، منها القصيدة المسماة بالنصيحة والتفهيم بذوي الدين القويم، ومطلعها:

ألا أيها الشيخ الذي بالهدى رمى	سترجع بالتوفيق حظًا ومغنما
ومن يك سعاة النفيس لربه	سعى النصر في سعاه أيان يمما

وقال:

أتقليدنا الأسلاف صار عبادة	فسحقًا لهذا الرأي ما كان أسقما
أحين اتبعنا المهتدين تورعًا	لدرء الخطا منا فعلنا محرما
وهبنا بلغنا الاجتهاد وشرطه	نرى قولهم في الأصل أوفى وأقوما

وهي قصيدة من (٩٥) بيتًا.

وكذلك قصائد الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصدِّيقي، وهي كثيرة جدًا، منها المنظومة البهية في معراج خير البرية، والدرر المنتظم في نظم جوامع الكلم، وأغلب أشعاره هي أراجيز فقهية وجواب عن أسئلة، كمنظومة كشف الريب في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب.

وله تخميسه عجيبة على لامية ابن الوردي. وتتميز أشعار الشيخ محمد بخفتها وسهولة حفظها، وملامستها للمشاعر، فمما قال في نسبه — وكان الشيخ يوسف دائمًا ما يمتثل بهذه الأبيات:

ورحمة الله على ابن الوردي   يعني أبا حفص فذاك جدي

ويقول:

يقول محمد للنظم عندي   مفاتيحٌ أُعيد بها وأُبدي

فأصل النظم للشهم ابن وردي   لذا خمّسته إذا ذاك جدي

ومما قال في نسبه :

وصديق خير الخلق جدي وإنما   أباهي به دينًا ودنيا ومنتما

عليك بدين المرء والعلم والتقى   ولا تنظرن انتسابه حيثما أنتما

فأكرمكم أتقاكم عند ربه   فأكرم به لا من تحلى وعمّما

وقال في نسبه أيضًا :

من النسب الأعلى نصحتك فاستمع   أبو بكر الصِّديق جدي لتعلما

ذكرت لك الأصل الرفيع خشيت أن   تظن بنا ظنّ الدناءة تأثما

وللشيخ محمد بن عبداللطيف آل محمود تخميس للامية ابن الوردي، وتوجد نسخة من المخطوط بمكتبة الشيخ بخط الشيخ عبدالله بن محمد الصديقي، ومطلعها:

سر على مهلك يامن قد عقل   واجتهد في الخير قولاً وعمل

وإذا ما شئت تُرعي وتُجل   اعتزل ذكر الأغاني والغزل

وقل الفصل وجانب من هزل

وكذلك حفظ منظومات الشيخ أحمد بن حجر البطامي، منها المنظومة المسماة بجوهرة الفرائض، ومنظومة في علم الكلام المسماة بالدرر السنية في عقيدة أهل السنة المرضية.

كما حفظ وكتب قصائد الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبداللطيف الشيخ إبراهيم آل مبارك، منها قصيدة:

هل من يجيب إذا دعوت الداعي	ويعي الخطاب وأين مني الداعي
كم ذا أنادي غير مسموع النداء	وأحث للإصلاح غير مطاع

وقال فيها:

سيروا كما ساروا لتجنوا ما جنوا	لا يحصد الحب إلا الزراع
وتيقظوا فالسيل بلغ الزبى	يا أيها النوما على النطاع
قوموا اقراعوا أبواب العلا	لا تقصروا عن همة القراع

ومنظومة العالم الفاضل الشيخ عبدالله بن الشيخ علي آل عبدالقادر الأحسائي يرثي فيها المرحوم الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف آل مبارك

لقد عفت ديار العلم آثار	فأصبح العلم لا أهل ولا دار
يا قاصدين ديار العلم لا تفدوا	فما بذاك الحمى والدار ديار
ترحل القوم عنا واستمر بهم	مشمر من حداة البين سيّار

وهي مرثية جميلة بلغت (٦٤) بيتًا.

كما حفظ غالب أبيات القصيدة الهمزية للدكتور محمد المغربي، في آخر أيامه، وهي قصيدة تربو على ألف بيت، تحكي السيرة النبوية العطرة، وكان يترنم في حفظها وينشدها إنشادًا جميلاً كالمتولع الولهان، كان يضع الكتاب على طاولته بقرب السرير ويديم النظر في قراءتها وحفظها، ومطلعها:

الشعرُ فيك من اللسانِ ثناءُ	ومن القلوب تقربٌ وولاءُ
يمضي الزمانُ وأنت في آفاقهِ	بدرُ الدُجى والكوكبُ الوضاءُ

وكذلك **حفظ الكثير من مرثيات الشيخ حمد بن عيسى فقد رثاه** الكثير من الشعراء منهم

شاعر البحرين إبراهيم العريض، والأستاذ محمد خير الحبال، وشاعر الشباب عبدالرحمن المعاودة، وسعود بن عبدالعزيز الدوسري ساكن الدمام.

كذلك حفظ الآلاف من شعر النبط، نذكر منها، قصائد الشاعر والفارس نمر بن عدوان منها:

سار القلم يا عقاب الحبر سـارا   في زيزف القرطاس من مهجتي سار

وقصيدة حسين أبو خميس ساكن القصيم:

قـولوا لمجهـول البها يفتح الباب   باب الهوى في جنح داج الغياهب

وقصائد محمد عبدالله القاضي:

أفكرت بالدنيا وأفضيت مكتـوم   ماحن في ليحان صدري حامــي

وقصائد الفيحاني:

هيه يا غـادي علـى مثل الظليم   مقتفيه الليل حــاديــه الظلام

وقصيدة:

مـا سمـح قلبي يروح ولا يــرى   زول محبــوبــي ولــو مــن بعيد

وقصيدة تركي بن عبدالله آل سعود:

طار الكرى عن مقلة العين فــرا   فزيت من نومي طرت لي طواري

وبالإضافة إلى حفظه الشعر فقد حفظ الكثير من النثر نذكر بعضًا منها:

كتاب أكثم بن صفي إلى طي، ومطلعه:

أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقى فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع، وعليكم بالخيل فأكرموها، فإنها حصون العرب... " وهي وصية نفيسة، حري بطالب العلم أن يحفظها.

وكذلك خطبة قس بن ساعدة التي خطبها في سوق عكاظ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في سوق عكاظ فأثنى عليه، وهي:

« أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساه، وأرض مدحاه، وأنهار مجراه. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا، يقسم (قس) بالله قسمًا لا إثم فيه أن لله دينًا هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرا ». ويروى أن قسًا أنشأ بعد ذلك يقول:

في الذاهبين من الأولين ... من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا ... للموت ليس لها مصادر

كذلك رسالة سيدنا عمر بن الخطاب المعروفة إلى أبي موسى الأشعري:

"فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك...إلخ" .

وخطبة سيدنا عثمان، وهي: « إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون ظنانون...إلخ ».

وحفظ الكثير من كلام أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب، خاصة نهج البلاغة، ومما حفظ:

« والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدًا، وأجر في الأغلال مصغدًا، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيء من بعض الحطام... "

هذا ما وصل إلى علمي وعرفته من محفوظاته، وإلا فهو يحفظ الكثير الكثير غير الذي ذكرت، والذي لم أتمكن من سؤاله أو الوقوف عليه.

أما لطافته:

فكل من نهل من مناهل الأدب لابد أن تكون روحه لطيفة، ونُكته جميلة، والنكتة إن كانت في مكانها فإنها لا تخل بالمروءة، ولا تنقص من مكانة الإنسان، بل تزيده محبة وتقربًا، وخاصة إن

تجردت عن الفحش وذم الناس، ولم تصطدم بالآداب. فنكت الشيخ ذات ملاحة عجيبة، وهذا أمر مستعذب مألوف عند الفقهاء والأدباء، ولايكاد يخلو كتاب أدبي من مفاكهة وملاطفة.

- **المطلب الثالث: محفوظاته الشرعية والنحوية:**

اعتنى الشيخ منذ صغره بحفظ المتون الشرعية، فحفظ الكثير منها وهي:

ألفية ابن مالك في النحو، والآجرومية، ومتن الرحبية في الفرائض، متن الجوهرة في التوحيد، والشيبانية في التوحيد، لأبي عبدالله محمد الشيباني، والبيقونية في مصطلح الحديث، ومتن الزبد في الفقه الشافعي، ومتن سفينة النجا، ومتن الغاية والتقريب لأبي شجاع وكلاهما في الفقه الشافعي، والمنهاج للبيضاوي في علم الأصول، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، ونظم الورقات للعمريطي في أصول الفقه، ومنظومات الشيخ محمد بن عبدالعزيز في التوحيد، وجميع منظومات صديق الطفولة العلامة أحمد بن حجر، منها منظومة جوهرة الفرائض، في علم الفرائض تربو على مائتي بيت، وكذلك منظومته في علم الكلام وهي من مائتي بيت تقريبًا، واسمها الدرر السنية في عقيدة أهل السنة المرضية ومنظومة الشيخ عبدالله الكوهجي متن البنا في علم الصرف، ومنظومة تحفة الأطفال في علم التجويد لعبداللطيف الخطيب. هذا ما عرفته من محفوظاته.

- **المبحث الثاني : مكتبة الشيخ وقراءاته، وفيه مطلبان:**

- **المطلب الأول: مكتبة الشيخ ومحتوياتها.**
- **المطلب الثاني: اهتماماته وقراءاته.**

- المطلب الأول: مكتبة الشيخ ومحتوياتها.

لدى الشيخ مكتبة ثرية عامرة بالكتب القديمة والمعاصرة، وهي متنوعة من شتى العلوم والمعارف، فغالبها كتب الأدب والشعر، والفقه وأصوله، وكذلك كتب الحديث والتفسير وعلومه والتاريخ واللغة والأنساب، والموسوعات والمعاجم.

كما يوجد فيها الكثير من المخطوطات منها:

مخطوطات الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصدِّيقي، وهي:

زبدة المواعظ وعمدة الواعظ، لوائح السعادة لمن طلب الإفادة عن حقيقة الإعادة، الدرر المنتظم في نظم جوامع الكلم، وأرجوزة على لسان (ذو النون) في وصف دواء الذنوب، المنظومة البهية في معراج خير البرية، منظومة كشف الريب في الرد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم علم الغيب.

ومن المخطوطات:

١- مخطوط في علم الفرائض.

٢- رسالة في الجهر بالذكر، للشيخ حسين الدوسري.

٣- رسالة تنبيه العوام والخواص في تحريم الفطر والتقصير في رمضان على الطواش والغواص، للشيخ محمد بن عبدالرحيم الصديقي.

٤- الشمار الموانع على أصول جمع الجوامع، للشيخ خالد الأزهري المصري.

٥- فتح المنان ببيان الرسل التي في القرآن، للشيخ أحمد نجل الشيخ أحمد السجاعي.

٦- لامية في مدح الملك سعود ، وأخرى في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود، للشيخ عبدالله بن حسن الكوهجي.

٧- دعاء ختم القرآن للشيخ محمد بن فيروز الإحسائي.

٨- تخميس لامية ابن الوردي، للشيخ محمد بن عبداللطيف آل محمود.

٩- خطبة قاضي المدينة في حرم مكة.

١٠- الفوائد البهية في الحدود المنطقية، للشيخ حسن مشاط.

١١- تسهيل التجويد للقرآن المجيد، للسيد عمر الكويتي.(نسختان)

١٢- الأرجوزة الأدبية في الأخلاق والحكم العربية للشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي، بخط الشيخ يوسف الصديقي، ٨ شعبان ١٣٥٥هـ

١٣- قصيدة رثاء سلطان العلماء للشيخ عبدالله بن محمد الصديقي، وأخرى للشيخ محمد بن صالح العباسي.

١٤- كتاب الفروق للإمام ابن هلال العنبكري.

١٥- متن الأربعين النووية.

١٦- بداية الهداية للإمام الغزالي.

١٧- الدرة السنية الفريدة، محمد أمين صالح إسماعيل.

١٨- مجيب الندى إلى شرح قطر الندى.

١٩- مجموعة من خطب الجمعة.

٢٠- حلية الطراز الآتي من بدائع الكمال بما فوق البلاغة ودون الإعجاز، لسليم بيك رحيمي.

٢١- مقدمة في علم العربية متممة لمسائل الأجرومية.

٢٢- شرح الأزهرية في النحو، للشيخ خالد الأزهري.

٢٣- مخطوط كبير بالفارسية.

٢٤- الرسالة المسماة بقمع أهل البغي والطغيان عن شرب التنباك والدخان، للشيخ أحمد بن حجر البوطامي.

٢٥- منظومة في علم الكلام المسماة بالدرر السنية في عقيدة أهل السنة المرضية، للشيخ أحمد بن حجر.

٢٦- منظومة بعنوان جوهرة الفرائض، للشيخ أحمد بن حجر.

٢٧- تحفة السائل عما استشكله من المسائل، للشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا الإحسائي.

٢٨- رسالة في المواقيت للبحرين والزبارة، للشيخ عبدالرحمن بن أحمد الزواوي الإدريسي الحسيني. وهي مخطوطة نادرة جدًا.

٢٩- مخطوط صغير الحجم في الفقه.

٣٠- شمس المعارف الكبرى (مجلد واحد) أبو الحسن علي بن يوسف البوني.

٣١- شرح نظم قطر الندى، أحمد بن علي البصري.

٣٢- القاموس المحيط (مجلد واحد).

٣٣- كتاب من رجل من أهل الذمة عن الاختلاف في الدين (مجلد كبير).

٣٤- مخطوط صغير لحزب الإمام النووي. بخط الشيخ محمد بن أبي بكر الملا.

٣٥- كتاب مزعج الألباب إلى سبيل الإنجاب، للعلامة الشيخ أبي بكر بن محمد الملا.

٣٦- الفوائد البهية في الحدود المنطقية، للشيخ حسن مشاط.

٣٧- شرح قطر الندى وبل الصدى (مجلد واحد) بعنوان (مجيب الندى إلى شرح قطر الندى).

٣٨- الدرة السنية الفريدة، وهو شرح لكتاب الشيخ عبدالرحمن محمد أمين بن محمد صالح إسماعيل السيوطي.

٣٩- مقدمة في علم العربية متممة لمسائل الآجرومية، وشرح الأزهرية في النحو، في مجلد واحد.

٤٠- الفوائد المسعدية في حل المقدمة الأجرومية، لعمر بن إبراهيم بن علي بن أحمد المسعدي.

٤١- أرجوزة في عيوب النفس ودوائها للشيخ أحمد زروق.

٤٢- أخبار المقول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بخط الشيخ عبدالله الصديقي.

٤٣- البدور الطائعات في بعض مخلفات سيد الكائنات، للشيخ حسن الكتابي ١٣٣٢هـ، بخط الشيخ عبدالله الصديقي.

٤٤- دروس التاريخ الإسلامي، لـ عبدالغني ناحقني.

٤٥- منظومة في علم الفلك، للشيخ خليفة بن حمد النبهاني، بخط الشيخ عبدالله الصديقي.

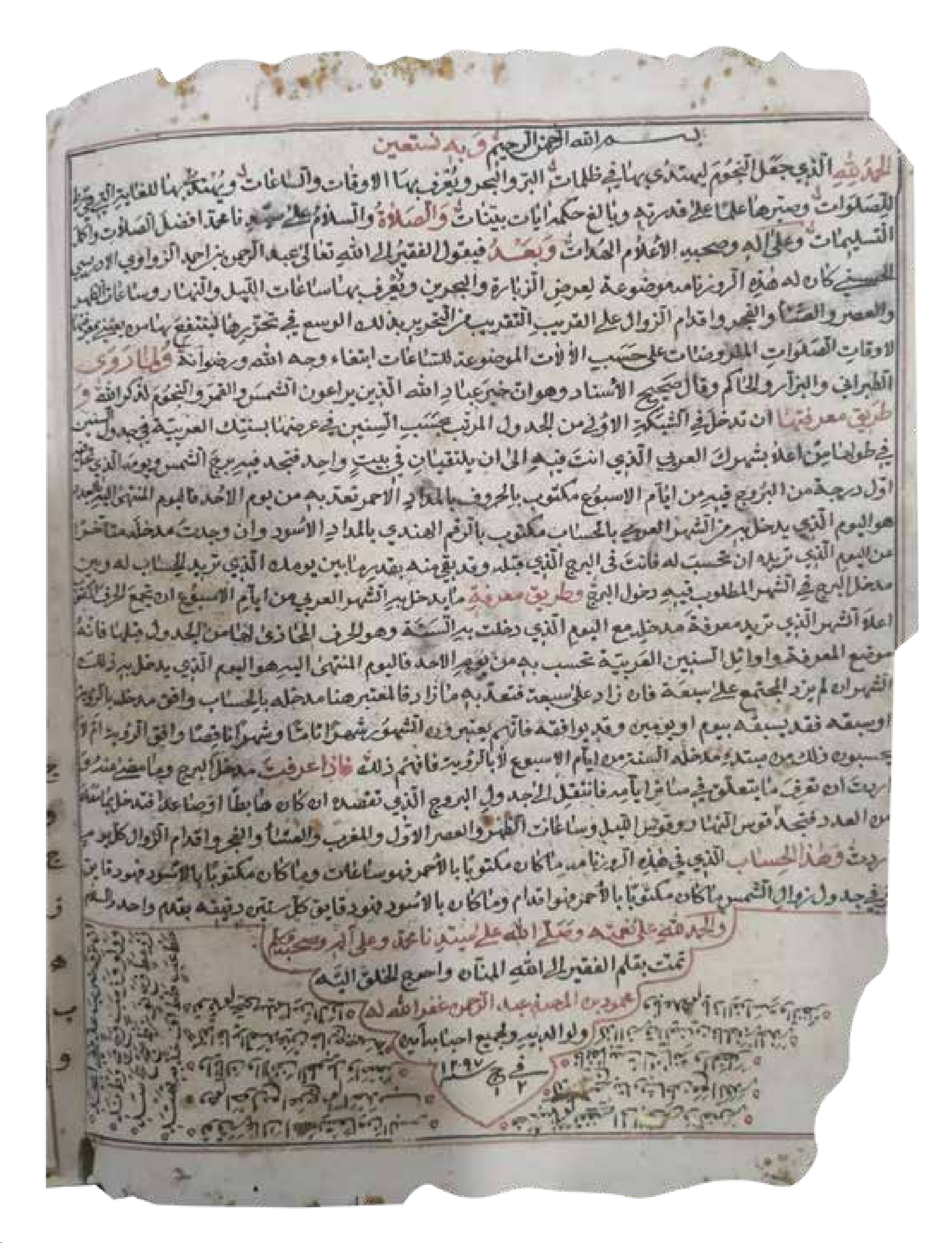
٤٦- نظم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، للشيخ غالي، بخط الشيخ عبدالله الصديقي.

ولمكتبة الشيخ طابع خاص، حيث الكتب القديمة التي ربما لا تجدها في أي مكتبة، وهي نادرة، تعود طباعتها إلى أكثر من مائة عام ويزيد، اشترى بعضًا منها من مصر أثناء الدراسة، واشترى البعض الآخر أثناء سفراته وجولاته نحو العالم، كما أن عمه الشيخ عبدالله قد وهبه مكتبته الخاصة الموجودة في بيته بالمنامة، وبها كتب نادرة ومخطوطات ورسائل.

وقد تبرع الشيخ رحمه الله ببعض الكتب والمخطوطات النفيسة لإدارة الآثار والمتاحف بتاريخ ٩/١١/١٩٧٦م، **ومن هذه المخطوطات:**

قاموس المحيط، وشرح لا مية الأفعال لابن بحرق، وبلوغ المرام ومخطوط لأبي المواهب الرشيدي،

وصحيح البخاري، والمنتخب لابن الجوزي، وشرح القطفة، ونصرة الرحمن على الدلائل والبرهان، ووفيات الأعيان، وشرح البردة، والمدهش لابن الجوزي، وشرح الرحبية، وحاشية على متن الأجرومية، وفتح الوهاب، ومنهاج العابدين للغزالي، وفتح القريب للأصفهاني... وغيرها.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل النجوم ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر ويُعرف بها الأوقات والساعات ويهتدى بها للغاية [illegible] الصلوات وصيرها علما على قدرته وبالغ حكمه آيات بينات والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل الصلوات وأكمل التسليمات وعلى آله وصحبه الأعلام الهداة وبعد فيقول الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن احمد الزواوي الادريسي الحسني كان الله له هذه الروزنامة موضوعة لعرض الزبارة والبحرين ويُعرف بها ساعات الليل والنهار وساعات الظهر والعصر والعشاء والفجر واقدام الزوال على التقريب التقريب عن التحرير بدلا الوسع في تحريرها لينتفع بها من يعتني بمعرفة اوقات الصلوات المفروضات على حسب الآلات الموضوعة للساعات ابتغاء وجه الله ورضوانه ولما روى الطبراني والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد وهو ان خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم لذكر الله وطريق معرفتها ان تدخل في الشبكة الاولى من الجدول المرتب بحسب السنين في عرضها بسنتك العربية في جدول السنين في طولها من اعلا بشهرك العربي الذي انت فيه الى ان يلتقيان في بيت واحد فتجد فيه برج الشمس ويوم الذي [illegible] اول درجة من البروج فيه من ايام الاسبوع مكتوب بالحروف بالمداد الاحمر تعد به من يوم الاحد فاليوم المنتهى اليه العدد هو اليوم الذي يدخل به من الشهر العربي بالحساب مكتوب بالرقم الهندي بالمداد الاسود وان وجدت مدخله متأخرا من اليوم الذي تريد ان تحسب له فانت في البرج الذي قبله وقد بقي منه بقدرها بين يومك الذي تريد الحساب له وبين مدخل البرج في الشهر المطلوب فيه دخول البرج وطريق معرفة ما يدخل به الشهر العربي من ايام الاسبوع ان تجمع الرقم المكتوب اعلا الشهر الذي تريد معرفة مدخله مع اليوم الذي دخلت به السنة وهو الحرف الحاذي لها من الجدول قبلها فانه موضع المعرفة اوائل السنين العربية تحسب به من يوم الاحد فاليوم المنتهى اليه هو اليوم الذي يدخل به ذلك الشهر ان لم يزد المجتمع على سبعة فان زاد على سبعة فتعد به ما زاد فالمعتبر هنا مدخله بالحساب وافق مدخله بالرؤية او سبقه فقد يسبقه بيوم او يومين وقد يوافقه لانهم يعتبرون الشهور شهرا تاما وشهرا ناقصا وافق الرؤية ام لا [illegible] ذلك من مبتدأ مدخله السنة من ايام الاسبوع لا بالرؤية فافهم ذلك فاذا عرفت مدخل البرج وما مضى منه [illegible] ان تعرف ما يتعلق في سائر ايامه فانتقل الجدول البروج الذي تقصده ان كان هابطا او صاعدا فتدخل [illegible] من العدد فتجد قوس النهار وقوس الليل وساعات الظهر والعصر الاول والمغرب والعشاء والفجر واقدام الزوال كما [illegible] وهذا الحساب الذي في هذه الروزنامه ما كان مكتوبا بالاحمر فهو ساعات وما كان مكتوبا بالاسود فهو دقايق [illegible] جدول زوال الشمس ما كان مكتوبا بالاحمر فهو اقدام وما كان بالاسود فهو دقايق كل ستين دقيقه بقدم واحد [illegible]

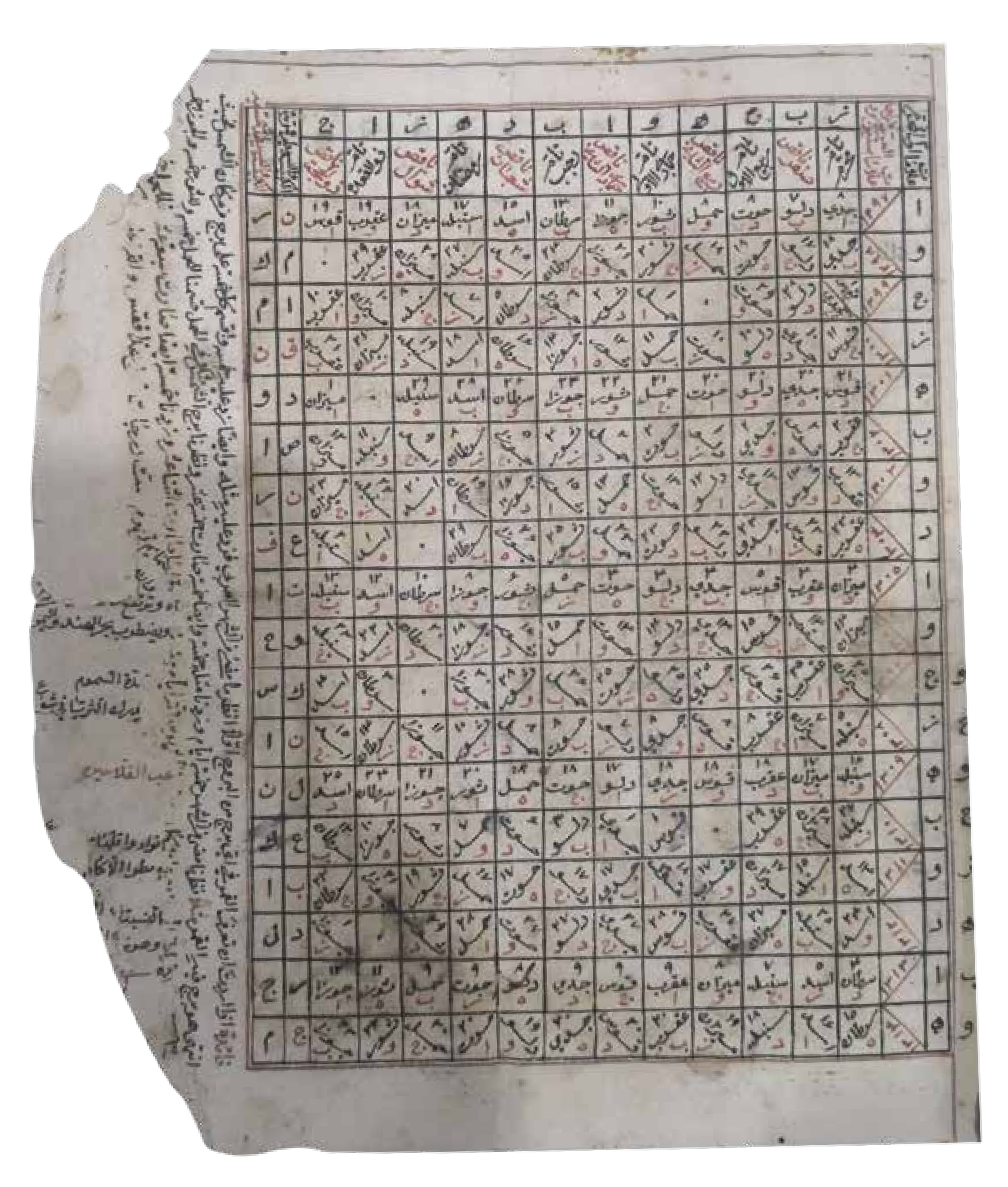
والحمد لله على نعمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت بقلم الفقير الى الله المنان واحوج الخلق اليه

محمود بن [illegible] عبد الرحمن غفر الله له ولوالديه ولجميع احبابه آمين

في ٢ ج ١ سنة ١٢٩٧

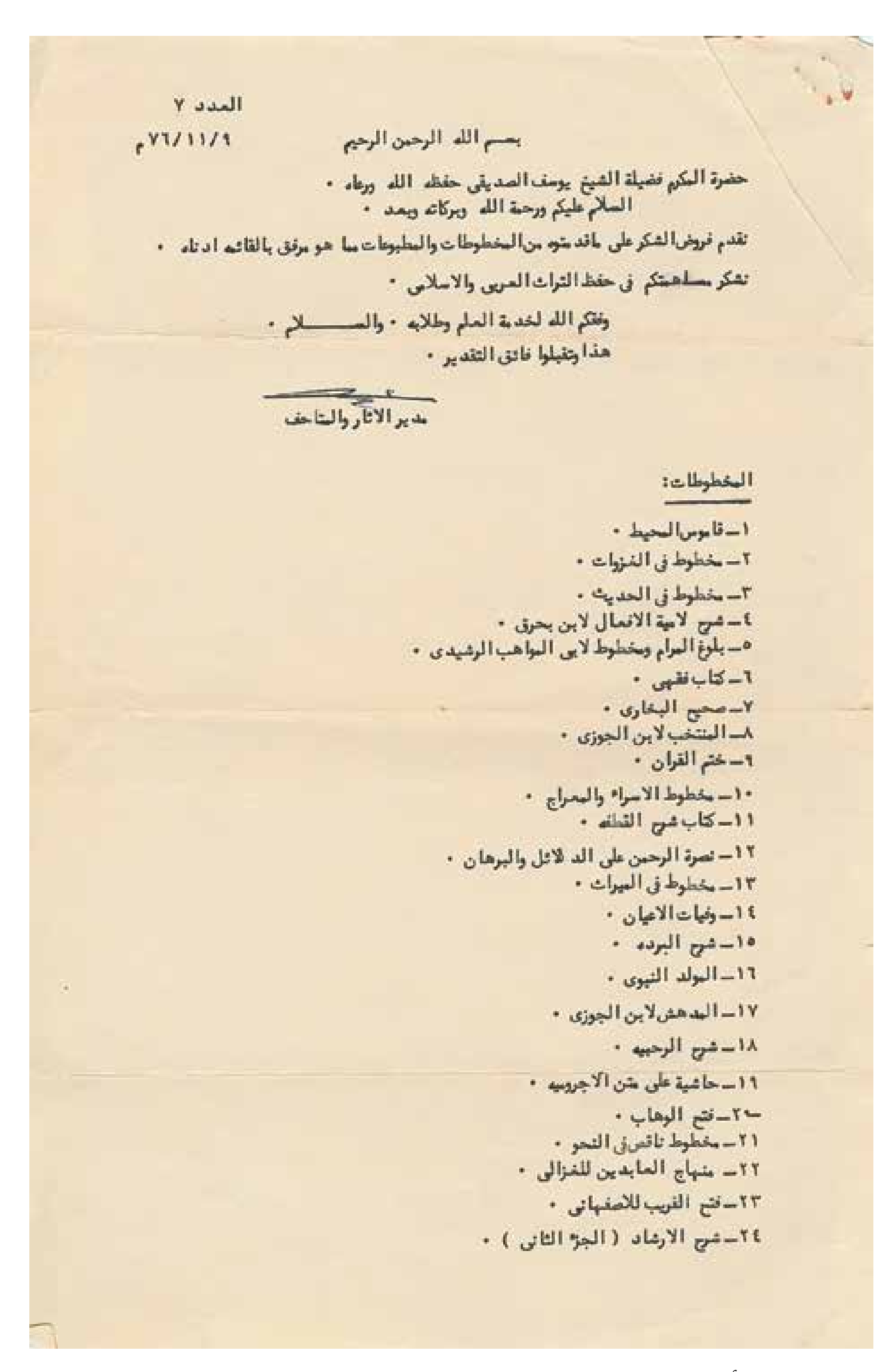
(رزنامة الشيخ عبدالرحمن الزواوي حول توقيت الصلاة للبحرين والزبارة وهي مخطوطة نادرة-الصفحة الأولى وقد قمنا بإهداء جلالة الملك حفظه الله المخطوطة الأصلية كونها تمثل قيمة تاريخية حيث تم كتابتها منذ أكثر من ١٤٥ عاماً)



(رزنامة الشيخ عبدالرحمن الزواوي حول توقيت الصلاة للبحرين والزبارة وهي مخطوطة نادرة-الصفحة الثانية)

(نسخة من مخطوط الشيخ قاسم المهزع)

(نسخة من مخطوط الشيخ قاسم المهزع)



العدد ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٦/١١/٩م

حضرة المكرم فضيلة الشيخ يوسف الصديقى حفظه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

تقدم فروض الشكر على ماقدمتموه من المخطوطات والمطبوعات مما هو مرفق بالقائمه ادناه .

تشكر مساهمتكم في حفظ التراث العربى والاسلامى .

وفقكم الله لخدمة العلم وطلابه . والســــلام .

هذا وتقبلوا فائق التقدير .

مدير الاثار والمتاحف

المخطوطات:

١- قاموس المحيط .
٢- مخطوط فى النزوات .
٣- مخطوط فى الحديث .
٤- شرح لامية الافعال لابن بحرق .
٥- بلوغ المرام ومخطوط لابى المواهب الرشيدى .
٦- كتاب فقهى .
٧- صحيح البخارى .
٨- المنتخب لابن الجوزى .
٩- ختم القران .
١٠- مخطوط الاسراء والمعراج .
١١- كتاب شرح القطله .
١٢- نصرة الرحمن على الدلائل والبرهان .
١٣- مخطوط فى الميراث .
١٤- وفيات الاعيان .
١٥- شرح البرده .
١٦- المولد النبوى .
١٧- المدهش لابن الجوزى .
١٨- شرح الرحبيه .
١٩- حاشية على متن الاجروميه .
٢٠- فتح الوهاب .
٢١- مخطوط ناقص فى النحو .
٢٢- منهاج العابدين للغزالى .
٢٣- فتح القريب للاصفهانى .
٢٤- شرح الارشاد (الجزء الثانى) .

(قائمة بأسماء الكتب والمخطوطات التي تبرع بها الشيخ يوسف لإدارة التراث)

المطبوعات:

العدد ٧

٧٦/١١/٩م .

١ــ حاشية الجمل على الجلالين مطبوع بالحجر .
٢ــ اقرب المقاصد الشرعيه للسيوطي مطبوع بالحجر .
٣ــ الميزان للشعراني مطبوع بالحجر .
٤ــ كتاب الزواجر لابن حجر . مطبوع بالحجر .
٥ــ حاشية حسن العطار على شرح الازهريه في النحو . مطبوع بالحجر .
٦ــ ايضاح المبهم من المعاني السلم في المنطق . مطبوع بالحجر .
٧ــ التحرير وحاشية للشرقاوي . مطبوع بالحجر .
٨ــ الصواعق المحرقه لابن حجر مطبوع بالحجر .
٩ــ كشف الغمه للشعراني . مطبوع بالحجر .
١٠ــ حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن القيم . مطبوع بالحجر .
١١ــ الفقه الاكبر في التوحيد للشافعي .
١٢ــ كتاب الوجيز للغزالي .
١٤ــ صحيح البخاري مجلد مطبوع بحجر الجزء الخامس والسادس ومجلد اخر التاسع ومجلد ثالث الجزء السابع ومجلد رابع هو الجزء الاول .
١٥ــ القول الجامع المفيد للرد في صاحب المؤيد . مطبوع بالحجر .
١٦ــ تاريخ الخميس الجزء الثاني مطبوع . والجزء الاول .
١٧ــ تبصرة القضاة والاخوان .
١٨ــ حاشية على شرح الشيخ الجوهره في علم الكلام .
١٩ــ النفحات النبويه للعدوي .
٢٠ــ شرح حكم ابن عطاء للشرقاوي .
٢١ــ شرح شذور الذهب للانصاري .
٢٢ــ تمرين الطلاب في صناعة الاعراب .
٢٣ــ منهاج العابدين للغزالي .
٢٤ــ فتح القريب .
٢٥ــ الجزء الثاني من حاشية الشرقاوي .
٢٦ــ القول المفيد نسخه ثانيه .
٢٧ــ الجزء الاول من الاقناع .
٢٨ــ الجزء الثالث من الفتاوى الكبرى لابن حجر .
٢٩ــ الكامل لابن الاثير . الجزء الثالث .
٣٠ــ خزينة الاسرار بالكبرى .
٣١ــ الجزء الاول من الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع للشربيني .
٣٢ــ الجزء الرابع من تحفة المحتاج .
٣٣ــ الفتوحات الاسلاميه . (الجزء الاول والجزء الثاني) .
٣٤ــ تحفة المحتاج (الجزء الرابع) .
٣٥ــ شرح ابن الدردير .
٣٦ــ حاشية البجوري على شرح ابي شجاع (الجزء الاول)
٣٧ــ حاشية الحصى على شرح الفاكهي .
٣٨ــ حاشية العدوي على شذور الذهب للانصاري .
٣٩ــ شواهد ابن عقيل للجرجاوي .

ويوجد بالمكتبة العديد من الرسائل القديمة، والأشعار النفيسة التي لم تطبع ولم تنشر، منها العربي الفصيح، ومنها النبطي.

المطلب الثاني: اهتماماته وقراءاته:

شغفُ الشيخ الصدّيقي بالكتاب لم يكن له حدود، فهو يقرأ كل كتاب يقع تحت يديه، وتبصره عيناه، لذلك فإن عمه الشيخ عبدالله الصدّيقي وهبه قبل مماته -رحمة الله عليه- مكتبته المتوسطة الحجم التي كانت تحوي بعض الكتب النادرة والمخطوطات والرسائل.

وقد وهب الشيخ يوسف بعض المخطوطات التي تعود إلى مئات السنين إلى إدارة المتحف، وكذلك بعض الكتب النادرة.

ومن الصعب جدًا إحصاء كل ما قرأه الشيخ، فما قرأه يبلغ آلاف الكتب والرسائل والمجلات، ومن دخل مكتبته يدرك ذلك، فما من كتاب إلا وبه تعليق بسيط. وكان يحرص جدًا على عدم الإكثار من الكتابة داخل الكتاب، وكان يتصفحه تصفحًا رقيقًا خوفًا عليه من التمزق، ولا يثني ورقة الكتاب، بل يضع ورقة صغيرة داخل الكتاب تدله على مكان وقوفه. وكان يضن بالكتاب إلا من يثق به كثيرًا، وإن أعاره سأل عنه وذكّره به حتى يرده، ولا ينسى أنه أعار كتابًا، مع أنه لا يسجل ذلك في ورقة. وتقييدًا بما قيل عن الكتاب «احفظ كتابك من أربعة، الهواء يمزقه، والنار تحرقه، والماء يغرقه، وطالب العلم يسرقه».

فهو قد قرأ الصحاح والسنن، والعديد من كتب الفقه للشافعية، وبقية المذاهب، من كتب الإباضية والزيدية، والظاهرية، والاثني عشرية، وكان بصيرًا بمذهبهم وخاصة فيما يتعلق بمسائل الأحوال الشخصية. وكتب التفسير، والأدب، والتاريخ، وقليلاً ما كان يهتم بقراءة الكتب السياسية.

أولاً: الكتب الأدبية: وقد قرأ المئات من الكتب الأدبية، ومكتبته زاخرة بها، ومن ألقى نظرة على مكتبته سيعرف حجم الكتب الأدبية التي احتوتها مكتبته، ولكن هناك كتبًا أدمن على قراءتها، وأدام النظر فيها كثيرًا، واستأنس بها، **أولها كُتب أركان الأدب و هي:**

١- الكامل في اللغة والأدب:

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد والمعروف بالمبرد، ويكفي هذا الكتاب فخرًا أن العلامة ابن خلدون قال عن هذا الكتاب في مقدمته: " وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (الأدب) وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر والأمالي للقالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها " . وهو كتاب يجمع بين الكلام المنثور والشعر والأمثال وتفسير الكلمات المغلقة، والخطب والمواعظ والرسائل وغيرها.

٢- أدب الكاتب:

لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، وهو إمام في اللغة والنحو،تكلم فيه عن أصول الكتابة وآدابها. اعتنى به العلماء قديمًا وحديثًا، وشرحوه وكتبوا عليه التعليقات، وهو كتاب لا يستغني عنه من أراد تقويم لسانه ويده. ومن مؤلفاته تأويل غريب القرآن وغريب الحديث، وعيون الأخبار، كتاب الخيل. قال العلامة محي الدين عبدالحميد عن هذا الكتاب: « وهو كتاب تأدب به الكثيرون من علماء هذه الأمة، ووجدوا فيه غناء عظيمًا، وقد عني به قديمًا غير واحد من رجالات اللغة فشرحوه، وكتبوا عليه التعليقات».

٣- البيان والتبيين:

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو من أشهر مؤلفاته، وكذلك كتاب الحيوان، والبيان كتاب أدبي، فيه منتخبات أدبية جميلة، ورسائل وأشعار وخطب بديعة، وهو متنوع الموضوعات، ومن يقرأ كتابه فإنه سيعرف أنه فيلسوف في اللغة. فهو لا يقتصر فيه على ذكر الأدب بل يتوسع إلى أمور فلسفية.

٤- ذيل الأمالي والنوادر:

للقالي البغدادي وهو أحد أركان كتب الأدب وهو مرجع في اللغة والأدب، وهو يحتوي على مقالات وروايات متناثرة ، والكثير من أقوال العرب وأمثالهم.

• **شرح كتاب الحماسة لأبي زكريا الخطيب التبريزي**، ومع كثرة شروح هذا الكتاب حيث بلغت عشرين شرحًا كما ذكرها صاحب كشف الظنون، إلا أن هذا الشرح، كما يقول محيي الدين عبدالحميد: له عند العلماء كافة المنزلة التي لا تدانيها منزلة، وليس من بينهم من لم يتأدب به ولم يشتغل بتحصيله وروايته، وآية ذلك عندنا ثلاثة أمور: أولها: أنه كان يكفي أحدهم أن يقول (قال الحماسي) ليدل على أن هذا الشعر مما رواه أبو تمام في حماسته، وليقنع السامع بأن هذا الشعر مرضي مقبول سائغ في الاحتجاج به في اللغة والأدب، وثانيها: كثرة الذين تصدوا لشرحه وبيان غريبه وشرح أخباره من فحول العلماء. وثالثها: كثرة الذين عارضوه فصنعوا صنيع أبي تمام في اختيار مجموعة من أشعار العرب وتسميتها باسم (الحماسة) مع بقاء مختار أبي تمام في الصف الأول منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا إلى اليوم. لذلك كان الشيخ يوسف أحد الذين اهتموا بهذا الكتاب، وانكب على قراءته، حيث كان أول عهد به مع هذا الكتاب حينما كان طالبًا في السنة الأولى من دراسته في الأزهر، حيث اشترى هذا الكتاب وحرص على اقتنائه مع قلة ذات اليد في ذلك الوقت، وكتب بخط يده في أول صفحة من الكتاب (اشتريت هذا الكتاب في عام ١٣٧٢هـ من حي الأزهر وذلك أول أيام الدراسة بالأزهر الشريف). وهو كتاب من أربعة مجلدات فخمة في غاية من الروعة والوضوح، وهي بتعليق الأستاذ الكبير محمد محيي الدين عبدالحميد، وهي طبعة نادرة.

• **معجم الأدباء لياقوت الحموي أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** وهو من كتب التراجم ، وياقوت هو صاحب كتاب معجم البلدان، وكتاب معجم الشعراء، ترجم فيه العديد من الشخصيات الأدبية واللغوية والفقهية أيضًا، وكذلك رجال الحديث، حيث ذكر مصنفاتهم وأخبارهم، كما تضمن الكتاب نصوصًا شعرية جميلة، ونصوصًا نثرية بديعة.

• **العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي للسيد عبدالرحمن السقاف علامة حضرموت ومفتيها**. وهو عبارة عن مجالس أدبية في ديوان المتنبي وقد أهداه إليه الأخ الكريم أحمد بن جبارة الرميحي، الخل الوفي، لم يكن يظن على الشيخ بالزيارة، كريم النفس، صاحب بر وإحسان، ومجلسه دائمًا عامرًا بالناس، فتعلق الشيخ بهذا الكتاب، واستنشق من شذى عبيره، وقطف من بساتينه أزهاره وثماره الحلوة، واستفاد كثيرًا من جواهره وكثرة نكته ولطائفه. فالكتاب منهل

عذب من مناهل الأدب، ولكن هذا الكتاب لم يقرع سمع الشيخ ولم يصافح ذهنه من قبل، فوجد فيه بغيته ونهمه، فأقبل عليه إقبال الظمآن، وتعلق به تعلق العاشق الولهان.

كيف لا يتعلق به وصاحبه نابغة حضرموت، ومن أسرة عرفت بالعلم، وصاحب مواقف بطولية ورجولية، ومصنفاته المختلفة والمتنوعة تشهد له بعلو كعبه، ورفعة مكانته. ومن وقف على مقدمة المؤلف وجدها قطعة أدبية في غاية من الروعة والفصاحة، يقول فيها: " ... فهذه مجالس في ديوان المتنبي كتبناها من عفو الخاطر، ولسان القلم، بلا إعنات روية، ولا إرهاق فكر، وكد قريحة، ولا إتعاب خاطر، ولا جناية على العين، أردنا بها الإحماض وإجمام الفكر، من معاناة الفقه، لم نقصد بها التأليف، ولم نسلك بها سبيل التصنيف.. "

- **العقد الفريد لابن عبد ربه**، من أمهات كتب الأدب، وهو كتاب غني عن التعريف، فيه من الأخبار الجميلة، والنكت الطريفة، والمواعظ الرقيقة، وأشعار العرب، وصاحبه أندلسي، أخذ عن غيره في الاختيار، ومع أنه أندلسي لكنه ذكر الكثير من أخبار المشرق وأخبار العرب، وأخبار اليونان والفرس والهنود وذكر طرائف من أخبارهم.

- **موسوعة الشعر العربي**: وهي اختيارات شعرية جميلة من خمسة أجزاء، اختارها وشرحها كامن مطاع صفدي، وإيليا حاوي، وحوت هذه الموسوعة مختلف عصور الشعر، من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي الأول، إلى العهد الأموي والأندلسي، فالعباسي، وهذه الموسوعة في غاية من الروعة والتنظيم والترتيب، وقُدم فيها الشعر مشروحًا ومفسرًا، فكثير من الدواوين لم تهتم بالشرح والتفسير، أو إن بعضها يكتفي بشرح الكلمات، وإيضاح معناها، ولكن الموسوعة قربت معاني الألفاظ إلى اللغة الحديثة، مع الاحتفاظ بأصالة التفسير الحديث.

- **نهاية الأرب في فنون العرب لشهاب الدين النويري**: وهو موسوعة أدبية ضخمة، وقسم هذا الكتاب إلى فنون، فالفن الأول مثلاً (في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية) ويشتمل على خمسة أقسام، وكل قسم فيه أبواب، وهكذا، وهو كتاب سرد فيه تاريخ البشرية من آدم وحتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وتكلم عن الجبال والأرض، وطبائع البلاد وخصائصها، وفي النبات والأشجار، وغير ذلك.

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي**، وهو موسوعة أدبية وتاريخية واجتماعية، قال الأستاذ الشيخ محمد عبدالرسول رئيس التصحيح العربي بالقسم الأدبي بالمطبعة الأميرية عن هذا الكتاب: " مهما أطال الكاتب في وصف هذا الكتاب، وجود فكره، وأجهد قلمه في التعريف به وبقيمته العلمية والأدبية، فإنه لا يبلغ تعداد ما أودع فيه من الفوائد، وانطوى تحته من الدقائق. فهو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، كبير الفائدة، لم ينسج على منواله في عالم التأليف في فنون الأدب والكتابة، ولا نُعَدُّ مبالغين إذا قلنا: إنه أنفس كتاب ألف في اللغة العربية وتاريخ آدابها " . وذكر الكاتب فيه فضل الكتابة، وصفات الكتاب وآدابهم، ومايحتاج إليه الكاتب، وكذلك ذكر الخلافة في الأرض ومن وليها من الخلفاء، والأسماء والكنى، والولايات، والوصايا ،وغير ذلك مما لا يستغني عن معرفته طالب العلم.

- **خزانة الأدب ولب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي**: وهو كتاب شرح فيه شواهد الكافية للرضي الأستراباذي، حيث شرح الشواهد وحقق المسائل النحوية. وقد سرد فيه الكاتب أمثال العرب وبيان معانيها، وذكر أخبار العرب، وأيام الجاهلية والإسلام. وهذا الكتاب غيرُ كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب) فهذا لابن حجة الحموي، وهو شرح لبديعيته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد حذا فيها حذو (طرز البردة) والكتاب جمع فنون الأدب من اللغة، والبلاغة، والنقد، والتاريخ، والتراجم، والنكت والمساجلات الأدبية.

- **مجمع الأمثال للميداني**: وهو كتاب أمثال، جمع فيه المؤلف نحوًا من خمسة آلاف من الأمثال العربية، ورتبه على حروف المعجم، حيث يذكر مضرب المثل ومورده، ثم يختم ذلك بالاستشهاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء التي جرت مجرى الأمثال. وصاحبه من نيسابور.

- **الشوارد، للأديب الأريب عبدالله بن محمد بن خميس**: وهو كتاب لا يستغني عنه طالب الأدب، ومن أراد الاطلاع على شعر العرب، اختار المؤلف نفائس الأشعار، وانتقاها بعناية عجيبة، ودقة متناهية جميلة، بذل فيها جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلاً، يختار منها بيتًا أو بيتين أو ثلاثة، وربما زاد على ذلك قليلاً. وقد كتب المؤلف مقدمة للكتاب في الطبعة الأولى منه والثانية، في غاية من البيان، والفصاحة في القلم واللسان، حَرِية أن تقرأ باهتمام بالغ، فهي تدل على مخزونه الأدبي، وثرائه اللغوي.

وغيرها من الكتب الأدبية الكثيرة، منها الأغاني للأصفهاني، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، المستظرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، والبخلاء وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب الحيوان للدميري، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، وكتاب قول على قول للأديب حسن الكرمي، كتاب في غاية من النفاسة، ونهاية من الإبداع، وهو عبارة عن برنامج إذاعي في (هيئة الإذاعة البريطانية) يجيب فيه عن أسئلة المستمعين الأدبية، (من القائل وفي أي مناسبة) حيث يبدع فيها الكرمي أيما إبداع.من قرأ هذا الكتاب أو استمع إليه عرف قيمة الرجل وسعة علمه، وقد اقتصرتُ هنا على ذكر نبذة من الكتب التي كان كثير الاطلاع عليها، والرجوع إليها دائمًا، والتي أحبها كثيرًا.

كما قرأ الكثير من الدواوين الشعرية، منها ديوان المتنبي، وحفظ الكثير من ديوانه وديوان الشافعي وقد حفظه في صغره وديوان البارودي وديوان أحمد شوقي وديوان الجواهري وديوان مهيار الدليمي وديوان الشريف الرضي، وعلي بن الجهم، وابن زيدون، وديوان الخنساء، وغيرهم كثير، وقد حفظ غالب أشعارهم.

ثانيًا: الكتب الشرعية التي أدام القراءة فيها فهي كثيرة منها:

كتاب الأم للشافعي، الحاوي للماوردي، وهو كتاب في الفقه الشافعي حاويًا للعديد من المسائل النفيسة، الشرح الكبير للرافعي، والبسيط والوسيط للإمام الغزالي، كفاية الأخيار للحصني، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشربيني، وروضة الطالبين، ومنهاج الطالبين، ومواهب الصمد في حل ألفاظ متن الزبد، وفتح المنان للحبشي، أعجب به أواخر أيامه، استلطف عباراته، وسهولة ألفاظه، والمهذب للشيرازي، وكذلك المجموع شرح المهذب للإمام النووي.

وفي أصول الفقه، الرسالة للشافعي، كان يحب هذا الكتاب كثيرًا، المستصفى للإمام الغزالي، ونهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، وشرح البدخشي، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي.

وفي كتب التفسير، قرأ تفسير البيضاوي، وتفسير الكشاف للزمخشري وهذا التفسير يحبه كثيرًا، وتفسير ابن كثير، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وهو أكثر كتب التفسير ميلاً إليه، والتفسير

الكبير، أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، والبحر المحيط لابن حيان، مجمع البيان للطبرسي.

ثالثًا: كتب التاريخ والسير التي أدام القراءة فيها كثيرة منها:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بمقدمة ابن خلدون، التاريخ الإسلامي للأستاذ محمود شاكر، تاريخ الطبري، طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي. والبداية والنهاية وجميع كتب السير ، كسيرة ابن هشام، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، زاد المعاد.

ولا يعني ذلك أنه لم يقرأ غيرها، بل قرأ الكثير والكثير، ولكن ماذكرته هو أكثر الكتب مطالعة.

الفصل الثالث
أشعاره

١- في رثاء الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين سابقًا:

ريعـت أوالُ وانـهلتْ مـدامعُـهـا — وأجفلتْ غزلانُـهـا في بـواديهـا

وارتاعـت الـوحشُ طُراً في مراتعها — وانهّدتِ الطيرُ قد بانت خوافيها

وأظلـم الجوُّ في قصـرِ الـرفاع أسىً — وأظلمت أركانُه مـن نـواحيهـا

وهـاجمت النـاسُ واسترخت قوائمهُم — مما داهمهم من البلواء داهيها

ونكست أعلامها يوم الخميس ضحى — بكتـهُ كل الثكالـى في نـواديهـا

تبكي أوال علـى المقدام فارسـها — تبكي حبيبا لها قد كان يحميها

تبكي لسلمان سـاقي المزن غيث ندىً — تبكي دمًا فأحن من أقصى مآقيها

تبكي على العين التي غـارت منابعها — تبكي على البدر حـاميها وهـاديها

يـا دار فابكي دموعـاً ثرّةً ودمـاً — واستمطري السحب من أعلى ذراريها

يا سُحب هوِّدْ على أرض الحنين ضحى — وكن رؤوفا بمن حلّ الضحى فيها

فيها السـماحة والأخـلاق عـالية — فيها الشهامة إذ سّلت مواضيها

يـا عينُ كُفّي دموعـاً حـدوهـا — هذي أمور وقد تاه الحجى فيها

هذي أمور من الرحمن منشؤها — هذي أمور وقد بتّ القضا فيهـا

هذي المنايا فما تبقى لنا أحـداً — هذه الكواسر تاهت في مجاريها

يا عين كوني على الأقدار صابرة — وجدد الـعهد هذا الشبلُ راعيها

عيسى الفتى الذي طابت مناقبه — عيسى السماحة لا فخراً ولا تيها

عيســى أيـا مُروِي الفنا قصـد — يا شبل سلمـان يا فكَّاكَ عانيها

عيسى عضيداك لن تنساهما أبداً — فهما النجوم الزهر كانا عون ساريها

وكذا الأقارب والعشيـرة كلهـم — نعم المعين إذا قـامت أعاديهـا

ثم الصلاة على المختار ما سجعت — حـمامة الراك في أعلى مغانيها

٢- مما قال في حوادث الزمان أيام شبابه :

هــذا زمــان عمّت البلــوى بـــه ... فـاحذر أخي من موجبات غدره

فكم أرى مـن سنةٍ قـد محيت ... وكـم أرى مـن بدع قد ظهـرت

قـد خـالفـوا منـاهـج المنـان ... واتبـعـوا أوامــر الشيـطــان

وانحرفوا عن منهج الدين القويم ... واتبعـوا مشـرب منهـج ذميـم

قـد شابهوا الأعداء في الأفعال ... والأكل والشـــرب وفي الأقـوال

قـد صـدق نبـيـنـا المخـتـار ... لـتـتـبـعـن سـنن الكـفـــار

حتـى ولــو بجحر ضب دخلــوا ... رأيتهــم وراءهــم قـد ذهبــوا

فكل هـــذا مـــن فســـاد النيـة ... فـاسمـع مقـالي جيـدًا : أخيّ

طــوبــى لمن تمسكـوا بــالدين ... وبــاقتــداء الشــرعـة المتـين

وقــابض الــدين اعلمنَّ يافتى ... كقــابض الجمــر حديثًا مثبتـا

قــد قلـدت نســاؤنا الــرجالا ... كــذا الــرجال قلـدوا النسـاءَ

وارتكبــوا منـــاكــرًا عظيمـة ... وكل خصلـــة أخـــي ذميمـــة

وبــاعــوا دين الله بــالحطـام ... فـافهم مقــالي يا أخا الإسلام

وصـــار المعــروفُ لديهم منكرًا ... والمنكـر معـروفًا فافهم ما جرى

قلـوبهـم قلــوب ذئب ضـــاري ... لـم يـرقبوا الله الكـريم الباري

وعــاملــونا بــالخـداع والحيل ... وجــادلونا بــالسبــاب والدجل

وطفّفـــوا المكـيـال والميـــزان ... وابتعــدوا عــن منهــج المنـان

٣- أرجوزة في الأخلاق كتبها وهو في سن دون العشرين

الحمـد لله القــديم المنعـــمِ ... الــواحـدِ البرِ الرؤوفِ الأكـرمِ

أوجـــدنا سبحـــانه مــن العدمْ ... فهـــو إلـــه أزلـــي لــم ينـمْ

تنــزه اللّه عـــن الأمثــــــالِ | وعن صفات النقص خذ مقالي
وارفــع السـمـــاء والنجــــوم | ومــاسك الأرضين في التخـومِ
وقســم الخلقَ إلهي ذو الجلال | إلى سـعيد أو شقــي خذ مقال
ووفــق السعيــد للـسـعــادةِ | وألهــم الشـقــي للشـقـــاوةِ
وكلهــا لحكمـــة منـــه جـرتْ | فاتبع مقالي واترك اليوم العَنَتْ
ثــم السعيد يا فتى من قد نظر | عـواقب الـدنيا الدنية واعتبـر
مـشـمـــرًا لطاعـــة الجـــلالِ | مـــراقبًا مـــولاه كلَّ حـــالِ
ومكثرًا مــن الصـلاة والصيامْ | وقـــائمًا للّه إن جـــنَّ الظــلامْ
مــــداومًا تـــــلاوة الــقـــرآنِ | مجـــانبًا لطاعـــة الشيـطــانِ
مخـــالـفـــًا للنفس مــا تهــواهُ | مصـــدقًا للشـــرع مـــا أتـــاهُ
مصفيًا للقلب من داء الحســـد | مجـانبًا للعجب والكـــبر الأشد
وتـــاركًا مجـــالـس الفســـادِ | محـــاذرَ الأسـافلِ الأوغـــادِ
وكثـــرةَ النـــوم وداء الكسـلِ | مصـافيًا أهـل الصفـا والعملِ
ملازمًا مجالس العلـم الشريف | وتـــاركًا كل رذيـل أو سـخيـف
منتهيًا عن شربة الخمر الذميمْ | مجتنـبـــًا حـــلاّفَ همّاز نميمْ
مســاعدًا أهل العلـوم والعمـل | وقـــائمًا بنصـرة الـدين الأجل
وكاظمــًا لغيظـه حـين الغضبْ | مبجـــلاً أهـل الكمـــال والأدبْ
وحافظًا لحرمـة الجار القريبْ | لا تَنْتَهِكَـنَ سـترهُ يـــا ذا اللبيبْ
فكـــن أخـــي مــن النسا بمعزلِ | فهــنّ سيفٌ كالصقيـل القــاتلِ
فــإنَّ كيـــدهـــن يـــا فتى عظيم | هــذا مقـــال ربيَ المولى الحكيم
ولا تضــــادد ملكًا في مــلـكـــه | واحـــذر مــن الهُلاّك عند فتكه

وكن صموتًا عند محضر الرجال ... ولا تكن هـــذرمةً عنـــد السؤال

وصاحب الناسَ وكن منهم حذر ... ولا تشاطط عنـد أمـر قـد أُمر

وإن رأيت جــاهلاً يـاذا الهمم ... فكـن صبورًا حاذقًا ذوي همم

وإن أتى بهفوة بعض الـرجـال ... بصـدر مجلس فكن للستر حال

لا تضجـرن عنـد أمـرِ عَسِرِ ... فاليســر يأتيك ضحـى فانتظر

كـم شـدة مطـوية بـالفـرجِ ... مـا أسـرع الخير إليها قد يجي

وإن بليت نكـبـة فـاصبـر لها ... وكــن صبورًا عندما الأمر دهى

وكـن صبـورًا لـذوي الجِهـالِ ... وكــن حليمـًا طيب الأفـعـالِ

وإن أردت حـاجة فاقصد جواد ... إياك والنـذل اللئيم ذا العنـاد

ولا تـري الأعـــاد قـط ذلاً ... فيشتِمَنْكَ تهلـكـَنْ بـين الملا

واحــذر أخــي مـن الزنا فإنه ... الفقـر واقـع بـه فـاحـذرنه

ولا تعـاشـر يـاأخـي المردان ... فتـرجعن بـالذل والخسـران

واحــذر من اللواط فعل القرده ... فإنـه أمـر هـوى مـا أقبحـه

والطـرف غضه عن الظبي الأغر ... ففيه أضـرار الفتـى أيّ ضـرر

ولا تدع نفسك تجـري كالنعـام ... بل ربهـا كالطفل إذ كان الفطام

وزين النفـس بحسـن الخلـقِ ... وعـاشـر النـاس بـوجه طلقِ

وباعــدن نفسك عن ذا الكذب ... ولا تـمـار أحـدًا ولا تعـب

وإن رأيت مـعـشـرًا فسلـمِ ... أو واحــدًا فافهم مقالي الأقومِ

إيـاك والسـلام بـالإشـارة ... تكـن عـدوَّ سنـة سـنـيـة

واطلب مـن الله غنـى حلالا ... واحـذر حـــرامًا لا يكن وبالا

واعلـم بـأن الرزق عند المولى ... مقـــدرًا سبحـان ربي الأعلـى

وكـم دنـيٍ يـا فتى نال الدنـا ... وكم عزيزُ العيش قد نال العنـى

كـم عـالـم ذاق مرارة العلل وكـم وضيع نـال مـن كل أمل

وقد يصاب العبد في هذي الدنا بـالعسر والخسر بما به جنـى

وكـن غيـورًا أيها الخل الـوفي لُمُحْـرِمٍ فافهم مقالي المنصف

وأرذل العبـاد مـن كان يضـع مَحْـرَمُه بين رجـال ذي خلـع

قـد صار ديوثًا بقول المصطفى فاتبع مقال الحق واترك ما خفا

التمسك بالدين

واعلـم بـأن شـرعة الإسلام لازمهـا في مـوكب العظـام

وخـارج عنها على الجهل هبط محقـر في كل مسلك سـقـط

مجـاهـدين في سبيل المـولـى مصدقين بالله العلـي الأعلـى

لكنهم قـد ضيعـوا كمـا تـرى شـرع الإله ربـي خـالق الـورى

واتبـعـوا مظـالـم العـبـاد بــلا مـراعاة أخـا الـرشاد

فـانصح لوجه الله أيها الحبيب ولا تبالـي بصـديق أو قـريب

واحـذر مـن الجبن أخا المعالي صـاحبـه في غـايـة الإذلال

فضل العلم

والعلم أبقى يا فتى مـن الذهب لأنــه لـلـمـرء حسـن وأدب

يجنبُ الفتـى مـواضـع الخلل فلـم يكن مـن دينه علـى وجل

وقـد أتـى بـأن ذا العلـوم للنـاس هـاديًا كمـا النجـوم

فـنـور العلـم مطمس للجهـل ورافـع الإنسان مـن ذا الـوحل

فـاطلبه في الهند وفي السند معًا ولـو إلـى الصين مكانًا شاسعًا

ولا تكن في البحث عنه ذا كسل حتـى تكـون داركًا علمًا أجـل

وإن لقيت عـالمـًا فـالـزمـه وكل علـم عنـده فـاعـلـمـه

والعلـم لـم يورث عن الأجداد ولا يـرى بـالليل في الـرقـاد

لكـنـــه يحصـــل بـــالتكـــرار   وفي الضحـــى والليل والـنـهـــار

مـــزاحمـًا بـالجـد أهـل العلم   مشمــرًا في سعيــه بــالعـــزم

والعلمـــاء فضلهـم قـد اشتهر   بـأنهم كالبدر في الليل استقــر

وجاء في الحديث فضل العلمـاء   بـأنهم كما النجــوم في السمـاء

وصــاحب الجهـل ملـوم خاسر   تـدركــه الآفــات والمــرائــر

تفــوتــه تقــوى الإله الـبــاري   تقيـــه مـــن شــر ومـن أخطار

الصلاة

واعلــم بـأن ربنــا قد فرضـــا   خمسَ صــلاة لا تكـونَنّ مُعرِضا

تمـلأ قلب العـبــد نـــورًا وسَنـا   وتنتهي عـــن المعــاصــي والخَنا

وهـــي من المولى إلى العبد صلة   طـــوبى لمن بحبله قـد أوصلـــه

وهـــي لعمري أفضل الطـاعـات   لأنهـــا رضـــى لـــذي الهبـــات

لكنهـــا مـــع الخشـــوع أعظـمّ   ويـــرقب الله الجليل الأكـــــرمّ

ومـــن نبــا عنهــا فـذاك الماردْ   في كل حــال جـــاحـد معـانـدْ

بل قـــال أحمـد الفتى الشيباني   يلحـق بالكفـــار خـــذ بيـــانـــي

الزكاة

ثـم الـــزكاة يـــا أخـــا الكمـالِ   مفــروضة علـــى ذوي الأمـــوالِ

محســوبـــة مـــن ثالث الأركانِ   جـــاحدهـــا قد باء بالحرمـــانِ

فـــالمال موروث وعنه قــد سلب   وهــو به في أقصى نار قد سحب

الصيام

ثـــم الصيام يا أخي فيه الحكم   يحسِّنُ المـــرءَ ويعلـــــي للهمم

شهـــر الإله ربنـــا الكـــــريم   أفرضه المولـــى علينا يـــا فهيم

ومـــن نبا عـــن صوم شهر اللهِ   فـــذاك كافـــر بلا اشـــتبـــاهِ

الحج

واعلم بأن الحج للبيت الكـــريم　　أكرم به بيتًا له الجـــاه العظيم
دعـــا إليه ربنـــا المولى الجليل　　عبـاده فنالـــوا الأجر الجزيل
ومـن نبا عن بيت مـولاه حـرم　　وجــاحد الفرض كفورٌ قد علم

بر الوالدين

والـــوالـــدان واجب بـــرهـمــا　　عليك فـافهـم قط لا تنهرهما
قـد ربياك يا فتى وقت الصغـر　　وكابـدا فيك العنـاء والسهــر
فقـد نهــاك ربك المولى الكريم　　عن قــول أف فافهمنِ أيا عليم
صاحبهمـــا ما عشت بالإحسان　　تنل بــه الفــوز مــن المنـــان
أطعهمـــا أُخـــي في غير الكفر　　وطاعــة الــرحمن أولـــى فأدرِ
واحذر من العقوق يا أخا الأدب　　صـــاحبه بـــاء بمقت وغضب

صلة الرحم

وكـن وصـــولاً لـــذوي الأرحـام　　ســواءً بـالحضــور و الســؤالِ
قـد أوجب البــاري علينا برهم　　وعظم المولــى الجليل قـدرهـم
وضـمـن الله لكافلـهـم جــزا　　خيـرًا جليـلاً عــاجلاً ومنجزا
كالبسط في الرزق وطول في العمر　　والحب يــا فتــى بصدق مستمر
وقــاطع الأرحــام بــاء بـالنكد　　وحيث ولــى لـم يكن يفلح أبـد
فـــالله قـــد قطعه كمـــا قطـــع　　أرحـــامـــه سحقًا له بما صنع

باب في الاستشارة

من استشار أصحاب العقول واللباب　　هـــدوه للحق أخي مع الصــواب
ما خاب قط من إذا نوى استخار　　كلا ولم يلق الجوى من استشـار
وشــاورنْ صــاحبك الــرشيدًا　　وعن طــريق الحق لا تكن بعيدًا
ومـن أتـى الأمــر بلا تفكيــر　　يكــون أمـــره إلـــى التعثيــر

النهي عن إضمار السوء لأحد

واعلـــم بـــأن زارع العـــدوانِ بين البرايا يحصد الحــرمـانِ

وحــافــرٌ حفــرةَ ســوءِ لأخيه لا بد أن يسقط يــومًا يــا نبيــه

فــالله يــدري ما يكِنُه الضمير من خير أو شرٍ فكن أخي بصير

صنع المعروف

لا تقطعن عــادة يــا ذا الخيــار عن أحد ما دمت في عيش يسار

فــإن ذاك عــادة يــا ذا الهمم عنــدهــمُ والمحسنون ذو شيــم

إغاثة المظلوم

انصر أخاك ظالمًا .. مظلــومــا هــذا كلام المصطفــى كــريمــا

فــإن معنى النصر في الظلم له تنقـذه مـــنـــه وأن تمنـعـــه

وإن رأيت يــا فتــى مظلــومًا تنصــره وتــردع المظلـــومــا

غض الصوت

وغض صــوتك أخـــي فــإنـــه قــد جــاء في التنزيل فــاحفظنّه

فأنكــر الأصوات صــوت الحُمُر قــد جــاء في التنــزيل بالنكــر

حق الجار

واعلـم بأن الجــار حقه عظيم فكن مبـجـلاً له أخــي الكــريــم

وقــد أتــى عــن النبي الـهــادي حــديثٌ صحَ عــاليَ الإسنــاد

مــن كان يؤمــن بالإله المولــى لــم يؤذِ الجــار فافهمن القــولا

حق الضيف

والضيف حقه واجب يا ذا الفتى بــالشـــرع يــا أخي حديثًا مثبتا

فــالكــرم يكــون قــدر الطاقة والبشــر في الوجه وفي الضيافة

وأوجب ابن حنبــل هــو الإمــام ثلاث أيــام قــراهــا يا غــلام

الحث على الكسب

والزم على الكسب تكن جليلاً ... ولا تسل أخي تكن ذليلاً
فنقل الصخر من أعاليَ الجبال ... أحب للفتى أخي من السؤال

التوكل

ثم توكل يا فتى على الجليل ... في كل أمر فافهمنَّ يا خليل
وخذ بالأسباب مع التوكل ... إياك والكسلَ أخي فتتقل

الإخلاص في الطاعة

ثم اخلص الأعمال لله العظيم ... إياك والشرك فهو فعل ذميم
وباعد الريا عن الطاعاتِ ... لكي تنال أعظم الجناتِ

آداب الحلف

لا تحلفنّ يا أُخيّ بالطلاق ... إن الطلاق قسم الفساق
ومن يعظم غير مولاه العظيم ... فهو كفور من وجوه يا عليم
ومن حلفَ بغير ربه الكريم ... كان من المنافقين يا فهيم

الحذر من كيد النساء

فكن أخي من النسا بمعزلِ ... فهن كالسيف الصقيل القاتلِ
فإنهن حبائلُ الشيطانِ ... فاسمع كلام المصطفى العدناني
لا تأمنن غدرهن يا فطين ... كن واعيًا يا أيها الخل الأمين
فإن كيدكن يا نسا عظيم ... هذا مقال ربي المولى الحكيم

الحث على الصدق

عليك بالصدق أخي فإنه ... يهدي إلى البر أخي اعلمنه
أما سمعت قول ربك الجليل ... في محكم التنزيل ماله من مثيل
بقوله: اتقونِ ..كونوا صادقين ... سبحان ربي فافهمنَّ يا فطين

النهي عن الكذب

واعلم بأن الِكذّب أيها الكريــم يهدي إلى الفجور فافهمن يا حميم

والكـذب يهـدي إلـى النيــرانِ هــذا كلام المصطفــى العدنان

النهي عن الغيبة

واحــذر أُخــي غيبــة لغـافــل واحذر من الداء العظيم القاتل

وهــل يحــيي أحــد أن يــأكلا لحــم أخيــه ميتـًا يـا غـافلا

فــالمسلم الصحيح من قد سلما المسلمــون مــن لســان ويــدا

٤- **وقد نظم أبياتًا في علم الميراث في عام ١٣٦٦هـ أيام طلب العلم في الأحساء، ولكن لم يكملها، وهذه هي الأبيات:**

الحـــمــد لله الذي قـد بينـا في محكم التنـزيل نصًا علنـا

سبحـان مـن قضـى علـى العباد بـالمـوت والفنـا أخـا الـرشـاد

فـنـحمده ونـشـكـره بما كتب من البلايا والـرزايـا والنكب

ثـم الصـلاة والسـلام السـرمدي علـى النبـي الهــاشمـي الأمجـدِ

كـذا الصحــابة الكـرام النُبـلا وآل بـيتــه الجيـاد الـفـضـلا

وبعـد فـاعلـم أيهـا الخل النبيل عن قسـمـة الميـراث لا تكن ضليل

لأن ربـي في الكتـاب بـيـنّـــه نصًا صريحًا كالدراري الواضحة

وحضـرة الرسـول منقـذ العبـاد من الجُهال والضلال والفساد

(أسباب الميراث)

يــا سائلي عــن سبب الميــراث علــى الصحيح يا أخـــي ثلاث

أولهــا النكاح وثــانيهـا الـولاء وبعــده القرابة خذه بـاعتلاء

(موانع الميراث)

ثـــم افهمنْ مــوانــع الميراث فهــي ثـــلاثــة بـــلا انتكاث

أولهـــا القتل وثـــانيهـا الرقيق ثم اختلاف الدين فافهم يارفيق

٥- وقال مداعبًا في مجلس عمه الشيخ عبدالله بالحورة بعد الانتهاء من الدرس، وذلك في ليلة العشرين من ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ :

ربَّ ساقٍ ذي كمال وفطِن ... قدّم الشربةَ من عند حسن

فجزاه الله خيرًا إنه ... كرر الإحسان حينًا وزمن

في شتاء قرب الشاهي وفي ... شدة الصيف من الشرب الحسن

من عصير برتقال أصله ... ومزيج الثلج فيه قد كمن

أسأل الله يكلل جمعنا ... بنجاح واتباع للسنن

مجلس العلم كروضات به ... نفحات غاليات بالثمن

رحمة الله على البادي ومن ... شرع الجلسة للعلم زمن

عمي المغفور أعني عبده ... طيب الله ثراه والسكن

في جمادى آخر منه هوى ... عام تسعين توارى في الكفن (١)

٦- وقد سئل الشيخ يوسف عن حكم حضور النساء للجنائز، هل هي جائزة؟ فقال:

وجاز للنساء يا أخ الكمال ... أن يحضُرَنْ جنازةَ الرجال

وقد أتى ذاك عن الأجلِّ ... أعني به الفاروق ذاك خليّ

كما أتى عن خيرة النساء ... عائشة الحسنى بلا امتراء

زوجِ الرسول الأعظم المعظم ... ابنة صديق الرسول الأفخم

حركني أخي علي للمقال ... وعابد الله أتاني بالسؤال

والشيخ محمود كذاك مصطفى ... لم يبديَ من المقال يا ذا الوفا

كذاك عبد القادر نجل قاسم ... للكوهجي عبد الرحيم ينتمي

كذاك حسن الفقير النائم ... والرجل البكاء عيد آدم

١- تاريخ وفاة عمه الشيخ عبدالله الصديقي ١٣٩٠ هـ

٧- قال وهو بلندن:

أرقت بليل طال وهو قصير ... وأسبل دمع كالجمان نثير

على رفقة فارقتهم في مجالس ... بها الوعظ والإرشاد والتبشير

مجالسهم نور القلوب يضيئها ... وآيات قرآن لهن عبير

أحبهم لله ليس لغاية ... صلاة وتسبيح لهم وشعور

قيام بما يرضي الإله وطاعة ... وكلهم للصالحات نصير

أخلاي كنتم لي دواء وبلسمًا ... لقاؤكم فيه هنا وسرور

أخي الشهم من لندن إليك رسالة ... إليكم على متن الهواء تطير

نبشركم عن الأخ والأولى ... بصحبته والكل فيه سرور

رأينا بلادًا لم تفارق سماءها ... غيوم وأمطار السماء بحور

بها مدنيات وحسن نظافة ... ولم نر شيئًا كالذباب يطير

بها الأمن موفور بها العدل قائم ... وشعب كماء السلسبيل يسير

بناياتها في روعة ومتانة ... مشيدة الأركان فهي قصور

ومن تحتها يجري القطار كأنه ... بصراء لا يُدرى لأين يصير

بها نهر كالسلسبيل يشقها ... فتسقي غياض حولها وزهور

حدائقها تزهو بما في نباتها ... من الورد والريحان فهي عبير

جسور بها فوق الممرات علقت ... فهن كأمثال النجوم تدور

وأسواقها لولا الخمور رأيتها ... كبنت عروس قد زهته ستور

مطاعمهم لم تخل من مسكر بها ... فسيان عندهم الماء وخمور

فوا عجبًا فالله أعطاهم الغنى ... وكل بنعماء الله كفور

فسهو ولهو وادعاء وغفلة ... وربي بما قد يعملون خبير

يظنـون أن الله عن ذاك غــافل | علــى أن رب العــالمين بصيــر
حليــم عليــم منعــم متفضــل | رؤوف بحــال المسلمـين غفــور
هــدانا بتنزيل نهانا عن الردى | ولكنــه بــالصالحــات بشيــر
أعد لأهل الــدين خلــدًا وجنــة | وللكافــر الطاغــي لظى وسعيـر
وحــرم فينــا كل خمــر وميسر | فلــم يكــن بين المسلمين فجــور
على أن رب العرش مع وسع ملكه | وقــدرتـــه رب أحــنُّ شكـــور
صلاة وتسليم على أشرف الورى | مدى ما جرى فينا ضحى وبكور
وآل وصحب كلما هبت الصبــا | وغنت على الأين النضير طيـور
وتــابعيهــم ثــم الــذين يلونهم | فإنــي إلهــي بــالقبول جديـر

٨- وقال منشدًا في مدح سمو الشيخ محمد بن سلمان:

أَمُـحــمــدُ شَـمــس بــدت | في بــيــتــكــم قــد أسفــرت
يــا ســعــدهــا حين بــدت | كالــبــدر في وســط الغمــام

....

أمـحـمـد طــاب الــهـنــا | بـطــفــلـــة ذات ســنـــا
أُبْـقـيــتَ دومــًا في هــنـــا | في عــزة يـــا ابــن الكــرام

....

في شــهــر عـيـد قـد بــدت | بـطــفــلـــة تـطــلـعــت
بهــا مُــنًـــى تـمـخـضــت | حمــاهــا ربــي مــن مقــام

....

في عــام غــينٍ يــا فـهيــم | كــذاك شــيــن ثــم جيــم
كــذاك فـــاء ثــم جـيــم | هـــذا كلامـــي والـســـلام

....

وابــن لأحمُــــد قـــد نظـــمْ　　فِي مـــدحكـــم يـــا ابن الأشـــم

وهــــــو محـــــبٌ مــــن قــدمْ　　حبكــــــمُ وســــط العظــــام

٩- وقال مادحًا الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد السابق رحمه الله، وهي قصيدة تبين المحبة والصداقة الحميمة بينهماوقصيدة لزميلة الشيخ خالد آل خليفة:

أبا حمد مهلاً كفى الشوق ما بيا　　فذكر الحمى أجرت من الدمع عاصيا

أهاجت لي الشوق الدفين ولم أكن　　نسيت ولكـن الهــوى كان خافيا

وأشعلتْ الذكرى كوامن لـوعتي　　فأعلنتُ ما أخفى وعـذري بـاديا

وأشهدتني فيما تعاني من الجوى　　فـأشهدك أني واله القلب صابيا

وإنـــي عميـــد مستهــــام متيـــم　　أشاكيك إن كنت العشية شاكيـا

فـإن نحت إني بالصبابة نـــائح　　وإن بحت إني في الأعالي مناديا

ويـا حسـن تذكار الحمى وأهيله　　وأحلى التناجي في الهوى والتشاكيا

ذكرنا بساحات الحسين ربوعنا　　ومهـــد صبانا والأهيل الغـواليـا

ذكرنا حمانا والشهيد شهيـدنـا　　فـــأنعم بـــذكرانا ونعم المراعيا

أبـا حمـــد إن كنت للسيف والهًا　　فإني لسيف البدعة اليوم صابيا

ولدت وقضيتُ الطفولة والصبـا　　بـــه وبه قـــاد التصابـــي عنانيـا

فكـم خلــوة أنس لا أنس ذكرها　　ظفــرت بهـــا فيه بمن هو غاليـا

بمن يستعير الظبى بعض صفاته؟　　وفي البـدر منـه نـوره المتلألئيـــا

عيون المها قد حازها فاترك المها　　ومــن نجل عينيـه تكـون العواليا

على ظماء من ريقه ذقت خمرة　　فـأسكــرني واستل منــي قياديـا

سبـــانـــي بعينيــه ولألاء خــــده　　وجيـــد كجيـــد الــرئم أتلع حاليا

وشعر بعيد الليل والصبح مشرق　　ووجـــه يعيد الفجر والليل داجيا

وقـد يقـد الصبر مني إذا شكى ... كغصن بنسمات الصبابات لاهيا

مـن الحــور إلا أنــه في زماننا ... ومن فلك الأقمار في الأرض ماشيا

من العرب العرباء أصلاً ومحتدًا ... رشـا خــالد أنجبته البـواديـا

تغذا ضريب الشول واستنشق الشذا ... أريج الخزامى في الرياض النزاويا

فلما استوى منه نضيـر شبـابـه ... وتـاه يبــاهـي حسنه المتناهيـا

أسرناه واقتدناه للحضر فأرعوى ... ولان بلين العيش في الحضر زاهيا

وزاد بــأنــوار التمــدن نــوره ... وأكمــل منــه حسنــه والمعـانيا

بـه مـع جمال الوجه طهر وعفة ... وعرض مصون ما حكى فيه حاكيا

فبــاللّه مــا أحلـى حياة بقـربه ... ويا قلب فأهنا بالحبيب المصافيا

ويا نسمات الروح موعدك الحمى ... ويا سيف لذاتي سقتك الغواديـا

رعـى اللّه بـالزلاق قومًا أحبهم ... ومسكنهم قلبي وإن كنت نــائيـا

إذا هب لي من وادي الضبع نسمة ... تدانت صبــاباتي وزاد اشتياقيـا

وإن كنت في أرض الكنانة ساكنا ... فلا الفكر ينساهم ولا القلب ساليا

فـإني في حي الحسين (بجنتي) ... وقلبي وإحساسي على السيف باقيا

ولــي شاهدٌ عدلٌ عليمٌ بحالتـي ... سلــوا خــالدًا ينبئكم مــا ألاقيا

كفــى خــالدًا فخرًا ومجدًا بأنه ... حـوى نسبًا في أصل عتبة ساميا

فــآبــاؤه صيــد كـرام جحاجح ... ترى كل غصن في ذرى العز ناميا

فيا نسمة الروض عرج على الحمى ... وأبلغــه منــى مـزيد اشتياقيـا

هنــاك تــرى شهمًا أديبًا مهذبا ... محمد نبع الجود والفضل عاليـا

فعـن يـوسف بلغـهُ أزكى تحيـة ... وأن مــوداتــي بــواق كمـا هيـا

خليلي تذكرت الحجيج وعـهـده ... وأيــام أن قـد كنت فيهــا ملبيا

تطوف وتسعى ضاحك السن باسما جميل المحيا ضارع الصوت داعيا

وحولك من أبناء عمك هالة نجوم وأنت البدر في الأفق زاهيا

فكم من مساء قد قضي بحديقة فأنعم بأصباحي بكم ومسائيا

فلا زال شخص الجود ينزل بيتكم ودمتم جميعًا للمعالي مغانيا

أيا خالدًا ذكرتني اليوم ما بيا وأشعلت قلبًا بالصبابة ساليا

فأذكرتني دارًا بها الأنس والصفا ومرتع آدام حللن فؤاديا

أيا خالد يرعاك ربك من فتىً نقضت جروحًا من قديم بواليا

خليلي تذكرت المغاني ومنشأً وأيام لهوٍ في السنين الخواليا

وذكراك للظبي العفيف وطرة بما يترك القلب المعذب ساهرا

غزال بدا خلف الخدور لخالدٍ يلبون للحرب العوان المناديا

فأنعم بعدواها وأكرم بحضرها وأنعم بمغنى طاهر الذيل عاليا

لهوتُ بها في حلوة الطهر والوفا فكنت لمثواها الوفي الموافيا

ذكرت مهاة تتبع السرب إن مشى وتتبع في الجري الظباء المغاليا

وترتع في نبت الخزامى وترتوي لبائن بيض ضمرات محانيا

لقد ذقت يا ظمان خمرة ريقه فأسكرت رواحًا إليه وغاديا

سباك بخدّيه وصُبّح جبينه ومن طرفٍ قد شمت أكحل رانيا

سألت إلهي أن يديم حياته ويبقيه فرعًا للمكارم عاليا

سميري أعد لي من حديثك مرة فقلبي مشوق للأحاديث ثانيا

سميري أعد ذكر المطافيل مرة فهنّ غذاء لي وإن كنت نائيا

أيا خالدًا فات التصابي وعهده فلا أستطيع اليوم حتى التصابيا

ومال فؤادي عن هوى الغيد والدمى سوى حب ظبي في الضلوع باقيا

كتب الشاعر البحريني " أحمد محمد آل خليفة " قصيدة بعنوان (ذكريات من الزلاق) والقصيدة مُهداة منه إلى أُستاذه الشّيخ يُوسف الصّديقي القاضي بمحكمة الاستئناف

مــن نصبٍ شــاقــه مخـنــا … للـيـالٍ طــالـهـا فيهـا تهنـي

ذكـريات الأمس تشجـي قلبـه … كلما طيـر علـى غصـن تغنـى

١٠- فأجابه الشيخ يوسف بقصيدة:

مرحبًا يا مَـن بمـاضِينا تَغَنّى … مـبُـدِيـًا وُدًّا بِقَلبِينـا ٱستَكَـنّا

ذِكْريـاتٌ فِي رُبـى "زَلاّقَ" لَمّا … كانَ مِــن سُكّانـهـا يَـومـًا وكُنّا

يـا لبَحْرٍ يَـا لروضٍ يَـا لأُنْسٍ … يُنعِشُ المحـزُونَ والقَلبَ المُعَنّى

كـم تَسامرنا وعندَ الصُبحِ قُمنا … مَعَ شحْـرورٍ نَمُدُّ الكـونَ لَحْنـا

"أَحمدُ" ها نَحن ذاكِ اللّحَن فَاعزِفْ … لا تَقُـل بَـانَت بك الّـدارُ وبِـنّا

لـم نَـزَل نَـذكُـر أيّامَ التّصابـي … كَم لأيّام التَّصابـيِ ٱلقَلبُ حَنّا

بيتُنا للعِلـم مـفـتـوحٌ كـماضٍ … لـم نغيرْ منَهجَ الأَمس فَـزُرنـا

إنَّ تجـــديَــدك للـعـهَـد وفاء … منكَ يا "أَحمدُ" صِدْقًا بل ومِنّا

فَتعـالَ اليـومَ يا هـذا وَجَـدّدْ … إنْ "زلاّقَ" لأَمثـالك مَـغْـنـى

لا تَقُـل رَيْعـانُ عُمْرٍ قــد تَوَلَّى … "قَد قضَيْنــاهُ سُـدىً أَوضاعَ مِنّا"

إنَّ هذا الـعـمُـر أَلفـاظٌ تُـرَدَّد … وَلُقاءَ الأَحباب فِيه هُـوَ مَعْنـى

الفصل الرابع

مشاركاته في المؤتمرات الخارجية

مشاركاته في المؤتمرات الخارجية:

ذاع صيت الشيخ عبر الآفاق، وانتقل تقديره واحترامه من محيطه المحلي الصغير إلى أرجاء المعمورة، وسبب ذلك هو بساطته -رحمه الله- وآراؤه المتنورة واجتهاده في عمله، ومركزه الذي تبوأه عن جدارة واستحقاق من غير طلب أو وساطة، أو انتماء إلى فكر معين.

وكان من الطبيعي أن تتم دعوته إلى العديد من المؤتمرات الإسلامية في العديد من أرجاء العالم، لكن الزيارة الأهم والدعوة الأغلى التي دُعي إليها -رحمه الله- كانت الدعوة التي تلقاها من قاضي القضاة مفتي القدس الشيخ عبدالله غوشة لحضور مؤتمر عن الإسراء والمعراج في القدس الشريف في رجب عام ١٣٨٥هـ، أي قبل الاحتلال الصهيوني. ولربما كان هذا المؤتمر هو جواز عبور شيخنا الجليل إلى العالمية حينما أعجب جميع الحضور بخطبة الشيخ التي ألقاها في هذه المناسبة، علمًا بأن المؤتمر حضره عدد كبير من علماء المسلمين وكذلك الملك الحسين بن طلال ملك الأردن في ذلك الوقت.



(الشيخ يوسف في القدس الشريف مع مجموعة من العلماء)

ومما جاء في كلمته التي ألقاها في ٢٧ من شهر رجب من عام ١٣٨٥هـ في المؤتمر:

الحمد لله والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله، القائم لربه في دجى الليل البهيم، وعلى آله أنجم الهدى، وصحابته الغر الميامين، أما بعد أيها الإخوة الأعزاء، إن من دواعي الفخر والاعتزاز أن أدعى من قبل قاضي القضاة الأردنية للاشتراك في هذا الحفل العظيم، حفل صاحب الإسراء والمعراج، حفل من عبقت في الترب أعظمه، حفل من سار في سبحات النور مرتقيًا، حفل من فاز بالجوهر المكنون من كلم، فأشكره حيث ظن فيّ الظن الجميل، وسهّل لي الصعاب، لكي أقطع هذه المفاوز للوصول إلى هذا المكان المقدس، الذي طالما كانت النفس متشوقة إلى هذا الرحاب العظيم، فإن دل هذا على شيء فإنما يدلّ على أفقه الواسع، للوصول إلى رابطة التعارف بين المسلمين. جعل الله سعيه مشكورًا، وأمدّ في عمره لخدمة الإسلام والمسلمين في ظل صاحب الجلالة الملك حسين بن طلال بن عبدالله بن الشريف حسين، سليل الدوحة الهاشمي.

أيها المجتمعون في رحاب هذا المكان الطاهر: طبتم وطاب مساؤكم، أرى أنوارًا مطلّة قد ملأت الفضاء، تريد أن تخترق الحجب والأستار، بساطًا من النور مهيأة، أسلاكًا إلهية ممتدة، اجتماعًا رهيبًا له طنين، الناس في انتظار ضيف عظيم، أجسامًا نورانية تحرس الأفق ملأت ما بين الخافقين، تحرس هذا الإنسان الكامل، تحرس هذا الذي يقول الله فيه بعد أن نزّه نفسه «**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١) » " الإسراء.

سبحانك يا رب أنت المنزّه عن سمات الحدوث والنقصان، سبحانك أسريت بعبدك من المسجد الحرام في جزء قصير من الليل، إلى المسجد الأقصى الذي باركت حوله، ببركات الدين والدنيا، لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من أيام موسى عليه السلام، لتريه من آياتك الدالة على عظيم قدرتك، كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء عليهم السلام ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته عجائب السماوات، وغرائب المخلوقات.

أيها الحفل الكريم، لا يشك مسلم ولا يعتريه وهم، أن الإسراء والمعراج بحضرته صلى الله عليه وسلم هما من أعظم المعجزات التي لم ينلها من النبيين سوى سيد المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. والإسراء والمعراج رحلتان قدسيتان، الأولى أرضية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكلاهما مكان مقدّس من مهابط الوحي، ومعاهد النبوات التي شع منها نور الهداية والعلم والمعرفة. والثانية رحلة سماوية من المسجد الأقصى إلى السماوات السبع إلى سدرة المنتهى إلى المستوى الأعلى، الذي سمع فيه صريف الأقلام تجري بمقادير الخلائق، ولا شك أن معجزة الإسراء والمعراج معجزة لا تقف عند حد، والتي هي من صنع الله ليس للعقل دخل في إدراك كنهها، وليس لنواميس الكون وسننه دخل كذلك في فهمها وتصويرها، إنما هي من عالم الملكوت الذي وجب علينا الإيمان به من غير بحث، لا نقول كيف سار به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكيف عرج به إلى السماوات العلى وإلى ما فوق سدرة المنتهى ورأى من آيات ربه الكبرى وعاد إلى مكانه في جزء قصير من الليل، فقدرة الله فوق الشك والتهم، ومن شك في القرآن فقد كفر، ومن ارتاب في ذلك فقد أخضع قدرة الله لسنن الكون ووضع حدًا لقدرة الله التي لا تتناهى، لأن قدرة غير المتناهي غير متناهية ومن شكّ في ذلك فقد أخضع المعجزة لعقله القاصر المحدود فليس للعقل هنا من سبيل.

كـيف للعقل سـبـيـل والـذي ... قـد بناه العقل بـالكشف انهدم

إن العقول المحدودة العاجزة تستبعد المعجزة، وتقف عند مشاهدها الخالدة، كمشهد حشد الأنبياء والمرسلين جميعًا بأجسادهم وأرواحهم ليشهدوا هذا التتويج والتكريم والتعظيم من الله لحبيبه ومصطفاه، وليشهدوا زعامته عليهم في الدنيا والآخرة، حين دخل المسجد الأقصى، فوجد النبيين ما بين راكع وساجد، وأذن للصلاة، وقام النبيون والمرسلون من لدن آدم صفوفًا ينتظرون الإمام. فأخذ رائد الرحلة جبريل بيد محمد عليه الصلاة والسلام فقدّمه، وصلى بهم إمامًا، ولله در البارودي إذ يقول في إسرائه صلى الله عليه وسلم:

وحبـذا ليلة الإسراء حين سرى ... ليلاً إلـى المسجد الأقصى بلا أتم

رأى بـه من كـرام الـرسل طائفـةً ... فـأمّهم ثــم صلى خـاشعا بهم

وبعد الصلاة أقيمت حفلة التكريم الكبرى من الأنبياء والمرسلين، لسيّدهم وإمامهم وزعيمهم، الذي يعطيه ربّه في هذه الليلة العطاء الأكبر، ويفتح له آفاق الملكوت ليشهد آيات ربّه الكبرى، ويعلم حقائق الأشياء على ما هي عليه، بل ليرى حقائق الأشياء رؤية عين على ما هي عليه « **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى** » (النجم).

فهناك عند التجلي رأى جبريل على صورته الملكية التي خلقه الله عليها، ورأى نفسه صلى الله عليه وسلم عروس الملك والملكوت، وسيد الوجود كلّه، غير منازع في عالم الأرض والسماء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم عرج بحضرته صلى الله عليه وسلم بعدما أخدم له الملائكة المقربين، وسخّر له البراق، ومهّد له العرش والكرسي، وأدناه من قاب قوسين أو أدنى، وأفاض عليه من أسرار علمه، وغوامض غيبه ما شاء إليه أن يفيض.

يا لها من ليلة سعدت بها الدنيا، وطابت بها الحياة، واهتز لها الكون، وأشرقت بأنوارها جنبات الوجود، فلا يدرك سر هذه الليلة، وحقيقة هذا الإسراء والمعراج، إلا الضيف الكريم، وإلهه العظيم. ولذلك أشار الله إلى حقيقة هذه الأسرار إشارة خفيفة لطيفة، لا يدركها إلا العارفون، ولا يفهمها إلا الواصلون، ولا يلمسها إلا من كان له مع الله حال، واستنار قلبه بنور العلم والدين. ففهم من القرآن كل لفتاته، وتلقى عنه كل إشاراته، عن ذلك السر المكنون في طوايا قوله تعالى:« **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)** » (النجم) فأكرم به من شرف، وأعظم به من فخر، وأعزز به من إجلال واحترام.

أيها المجتمعون في رحاب هذا المكان الطاهر، هذا هو حادث الإسراء والمعراج، فهل المسلمون اليوم يدركون سر هذا الحادث، وهل لهم أن يترسموا خطا صاحب المعراج، أم أن صاحب الإسراء يريد منها إحياء هذه الليلة المباركة بالذات؟ لا يا أتباع محمد، إنه يريد منها أن تتبع خطاه، وتمشي على هديه.

سيدي رسول الله.. إن في إسرائك ومعراجك أسرارًا وعبرًا. سيدي رسول الله.. لم اختارك ربك، وأسرى بك من محل مولدك، إلى هذا المسجد المبارك، وفي إمكان القدرة الواسعة أن تعرج بك من محل مولدك إلى السماوات العلى رأسًا؟! لكنها أسرار منطوية لا يعلمها إلا هو (١) .

١- جاء في تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) "... الإيماء إلى أن الله تعالى يجعل الإسراء رمزًا إلى أن الإسلام جمع ماجاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرغ عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس، ثم عادت إلى المسجد الحرام، كما عاد الإسراء إلى مكة، لأن كل سُرى يعقبه تأويب، وبذلك حصل ردُ العجز على الصدر".

صلوات الله وسلامه عليك، يوم رجعت من مسراك ومعراجك، فكذبك قوم زاغوا عن طريق الهدى، لأنهم استبعدوا مسراك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في برهة وجيزة من الليل، والحال أن بين المكانين مسيرة شهر، ليت المكذبين يأتون . اليوم وينظرون ما صنعته يد البشر من اختراعات باهرة، كالمذياع والطائرة والتلفزيون وغيرها من المخترعات. إن الإنسان يكون صباحًا في أمريكا، ومساء في لندن، وفي الإمكان أن يجتاز جميع العوالم في مدة وجيزة، من الذي نقله في هذه الساعة؟ ومن الذي أوصله؟ أليست الطائرات التي هي من صنع البشر؟ أليس القادر الذي خلقنا قادر على ذلك وأكثر؟ بلى.

سيدي رسول الله.. ليت أمتك تعرف مقدارك وتعرف تضحيتك وجهادك في سبيل الدعوة التي كافحت فيها أعوامًا طوالاً، ذقت فيها الشدائد والأهوال، آذاك قومك، وأخرجوك من بلادك التي تفيأت في ظلالها، ومشيت على ترابها، وشربت من ألبانها، وقضيت طفولتك بين لداتك، إلى بلاد ليست بينك وبينها قرابة، حيث استقبلك قوم ليسوا من أبناء عمومتك، وفي الأباعد ما يغني عن الرحم.

صلوات الله عليك يا محمد في شبابك، وفي نبوتك وفي رسالتك وفي معراجك، وفي هجرتك وفي جهادك. سيدي رسول الله.. هل نحن قمنا بما أسديت إلينا، أم ظلمنا سنتك، وبدّلنا معالم شريعتك؟ إي والله لقد ظلمنا سنتك، وحدنا عن شريعتك، فتفرقت بنا السبل، وأحاطت بنا الأهواء، واتسع الخرق على الراقع.

سيدي رسول الله.. إن اللسان والقلم لفي ذهول عن التعبير عن مقدار عظمتك، عن أخلاقك، عن صفحك الجميل، عن غيرتك العظيمة على شريعتك الغراء، صلوات الله وسلامه عليك يوم أراد أصحابك أن يكلموك في شأن المرأة المخزومية، التي سرقت فلم يجرؤ أحد أن يكلمك، فكلموا حبك أسامة بن زيد، في أن يتوسط في دفع الحد عنها فأجبته: " أتشفع في حد من حدود الله؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

صلوات الله وسلامه عليك يا خاتم الرسالة، فلذة كبدك فاطمة التي يؤذيها ما يؤذيك، تهم بقطع يدها، وحاشاها أن تسرق، إنها والله عدالة، عدالة سماوية، فهل لأتباعك أن يترسموا هذه الخطط العظيمة.

صلوات الله وسلامه عليك يوم بعثتَ معاذًا إلى اليمن إمامًا ومعلمًا ومرشدًا، وأمرته بأمر يا حبذا لو أن المسلمين اليوم تمسكوا به، ولم يهملوه، أمرته بأخذ الصدقة، فقلت له: " خذها من أغنيائهم وردّها على فقرائهم " مواساة وعدالة ورأفة ورحمة واشتراكية سمحة، لا شرقية ولا غربية.

صلوات الله وسلامه عليك يوم قسمت الصدقات بين أصحابك، فقام إليك رجل اشرأب النفاق في قلبه، فقال لك: اعدل يا محمد، فقلتَ له: ويلك إن لم أعدل فمن يعدل؟ فهمّ أصحابك الكرام أن يغتالوه، فقلت لهم: دعوه حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا قتل أصحابه.

صلى الله عليك يا محمد بن عبدالله، فلقد أنشأت أساس حضارة مهذبة، وأقمت دعائم مدنية رفيعة، وسارت باسم الله، وباسمك الجيوش الإسلامية، تنشر النور، وتبلغ الشريعة، وتنشر العلم، والثقافة في كل مكان.

صلى الله عليك يا نبي الإنسانية، يا من حطمت الفروق الظالمة بين الإنسان والإنسان، وحاربت العصبية الجاهلية، والطائفية المقيتة، ومحوت سيادة العناصر والألوان والأجناس، وأكدت أنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

صلى الله عليك يا إمام الهدى، يوم صعدت روحك الطاهرة إلى الرفيق الأعلى، ترفرف عليها رايات الكرامة، بعد أن أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، ونشرت الوحي، وأذعت كلمة الله على الأفواه، وحطمت الأصنام من بيت الله العتيق، ومن كل مكان في جزيرة العرب.

سيدي رسول الله: أُنادي روحك الطاهرة من محل معراجك، وأنادي أصحاب البقيع، وشهداء بدر، وأنادي من نالوا الشهادة تحت العارض الرزم، وأنادي من خاضوا المنايا فنالوا عيشة رغداء.

أنادي أولئك الأصحاب، أنادي أصحابك الذين ثلوا عروش الأكاسرة، ودقوا رقاب القياصرة، ودانت لهم الدنيا. سلامي عليهم، سلامي على الشاعر الذي يقول فيهم:

كأنهم في ظهور الخير نبت ربا ... من شدة الحزم لا من شدة الحُزمِ

تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ... ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرمِ

(انتهى نص الكلمة)



ذكرى الإسراء يوم فلسطين

الحسين يحيي المحتفلين آملاً أن يكون لقاؤهم خطوة لاسترداد الحق المغتصب

فلسطين

تغطية صحفية لجريدة فلسطين لذكرى الإسراء والمعراج، ويظهر الشيخ يوسف مع مجموعة من العلماء الأفاضل

كما ألقى في اليوم التالي كلمة أمام الملك حسين بن طلال قال فيها:

صاحب الجلالة/ إن من دواعي الغبطة والسرور أن أقف بين يدي جلالتكم معبرًا لكم عما يكنه ضميري من إجلال واحترام لشخصكم الكريم، وشاكرًا لكم ما أبديتموه لنا من حفاوة وإكرام.

صاحب الجلالة/ إن مما يبشر بالسعد والانتصار، هو ما رأيناه في بلادكم العزيزة من تقدم باهر، ونهوض عمراني، ما شهدناه في الخطوط الأمامية وغيرها من استعداد عظيم في جيشكم الباسل، حيث وجدنا آثار الشجاعة والبطولة بادية على وجوههم، وجدناهم في أعالي الجبال وأسافلها كالأسود الضارية، ولا شك أن هذا مما يشرح الصدر، وتجعل النفس متطلعة إلى يوم الخلاص، إلى اليوم الذي نجد هذا الجيش الباسل مخترقًا التلال قالبًا إسرائيل على عقبها، مردًا بها النكال والدمار، وذلك بفضل جهودكم، وحسن سياستكم، وإخلاصكم ، واتباعكم لجدكم الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أرجو الله أن يوفقكم، ويسدد خطاكم، ويتحقق

النصر على يديكم، لتعود البلاد السليبة إلى أهلها، ففلسطين أمانة في عنقكم وعنق المسلمين جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولثقة القيادة الرشيدة بأديبنا فقد تم اختياره وترشيحه لعضوية رابطة العالم الإسلامي من قبل الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، هو وصديقه الشيخ محمد بن عبداللطيف السعد. وأصبح عضوًا مؤسسًا لرابطة العالم الإسلامي، من بين ستين عضوًا، ومن بين الأعضاء المؤسسين، أبو الأعلى المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية بباكستان، والعالم الأديب أبو الحسن علي الندوي، والشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية، والشيخ عبدالله الأنصاري، والشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية، والشيخ عبدالله كنون، رئيس رابطة علماء المغرب، والشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، والشيخ محمد علي الحركان، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والشيخ محمد محمود الصواف، واللواء الركن محمود شيت خطاب من العراق، وغيرهم، وذلك بتاريخ ١٦ ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ.

وقد حضر أول مؤتمر بعد أن تم ترشيحه في مكة المكرمة، فألقى كلمة في ٢٢ ذي القعدة قال فيها:

أحمدك ربي وأشكرك، وأستمد العون منك، أنت رجائي في شدتي ورخائي. وأصلي وأسلم على صفوة خلقك سيدنا محمد الداعي إلى سبيل الهدى، وعلى صحابته بدر الدجى، أما بعد،

أيها الإخوة الكرام.. أحييكم تحية مباركة، ويسرني في هذه المناسبة الكريمة أن أشكر رابطة العالم الإسلامي حيث انتخبتني عضوًا فيها، وسأكون -إن شاء الله- عند حسن ظنها بي، وذلك حسب استطاعتي ومعرفتي. وإنه لشرف عظيم أن أجتمع وأتعرف إلى إخوان كرام لهم دورهم العظيم في الذب عن حياض الإسلام. وإنه لشرف عظيم أيضًا أن يعقد هذا المؤتمر في هذه الأيام المباركة في مكة المكرمة في بلد الوحي، في البلد التي هي محط أفئدة الناس، والهدف من ذلك هو توجيه المسلمين إلى ما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم، والوقوف في وجه التيارات الملحدة. وإني إذ أقدم شكري العميق لمن اختارني في عضوية هذه الرابطة الموقرة إلا أنني أعتبر نفسي خادمًا للإسلام والمسلمين، ثم لا يخفى عليكم أن مسؤولية الذب عن حرمات الإسلام لا تلزم أن

يكون الإنسان مرشحًا من جانب الرابطة أو غيرها، بل هي مسؤولية كل فرد مسلم، فنرى كثيرًا من الناس لم يرشحوا من قبل أي منظمة دينية إلا أننا نراهم بإخلاصهم وصلاحهم لهم الباع الأطول في دحض معالم الباطل، وإظهار منار الحق.

هذا التاريخ يحدثنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية يوم وقف في وجه الباطل، أكان مرشحًا؟ أم رشحه الإسلام لأن يمتطي صهوة جواده، بيده سيفه ومصحفه، وكذلك العز بن عبدالسلام، وإمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب، كل هؤلاء حاربوا الطغاة، وهدموا الوثنية. ثم لا يلزم أن يكون العضو المرشح عالماً نحريرًا، كما أنه لا يجوز أن يكون جاهلاً مركبًا، بل لا بد أن تكون لديه الحمية والغيرة على دينه، ذو همة ونشاط، ومسؤولية ومتابعة دقيقة، عارفًا أحكام دينه، متسلحًا بسلاح العلم والمعرفة، عالماً بأوجه الخلاف والاتفاق، وبأمور الدعوة والإصلاح. ثم ما الفائدة من كوني عالماً منطقيًا، أختار من الألفاظ أجزلها، ومن الكلمات أنسبها، وأنا بعيد كل البعد عن أهداف الدعوة ومراميها. فالمهم هو الصلاح والعمل، أما الكلام وكثرته فلا طائل تحته إذا لم يقرنه عمل.

أيها الإخوة.. لدينا إخوة ضعاف الجسام، رثوا الثياب، ينامون على الحصير، ويأكلون الخبز اليابس، يجوبون في الطرقات، يدعون الناس إلى سبيل الخير، وطريق الرشاد، قد هدى الله على أيديهم من شباب مائع، ونساء مستهترات، وكم أسلم على أيديهم ممن لا صلة له بالإسلام.

ما السر في ذلك؟ أليس هو الإخلاص في القول والعمل، والإيمان الثابت!! ثم أليس لنا في تاريخ أسلافنا، وصحابة رسولنا أسوة حسنة، يوم وقفوا في وجه الأكاسرة والقياصرة مع قلة عددهم.

فتحـوا الأرض بعليـاء بـأسهم ... واستباحـوا يمنًا منهـا وشاما

هؤلاء قومنا، وهؤلاء قدوتنا.

هـؤلاء آبائـي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يـا جرير المجـامع

أما يوم أن كثر الكلام، وقل العمل، أهين المسلمون، ونهب تراثهم، واستبيحت مقدساتهم، هذا قدسُهم، ثالث الحرمين الشريفين بيد أعدائهم، والمسلمون رغم كثرتهم إلا أنهم غثاء كغثاء

السيل، كما جاء على لسان رسولنا الكريم. لا يملكون إلا الاحتجاج والبكاء . اللهم حول حال المسلمين إلى أحسن حال، اللهم اجعلنا دعاة خير وهدى، اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم لا رياء ولا سمعة، اللهم اجعل كلامنا في طاعتك، وعملنا في رضاك، وتوفنا وأنت راضٍ عنا، وارحم من كان سببًا في إحياء هذه الرابطة، ووفق القائمين عليها يا كريم.

(انتهى نص الكلمة).

يقول الشيخ ثم تقدمت بعدها إلى الرابطة باقتراحين هما:

الأول: أن توجه الرابطة جمعًا من العلماء إلى دول الخليج للاتصال بالمسؤولين والتباحث معهم لأخذ الزكاة من أصحاب الأموال الطائلة، وتوزيعها على المستحقين، حسبما أمر الله تعالى، وما زاد على ذلك يستثمر في إصلاح المجتمع. والزكاة فريضة فرضها الإسلام على من بلغ ماله نصابًا، فكيف من لديه ملايين الأنصبة ؟ ثم ذكر أن تؤخذ هذه الأموال لمجابهة الإلحاد والتبشير، وقطع ألسنة الشيوعية الملحدة، وكذلك يؤخذ المال لإصلاح حال المجتمع، فيُزوج المعسر، ويكسى اليتيم، ويراعى فيها حق الأرملة. ولا بد من سرعة المبادرة إليها، لأن الأموال المستودعة في البنوك طائلة، والأرباح هائلة، ويااليت الأموال في أيدي بنوك إسلامية كي تستثمرها بطرق مشروعة خالية من الربا، بل أكثر أموال المسلمين اليوم تحت أيدي أعداء الإسلام والمسلمين، لا يهتمون بذلك ما داموا يتحصلون على أرباح طائلة. وأظن أن جباية المال وأخذه من الأغنياء ورده إلى الفقراء ليس بدعًا كما تعلمون، بل فعله الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، وفعله صحابته الكرام. وبفعلنا هذا نمنع الأيادي المتسولة أن تقف موقف الذل على باب جبار يشمخ بأنفه على هؤلاء المحتاجين والمعوزين.

الاقتراح الثاني: يخص مسألة المربيات المجلوبات من الخارج، فأكثر المسلمين اليوم جلبوا خادمات ومربيات من الخارج مسيحيات ووثنيات، لكي يربوا أولادهم، بحجة أن هؤلاء أنسب لهم من أهل البلد، لأنهم يقنعون بأقل راتب، وهذا في الحقيقة خطر عظيم، وداء جسيم، فهذا أخطر من التبشير المباشر، فالطفل إذا وضع في يد مربية مسيحية ربما تأثر منها، فتميله إلى دينها، لأن الطفل الصغير يكون بيد المربية طوال الوقت، حيث المرأة تعمل خارج منزلها،

وتترك ابنها في يد تلك الخادمة بدون رقابة من أحد، وهي تظن أن ابنها بيد أمينة. لذا أملنا أن تتخذ الحكومات من الاحتياطات، ووضع الشروط لاستقدام الخادمات، صيانة لأبنائنا، حتى نحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم.

كما حضر العديد من المؤتمرات في مكة المكرمة كونها المقر لرابطة العالم الإسلامي، وقد ألقى العديد من الكلمات منها كلمة عن (رسالة المسجد) قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

صاحب السمو أمير مكة.. الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.. أصحاب السعادة رؤساء وأعضاء الوفود الكرام.. أحييكم بتحية الإسلام فأقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

إنه ليسعدني ويشرفني أن أستهل كلمتي هذه بتوجيه جزيل شكري، وعظيم امتناني من زملائي أعضاء وفد دولة البحرين إلى صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وحكومته الرشيدة، وأمانة رابطة العالم الإسلامي، على تفضلهم بالدعوة إلى هذا المؤتمر الإسلامي الخير، في هذا الشهر المبارك، في مهبط الوحي، ومهد الرسالة، وينبوع الدعوة الخالدة.

لقد كانت لفتة كريمة، وتوفيقًا مجديًا، اختيار موضوع رسالة المسجد، مدار نقاش المؤتمر. لا شك أن المسجد له دور عظيم في بناء اللبنة الكبرى، وهي رسالة الإسلام، فالإسلام انبعث من بين جدران المساجد بعد الحجج والبراهين والدعوة بالتي هي أحسن. وها هو أمامنا المسجد الحرام الذي لعب دورًا هامًا يوم جهر محمد، وأعلنها مدوية للعالم، أنه رسول ومنذر بين يدي عذاب شديد، حيث أشرقت شمس التوحيد وأعلن رسالته للبشرية كلها، أعلنها أنها مشرقة للروح، وبانية للحضارة، وفاتحة لسعادة القلوب، ومحررة للعقل البشري من ربقة الجمود. لقد كان هذا المسجد الحرام منطلقًا هامًا لرؤساء الشرك والظلال، وكانت تعقد فيه الندوات ضد محمد وصحابته، وكانت الجاهلية تعقد رايتها للحرب، فما بالكم بالإسلام يوم تصدى للشرك وقاومه مقاومة عنيفة ألجأته إلى مغادرة هذه الرحاب إلى رحاب أوسع إلى دار الهجرة، ما أعظمها من هجرة، هجرة فرقت بين الحق والباطل، والظلام والنور، فأضحت المدينة مشرقة بنور النبوة

الخالدة، فأحياها من موت، وأيقظها من سبات، وأمطرها بمطر محبته، فأسال وديانها وشعابها بماء منهمر من الخيرات والبركات، وقد كانت المدينة متعطشة إلى سلسبيل الرسول الكريم، ليروي ظمأها، ويبل بنداه ريقها.

فسرعان ما نزل صاحب الهجرة حتى قام ببناء أول مسجد إسلامي كان مدرسة للإسلام، هذا مسجد رسول الله كالطود الأشم يجابه الأحداث وتجابهه، هذا المسجد الذي بزغ منه فجر الحضارة الإسلامية، هذا الذي تخرج من بين جنباته فطاحل العلماء وقادة العالم. كم يذكرنا المسجد ورسالته يوم قام رسول الهدى خطيبًا ومعلمًا وفقيهًا ومدرسًا. ولم يهتم بشكل المسجد، بل بناه من الطين، و سقفه من جذوع النخل، ولم يولِ الشكل اهتمامًا، بل كان إذا نزل المطر خر سقفه، فبنوا له عريشًا كعريش موسى، ولما قيل للحسن البصري: ما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يده بلغ العريش، يعني السقف. أما حين اهتم الناس بالمظهر الخارجي والداخلي للمسجد، وأحدثت فيه الكثير من الزخارف والنقوش، وافتتن الناس بتلك الزخارف فألهتهم عن الغرض الذي من أجله شيدت المساجد، فقد قيمته الروحية، وابتعد عن هدفه الأصيل.

وكان مسجد رسول الله يعج بالصحابة وقام بمهمته خير قيام، فلم يكن المنبر مكانًا لإلقاء الخطب فحسب، بل تلقى به خطب المناسبات، فإذا أراد جمع الصحابة على أمر دعاهم إلى مسجده، ومن الغلط أن نقول إن أحاديثه كلها أحكام دينية فقهية، بل كانت تربوية وأخلاقية والالتزام بتعاليم الإسلام، وكان يستقبل فيه الوفود من غير المسلمين، وهذه وسيلة من وسائل الدعوة. إذن كان المسجد جامعة تعج في جنباتها بطلاب العلم والمعرفة، وكان قصرًا للضيافة واستقبال الوفود، وبدأ المسجد يؤدي دوره.

فهذا مسجد عمرو بن العاص المؤسس عام عشرين من الهجرة، كم عقدت في زواياه من حلقات، وكم تخرج منه من قادة، ملكوا زمام الشرق والغرب، وكم عقدت فيه الندوات الشعرية، وكم جرت فيه من مناظرات، وظل أمدًا طويلاً يدوي كدوي النحل، يؤدي رسالته الخالدة في ظل الإطار المحمدي.

ثم أتى دور الأزهر الشريف فحمل الأزهر رسالته، وتحمل المشقة في مجابهة الأحداث، وقام بدور

فعال يغذي الرجال، حتى تخرج منه رجال أبطال، حاربوا البدع، وأزالوا الأوهام والخرافات، ووقفوا في وجه الاستعمار يرمونه بقنابل ألسنتهم تارة، وتارة يصلونه نارًا حامية.

ولا ننسى الجامع الأموي الذي وقف في وجه الصليبيين والتتار، وذلك بقيادة خريجيه كالفريق عبدالسلام، هذا الرجل الذي وقف في وجه الطغاة موقفًا صلبًا رغم التهديدات ورغم التشريد.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية الرجل الذي امتطى صهوة جواده، حاملاً مصحفه بيده، وسيفه بيده الأخرى، يدافع التتار وأعوان التتار بالحجج والبراهين.

وكم طاب أيضًا لمسجد القيروان من مآثر ومفاخر، لقد انبزغ بدورًا هدت السائرين، وأضاءت السبيل للسالكين، كل هؤلاء كانوا من عباقرة المسجد، وكان المسجد هو الكل في الكل. وكان هو الميدان الرئيس في كل مجالات الحياة فيه تعقد المشورات، وفيه تبعث البعوث وتبث السرايا.

أما اليوم فقد انعكس الأمر فصار المسجد للصلاة فقط، صار في نطاق ضيق بعدما كان يحتل المكان المرموق. ولعل الاستعمار الضلع الأكبر في عزل المسجد عن حياة الناس، تحت المقولة المشهورة (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله). وظل دور المسجد يخفت عندما أصاب المسلمون الوهن والكسل، وابتعدوا عن منهاج دينهم القويم، فأقصي المسجد عن دوره الأساسي، وأصبح مقتصرًا على أداء الصلوات، وبعض المناسبات الدينية.

ويمكننا أن نعزو انزواء المسجد من حياة الناس، وقصوره عن أداء الرسالة السامية التي كان يؤديها أيام عز الإسلام ومجده إلى الأسباب التالية:

١- أن القائمين على الدعوة والهداية بالمسجد ليسوا مؤهلين لهذا الغرض والمهمة الموكولة إليهم.

٢- عدم تفرغ الدعاة داخل المسجد للدعوة والإرشاد، فهم مشغولون بتدبير أمور معيشتهم مما يجعلهم عاجزين عن أن يعطوا رسالة المسجد حقها من العناية والاهتمام.

٣- قصور كثير من المساجد عن توفير ما يلزم المسجد، لكي يؤدي رسالته بالصورة المرضية، فلا مكتبات داخل المسجد تضم أمهات الكتب من فقه وتفسير وحديث وعقيدة وتاريخ.

٤- عدم إتاحة الحرية التامة للقائمين على أداء رسالة المسجد داخل المسجد. فهناك قيود قد توضع على القائمين على مهمة المسجد مما يؤدي إلى عدم أداء رسالتهم على الوجه المطلوب. ولا بد من إدارة حكيمة واعية تسعى إلى تنظيم المسجد من الناحية الإدارية والتنظيمية.

وعليه فإننا حتى نعيد للمسجد مكانته وهيبته كما كان في السابق فإننا نقترح التالي:

١- أن المسجد بحاجة إلى إمام حافظ لكتاب الله، أو على قدر كاف منه، يحسن التلاوة والتجويد، كي يتعلم الناس منه، وكذلك يكون فيه خطيب عالم مفوه لديه علم وسعة اطلاع ومعرفة، عارف بأحوال الناس واتجاهاتهم الفكرية، قادر على إيجاد الحلول التي تتناسب معهم وفق الشريعة الإسلامية، يزور الناس ويقف عند مشاكلهم، ويسعى للإصلاح ولم الشمل، وليس للفرقة، وتأجيج نار الطائفية، والاتجاهات الفكرية. فلا بد حين السعي إلى اختيار الإمام والخطيب مراعاة ما ذكرنا، بعيدًا عن المحسوبيات.

٢- تعويد الأطفال على ارتياد المساجد برعاية أولياء أمورهم، وألا يتركوا فرادى، لما قد يسببه من مشاكل، وعدم احترام المسجد، وأعني بالأطفال من هم فوق سن التمييز، السابعة فما فوق، فأما ما دون ذلك فلا يصطحب إلى المسجد لما قد يسببه من إيذاء المصلين. ولا بد للصغير أن يجد بغيته في المسجد حتى يرغب في الذهاب إليه، وذلك بالقيام ببعض الأنشطة الذهنية والترفيهية، والمسابقات.

٣- إقامة الدروس، بحيث لا تكون يومية فيملها المصلون، بل تكون مرة أو مرتين في الأسبوع، في الفقه والتفسير والحديث والسيرة واللغة وغيرها.

٤- إقامة الندوات والمحاضرات بشكل منظم، يشارك فيها العلماء والدعاة، فالتغيير في الأشخاص مطلوب، ويكون سببًا لجذب الناس، وكذلك الاحتفالات الدينية، و إبرام عقود الزواج، فإن البركة تحصل في المسجد، وهي سنة غفل عنها الكثير.

هذا وفي القدر كفاية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (انتهى نص الكلمة).

كما كانت له كلمة في إحدى المؤتمرات في مكة عن مناصرة القضية الفلسطينية، وكان مما قال فيها:

أيها الإخوة الكرام: من حسن حظنا أن نجتمع في هذا البلد الطاهر، بلد الوحي، والمولد والمبعث، بلد أول نزول القرآن الكريم على أكرم رسول، وأعظم نبي، غيّر مجرى التاريخ، وأعلنها ثورة في وجه الظلم والطغاة.

أيها الإخوة: إن الحديث ذو شجون، وحالتنا اليوم حالة متشعبة الأطراف، واقعة بين مخالب أعداء الإسلام، الكل ينهش لكي يقضي على الإسلام، ومعاقل الإسلام، وتراث الإسلام، والإسلام واقف كالجبل الأشم، يصد طعناتهم، ويثني سهامهم، لا تؤثر فيه معاول الهدم، وانحرافات الإلحاد، ذلك لأنه دين من عند الله الواحد القهار.

إننا اليوم، في هذا الاجتماع المبارك، وفي هذه الساعة المباركة يدور حديثنا عن بلد عزيز علينا، وهو فلسطين، وفلسطين هي جزء من بلاد الإسلام، وهي التي عاشت قرونًا طوالاً تصول وتجول. وقد ضم هذا البلد العظيم، أعظم مسجد على وجه المعمورة، بعد حرم مكة، وحرم المدينة المنورة، ألا وهو المسجد المبارك الذي شرفه الله بالتقديس.

وقد اجتمع فيه الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، تكريمًا وتعظيمًا وتشريفًا لخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله ثالث الحرمين، كما جعله في مبدأ الدعوة المحمدية قبلة أهل الإسلام، وبارك فيه وفيما حوله، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم. فهل يليق بنا نحن المسلمين نعتز بديننا، وبقرآننا وبمسرى نبينا، مع كثرة إمكانياتنا، وعَدَدِنا وعُدَدِنا، أن نترك فيها عصابة الغدر تعيث في مقدساتنا فسادًا وتخريبًا، ونحن خير أمة أخرجت للناس؟ كيف ترضى هذه الأمة بذلك، وهي التي دكت معاقل الشرك، وحصون الفساد، من مشرقها إلى مغربها؟ خبروني بربكم من أي محل زحفت جيوش الإسلام؟ أليست من مهبط الوحي، ومن رمال الصحراء، ومن روابي نجد، وبطون تهامة. هؤلاء القوم الحفاة العراة، استطاعوا في خلال ربع قرن من الزمن، أن ترفرف أعلامهم الإيمانية من المحيط الهادي شرقًا، إلى المحيط الأطلنطي غربًا، ولله در الشاعر، إذ يقول:

إن كبرت بأقصى الصين مئذنة سمعت في الغرب تهليل المصلينا

وما ذاك إلا بفضل جهادهم بأنفسهم وبأرواحهم وأبدانهم، وتلك حقيقة جديرة بالنظر والاعتبار. فحياة الأمة الإسلامية آنذاك كانت أمرًا عجبًا، وحدثًا فريدًا، لم يشهد له التاريخ من قبل في حياة البشرية، " **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** (١٤٦) " (آل عمران) وانتصروا من بعد ظلم، وأقاموا قواعد الحضارة الإسلامية، ونصبوا موازين المساواة والعدالة السماوية، ونشروا لواء الفضيلة، والقيم والأخلاق العلية، في جميع مناحي الحياة، وحرروا العقول من الجهالة، والتفكير من الضلالة، وأناروا الطريق لمن كان له قلب يعي، وأذن تسمع..إلخ (**بقية الكلمة في أرشيف المكتبة**).

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم ....
التاريخ ....
المرفقات ....

الموضوع : ....

البحرين

شكراً .. هذه الكلمة الرائعة التي تقوم في منطق
شذى الإسلام وعطاء الإيمان .. إنها
كلمة حكيمة .. لا فض الله فاك
أيها الخطيب البارع والمتحدث المجيد ..
ثم شكراً للوفد ولدولة البحرين ..
وإلى لقاءات وندوات أخرى تنطلق من
منطلق بالخير والهدى

أخوكم
[illegible]
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

(رسالة شكر للشيخ يوسف على الكلمة)

وكانت له كلمة أيضًا حول تطبيق الشريعة الإسلامية، قال فيها:

إن تطبيق الشريعة الإسلامية أمر لا محيص عنه، بل أمر واجب، لأنها من عند الله الواحد، الذي يعلم ما يصلح للإنسانية وما يفسدها، ولا بد كي نطبق الشريعة بحذافيرها من الاجتماع على مؤتمر، يضم أهل الحل والعقد، ومن بيدهم زمام الأمر، أما مجرد الخطب، ووضع التوصيات، أو الكلام الذي لا طائل من ورائه، فلن يؤدي إلى نتيجة واضحة، فكم من خطيب أفصح، وكم من واعظ أوضح. فكم من تكلم وبين وحث على وجوب التطبيق الإسلامي، وبين معايب القوانين الوضعية الغربية التي لا تمت لدين الإسلام بصلة، ولكن ليس من مجيب.

فالقوانين التي جعلت مكانًا للشريعة الإسلامية، لهي عبارة عن قواعد تضعها الجماعة لتنظيم شؤونها، وسد حاجاتها، فهي قواعد متأخرة عن الجماعة، وهي قواعد مؤقتة، تتفق مع حال الجماعة المؤقتة، وتستوجب التغيير كلما تغيرت حال الجماعة. أما الشريعة الإسلامية فهي من تشريع خالق البشر، فهو الذي وضعها، على سبيل الدوام لتنظيم شؤون الفرد والجماعة. فالشريعة تتفق مع القانون في أن كليهما وضع لتنظيم الجماعة، ولكن الشريعة تختلف عن القانون في أن قواعدها دائمة راسخة الجذور، شامخة البيان، لا تقبل التغيير ولا التبديل، صالحة لكل زمان ومكان، وهي تستوعب كل الأفراد.

ولقد أدت الشريعة الإسلامية وظيفتها، حين كان المسلمون متمسكين بها، عاملين بأحكامها، مسترشدين بهديها، ومستنيرين بفكرها، حين فعلوا ذلك، وهم قلة مستضعفة، وثلة مضطهدة، يخافون أن يتخطفهم الناس، فإذا هم في عشرين سنة سادة العالم، وقادة البشر، لا صوت إلا صوتهم، ولا كلمة تعلو كلمتهم، وما وصلوا لهذه المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، التي تشبه المعجزة، إلا بفضل تمسكهم بالشريعة الإسلامية، التي علمتهم وأدبتهم، ورفعت نفوسهم، وهذبت مشاعرهم، فكانوا سادة في كل شيء، وقادة في الأمور كلها. وأشعرتهم بالعزة والكرامة، وأخذتهم بالمساواة التامة، والعدالة المطلقة، وأوجبت عليهم أن يتعاونوا على البر والتقوى، وحرمت عليهم الإثم والعدوان، وحررت عقولهم من الجهالات، ونفوسهم من الشهوات، وسلوكهم من الضلالات، وجعلتهم يعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. كان ذلك حال المسلمين حينما تمسكوا بشريعتهم، وعضوا عليها بالنواجذ، فلما تركوها، وأهملوا أحكامها، واستبدلوها بالقوانين الوضعية المستوردة، تركهم الرقي، وأخطأهم التقدم،

ورجعوا القهقرى، إلى الظلمات التي كانوا يعمهون فيها من قبل، فعادوا مستضعفين مستعبدين، لا يستطيعون دفع معتد، ولا الامتناع عن ظالم.

وقد خيل للمسلمين، وهم في غمرتهم هذه أن تقدم الأوربيين راجع لقوانينهم وأنظمتهم، فذهبوا ينقلونها، وينسجون على منوالها، فلم تزدهم إلا ضلالاً وخبالاً على ضلالتهم، وضعفًا على ضعفهم، بل جعلتهم أحزابًا وشيعًا، « **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)** » (الروم)، « **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤)** » (الحشر) ولو تفكر المسلمون، وأعملوا عقولهم، وتحرروا من عقدة الغرب، لعلموا أن الشريعة الإسلامية لا تشوبها شائبة، ولا يعتريها نقص ولا غائبة، حاملة في طياتها وسائل التقدم والتطور المستمر للمجتمع، وهي أصلح الشرائع لعصور التقدم، لأنها تحمل في طياتها سمو الإنسان، والاعتراف به، وتحرير عقله، وإطلاق العنان له في التدبر والتفكر، والحث على العمل والإبداع. وإن في تاريخ المسلمين لآية، وإنه لعبرة لمن كان له قلب، وإن فيه الدليل الحاسم على أن الشريعة الإسلامية هي التي أوجدت المسلمين من العدم، وجعلتهم أمة فوق الأمم، ودفعتهم إلى الأمام، وحكموا دول العالم، وهذا دليل على أن حياة المسلمين وتقدمهم ورقيهم متوقف على تطبيق الشريعة الإسلامية، فالمسلمون من صنع الشريعة، كيانهم تابع لكيانها، ووجودهم مرتبط بوجودها، وسلطانهم تابع لسلطانها. فهل يدرك المسلمون اليوم أن عزهم، ورفعة شأنهم، وتقدمهم بين الأمم هو بتمسكهم بحبل الشريعة الإسلامية الغراء.

(انتهى نص الكلمة)

وكلمة عن توحيد الأهلة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله أمر بالوحدة، ونهى عن الفرقة، سبحانه جعل في سمائه بروجًا، وجعل في تعاقب الليل والنهار حكمة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا. وجعل الشمس والقمر آيتين من آياته « **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)** » (يس) والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا محمد، القائل: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، وعلى آله مصابيح الدجى للسائرين، وصحابته أقمار الهدى للسالكين وبعد،،

يسرني في هذا اليوم السعيد في رحاب مكة، في بلد الوحي الأمين، أن أقدم شكري للمملكة العربية السعودية، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله، على الدعوة لهذا المؤتمر الذي يبحث عن توحيد الأهلة، فأرجو أن يكون هذا المؤتمر بادرة خير لتوحيد كلمة المسلمين، وإزالة خلافاتهم، لكي يسيروا على محجة بيضاء نقية لا اعوجاج فيها ولا انقسام.

لاشك- أيها الإخوة- أن توحيد أعياد المسلمين، ومواسمهم الدينية من أهم مظاهر هذه الوحدة وأجملها، فالاختلاف في مثل هذه الأمور قد يعطي الأعداء صورة من أبشع الصور وأقبحها أن المسلمين متفرقون.

ولا شك أن هذا البحث، وفي موضوع تحديد الأهلة وإثبات التقويم الهجري القائمة على التشريع الإلهي، وعلى ما استنبطه فقهاء المسلمين قديمًا وحديثًا، ينبغي أن يكون الباحث فيه عالماً وملمًا بسير القمر ومنازله، جاعلاً نصب عينيه بحوث الأقدمين والمحدثين المجتهدين من أئمة الاجتهاد في هذا الموضوع، بالإضافة إلى كتب علماء الفلك من المسلمين وغيرهم. وبعد استعراض ما أورده طائفة من الفقهاء، وعلماء الهيئة من جهة، ودراسة ما تمخض عليه مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، المنعقدة بالكويت في الثالث والعشرين من شهر محرم ١٣٩٣هـ والمؤتمر المنعقد في تركيا في ٢٦ذي الحجة ١٣٩٨هـ، ولما كان الخلف يأخذ عن السلف سنة الله في خلقه، فإني أرى أن نواكب بحث هذا الموضوع الذي بحث في مؤتمرات سابقة. **فأول قرارات** هذه المؤتمرات المذكورة، أن رؤية الهلال هي الأصل في تحديد الشهور القمرية، وهي تثبت بالتواتر والاستفاضة.

ثانيًا: أنه لا عبرة باختلاف المطالع- وإن كان بعض أهل العلم يقولون باختلاف المطالع، ولهم دليلهم- وإن تباعدت الأقاليم، متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل، وإذا ثبتت الرؤية في بلد وجب أن تأخذ بها البلدان الأخرى.

ثالثًا: أنه إذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكي الموثوق به.

رابعًا: وجوب عمل تقويم قمري بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الإسلامية، وعلماء الفلك، تلتزم به الحكومات الإسلامية في صومها وفطرها، وفي تحديد مواسمها الدينية.

خامسًا: أنه حتى يصدر هذا التقويم، يبقى الاعتماد على رؤية الهلال، أساسًا لتحديد أوائل الشهور القمرية.

سادسًا: توطئة لاعتماد الحساب الفلكي الموثوق به في تحديد أوائل الشهور القمرية، يقرر المؤتمر تعميم المراصد الفلكية في البلاد العربية والإسلامية المجاورة إلى تأليف لجنة. هذا ما جاء في تقرير المؤتمرات باختصار.

والذي ينبغي أن أقوله ناقلاً عن أقوال علمائنا الأوائل، مبتدئًا بقول الله عز وجل:« **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** » (البقرة ١٨٩) قال ابن عباس في تفسيره: يسألونك، زيادة الأهلة ونقصانها، لماذا؟ قل يا محمد هي مواقيت للناس، علامات للناس لقضاء دينهم، وعدة نسائهم، وصومهم، وإفطارهم، وللحج. وقال السيوطي في تفسير قوله تعالى: يسئلونك عن الأهلة، نزلت في معاذ بن جبل، وثعلبة ابن عَنَمَة، وهما رجلان من الأنصار، قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويسوى ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد، فنزلت: يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس. في حل دينهم ولصومهم، وعدة نسائهم، والشروط التي تنتهي إلى أجل معلوم. فيستفاد من هذه الآية ومن سبب نزولها أن توقيت الصوم، والفطر، والحج، وغير ذلك من الأمور الشرعية، إنما يكون برؤية الهلال، الذي يبدو دقيقًا مثل الخيط في جهة الغروب عشية. ومما يؤيد ذلك من السنة ما رواه الإمام مالك في موطئه والإمامين البخاري ومسلم في صحيحهما، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان، فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأقدروا له. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم، فصوموا ثلاثين يومًا. حيث دلت هذه الأحاديث على أن الرؤية البصرية هي المعتبرة في تحديد بدء الصوم وانتهائه، وذلك لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فيجب على المكلفين بثبوت رؤية الهلال في جميع البلاد الإسلامية، أن لا يعتمدوا على شهادة الشهود إلا إذا كانت شهادتهم مطابقة للواقع، وليست فيها أدنى ريبة، لأن العبادة ينبغي ألا

يدخل الإنسان إليها إلا بتعين، ولا يخرج منها إلا بتعين، وحكمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي تقدم، (فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) لم يبق معنى لقبول شهادة فيها ريبة أو استغراب. وهناك بعض من الصور التي فيها ريبة توجب تكذيب الشهود، من ذلك إذا راقب الناس الهلال في آخر الشهر جهة الشرق بعد طلوع الفجر، وقبل غروب الشمس، فرأوه رؤية محققة- كما حدث عندنا هذه السنة- ففي هذه الحالة إذا شهد شهود برؤية الهلال مساء ذلك اليوم، فيكذبون، لأن رؤيته صباحًا دليل على أنه مازال لم يجتمع مع الشمس، وما زال لم يدخل تحت شعاعها. إذ أن من المعلوم أن القمر، لا بد أن يختفي في آخر الشهر تحت شعاع الشمس يومين على الأقل، يوم قبل اجتماعه بها، ويوم بعده. ومن ذلك إذا شهد شهود برؤية الهلال، وفي عشية الغد لم يره الجمهور، فيكذبون أيضًا، لأنه إذا رئي عشية، فيرى في عشيه الغد أكبر حجمًا ونورًا، وأكثر مكثًا وارتفاعًا. ومن ذلك إذا راقب الناس الهلال في كل مكان فلم يروه مع الصحو التام، ثم يدعي رؤيته أفراد قلائل، فيكذبون أيضًا، لأنه لو كان موجودًا لرآه الجمهور. ومن ذلك إذا دل الحساب القطعي على أن الرؤية ممتنعة، أو قريبة من حد الامتناع فيكذبون أيضًا، لأن الحساب قطعي، ومبني على الرصد والمشاهدة في السنين الطويلة. ومن ذلك إذا عد الناس ثلاثين يومًا من رؤية شاهدين فأكثر، فلم يروه عشية الثلاثين، فيكذب الشهود الأولون، لأن رؤية الهلال عشية الثلاثين قطعية، ولأن الشهر لا يزيد على ثلاثين يومًا، ولا ينقص عن تسعة وعشرين يومًا.

وقد قال الإمام مالك في هذه المسألة، هما شاهدا سوء. وقد جاء في الحديث، عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا غاب القمر قبل غروب الشفق فهو لليلة، وإذا غاب القمر بعد غروب الشفق، أو بعد غروب الحمرة فهو لليلتين. ومعنى الحديث واضح، هذا ما أردت بيانه باختصار، وليس من داعٍ لتكرار الاقتراحات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(انتهى نص الكلمة)

- وشارك في مؤتمر الدوحة، وألقى كلمة بعنوان (يوم السيرة العطرة) قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم وأشكرك، وأعوذ بك من عثرة الرأي، وكلام الضمير، وأصلي وأسلم على صفوة خلقك سيدنا محمد، الداعي إلى سبيل الهدى، وعلى آله وصحابته بدور الدجى، أما بعد،

أيها الحفل الكريم يسعدني في اللحظة المباركة، ونحن في دولة قطر الشقيقة أن نحتفل بيوم السيرة العطرة، وبمطلع القرن الخامس عشر، وذلك بسعي من أخي صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله الأنصاري، فجزى الله الحكومة خيرًا، وشكر الله للأخ الفاضل قيامه بهذه المهمة العظيمة، وهي إحياء ذكرى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن هذه بادرة من بوادر الخير، تبشر ببشرى سارة للنفوس لها أبعادها، وكيف لا تكون بشرى، وهي تحوم حول سيرة منقذ البشرية، وهادي الإنسانية، ولا شك أن الإخوة الكرام قد شاركوا بأبحاث قيمة، من هديه وشمائله إلى غير ذلك. وإن فاتني شرف الاشتراك، فلعلي ألقي دلوي مع الدلاء، لأنال شرف المشاركة، وذلك بالوقوف حول هذا الحديث العظيم الذي تحدثنا به السيدة عائشة رضوان الله عليها، حيث تقول: «**كان خلقه القرآن**» إي وربّي إن معاني القرآن وكمالاته لا تتناهى، وسيغني الوجود كله، ولا يزال القرآن الكريم خالدًا كريمًا لم يأخذ البشر منه إلا بقدر استعداده، وهو استعداد محدود، أما القرآن الكريم فهو كالمحيط الأعظم، لا ينتقص بالاغتراف منه، ولا يقدر على الغوص في أعماقه لاستخراج درره ولآلئه، إلا السابحون الماهرون.

فإلى أي حد من الجلال والعظمة يبلغ الذي يكون خلقه القرآن في الحق. إن الوصف المحمدي في المكان الذي لا ينال، والغاية التي لا تدرك، فقد خلقه الله للخير، وأجرى الخير على يديه، وأرسله رحمة للعالمين، وجعله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وأعطاه الكوثر والمزيد من الفضل، وشرح صدره، ورفع ذكره، فلا يذكر الله إلا ذكر محمد معه، ومهد له في الوجود تمهيدًا عجيبًا، وفطره من أصل خلقته الزكية على مكارم الأخلاق، وتولاه بنفسه فلم يكله لغيره لحظة واحدة، فنشأ وحده في الكمال طفلاً وشابًا ويافعًا، ورجلاً ونبيًا ورسولاً، وسيدًا للأولين والآخرين، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، يرتقي في درجات الكمال الذي لا تتناهى عند الله.

فالله تعالى يصلي على النبي، والملائكة يصلون على النبي، والنبي برحمة الله، واستغفار الملائكة، ودعاء المصلين يزداد كمالاً فوق كمال، وفضلاً فوق فضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

كان الصادق الأمين في فم الدنيا قبل أن يبعثه الله هاديًا وسراجًا منيرًا، كان يصل الرحم، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق، لم تحدثه نفسه الشريفة قبل الرسالة بشيء من دنس الغواية، وأوهام الضلالة، ورجس الجاهلية.

جاءه ملك الجبال، وقدماه الشريفتان تقطران دمًا، مثخنًا بالجراح، يستأذنه أن يطبق الجبلين على أعدائه فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

فقال ملك الجبال صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم، فكانت نفسه عند الشدائد هي الثبات والوقار والرحمة، وكان يقول: ربّ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن رحمتك أوسع لي. كلمه عمه أبو طالب يومًا في شأن العرب، وقد هددته بالثورة إن لم يرجع ابن أخيه عن دعوته، فأرسلها في فم الدنيا حكمة بالغة، فقال: « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ، فقال أبو طالب : " « اذهب يا ابن أخي فادع إلى ربك ما شئت، فو الله لا أمكنهم منك ما دمت حيًا ».

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد في التراب دفينا

رضي الله عنك يا عائشة يا ابنت الصديق الأكبر، يا من برأك الله من فوق سبع سموات، لقد وصفتِ لنا محمدًا بوصف عظيم، وصفتيه بالقرآن الكريم، ووصفتيه بمعجزة الدهر، كيف لا تصفينه وأنت العليمة بسرّه وظواهره. حقًا إنكِ تربيتِ في بيت النبوة، وتغذيت من لبان الوحي، لقد أديت الأمانة التي حفظتيها من رسول الله، فجزاك الله خير الجزاء.

هذا ما أردت بيانه باختصار لأنال الشرف، بطرف يسير من خلقه صلى الله عليه وسلم، وأن أحشر تحت ظل لوائه يوم القيامة.

أيها الإخوة الكرام، مضى القرن الرابع عشر، وكم طوى من أناس، وكم رفع أقوامًا، ووضع آخرين، وكم ادلهمت فيه خطوب على قوم ومزقتهم شر ممزق، وكم تلاشت فيه من دول وجعلتهم في

خبر كان، وكم سعد فيه قوم أنارت لهم الدنيا بعد الظلام. أيها الإخوة: إن القرن الرابع عشر مهما سعد فيه قوم، وأتيحت فيه مباهج الدنيا وزينتها وأخرجت الأرض كنوزها واتصل الشرق بالغرب، وأحدثت فيه حوادث لا تخطر على بال أحد يومًا، هذه الصواريخ والطائرات والتلفزيون واختراق الفضاء والنزول على سطح القمر، وغير ذلك مما يصعب تعداده وأكثرها لمصلحة البشر، وإن كان الغالب فيها الهلاك والدمار.

إن القرن الرابع عشر مهما سعدت فيه البشرية وارتقت فيه إلى مراقٍ عالية إلا أن في طياته وخباياه لياليَ مظلمة، كم ضاع في هذا القرن من ممالك وكم استأسدت من ثعالب وكم استكلبت فيه من ضفادع. في هذا القرن ضاعت فيه فلسطين مهد الحضارة ومقر الأنبياء، وأخيرًا ضاع المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين. إن القرن الذي ذهب فيه مجد أمة وتراثها لهو قرن حالك.

اللهم حول المسلمين إلى أحسن حال اللهم اجعل عامهم هذا عام يمن وعز ونصر للمسلمين.

(انتهى نص الكلمة)

- **كما كان له حضور في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في كراتشي بباكستان حيث حضر هذا المؤتمر رئيسها (ضياء الحق) وذلك بتاريخ ٣ شعبان ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨/٧/٦م. ومؤتمر آخر في باكستان في مدينة إسلام أباد، بتاريخ ١٢ ربيع الأول١٤٠٦هـ. وكان في هذا المؤتمر بصحبة الأستاذ محمد يعقوب.**

وقد ألقى كلمة تحدث فيها باختصار عن السيرة النبوية قال فيها:

الحمد لله جمعنا تحت راية الإسلام ، نحمده ونشكره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعلنا خير أمة أخرجت للناس، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،،

أيها الإخوة الكرام، إنه لشرف عظيم أن نجتمع في هذه الليلة المباركة في أرض باكستان المسلمة،

تحت قيادة زعيمها وقائد نهضتها، الرجل المسلم محمد ضياء الحق، هذا الرجل الذي منذ أن مسك زمام الحق نادى بتطبيق الشريعة الإسلامية، لأنه يعلم علمًا يقينًا أن الأمم الإسلامية لا ترتقي إلى مراقي المجد إلا إذا تمسكت بمبادئ دينها الحنيف، وجعلت كتاب الله وسنة نبيها دستورها، فنسأل الله تعالى أن يوفقه ويسدد خطاه لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ووفق أنصاره ومساعديه إلى ما فيه نهضة البلاد وإصلاحها.

أيها الإخوة الكرام: إن الحديث عن الإسلام حديث شيق، والغوص في أعماق لجته لطويل، بعيد المدى، متشعب الأطراف، وحسب المتناول أن يتناول جزءًا من أطرافه ليصل إلى الغاية ويدرك الهمة.

كلكم تعلمون أن الجزيرة العربية أولاً، والأمم ثانيًا كانت تموج في بحار من الفوضى، غارقة في أودية الضلال، تبتحر البحيرة، وتسبى السائبة، وتقطع الأرحام، وتعكف على عبادة الأصنام، وتوأد الموؤدة. وكانت المرأة لا قيمة لها في تلك المجتمعات المظلمة، حيث استعبدها الرجال، وساجوها بسياج من حديد، فكان يوم خروجها عندهم تسود الوجوه، فتقول: اتمسك على هون أم تدس في التراب، يا ويل البشر إذا عقول البشر ضلت طريقها، وتاهت في بيداء الحيرة، وفارقها الهدى، رجال امتلأت أدمغتهم من غبار الوثنية، وعاشت في ظلال الكهانة العمياء.

يحدثنا عمر أمير المؤمنين عن قومه أيام الفوضى والانحلال يقول: كنا في الجاهلية لا نعتد بالنساء، ولا ندخلهن في شيء من أمورنا، بل كنا ونحن بمكة لا يكلم أحدنا امرأته، وإذا كانت له حاجة سفع برجلها فقضى منها حاجته، فلما جاء الإسلام أنزلها الله مكانًا عاليًا، وأكرمها إكرامًا لائقًا، وهكذا ظلت الجاهلية العمياء تغزو القلوب، وتفتك بهم فتك المكروب، تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب، وعبدوا -لسذاجة عقولهم البليدة- غير الله، وجعلوا له ندًا، وقالوا: **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**، فبينما هم في هذا الجهل المرعب، والفكر المتدني، وفي نار الأحقاد والبغضاء، انبثق نور الهداية، وأشرقت شمس البداية، وطمست معالم الشرك والغواية، وأسفر الكون عن نور جديد، نور يملأ أركان الأرض، وأجواز الفضاء، نور يرسم للإنسانية معالمها وحياتها، إنه نور محمد عليه الصلاة والسلام. طلع نوره في أشرف بلد وأكرمها على الله

جل جلاله، فهي بلد الأمن والأمان، وبلد الآباء والأجداد محل هجرة إسماعيل وأمه هاجر، هذه البلد التي يقول الخليل سيدنا إبراهيم فيها: « **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**» (**٣٧ إبراهيم**) . هذه البلد ضمت بين جنباتها رجالاً خلد التاريخ ذكرهم، قبيلة جرهم وقريش، ولله در الشاعر إذ يصفهم بقوله:

فأقسمت بالبيت الـذي طاف حوله　　　رجـال بنـوه من قـريش وجـرهم

في هذا البلد الأمين خرج يتيم قريش، ومرضع بني سعد ، ولد هذا النور الذي بدد الظلام، وأنقذ الأنام، انتخب من صميم قريش، فهو خيارٌ من خيار، لم يصبه من رذاذ الجاهلية شيء، ولله در عمه أبي طالب إذ يقول:

إذا اجتمعت يـومًا قريش لمفـخر　　　فعبـد منـاف سرهـا وصميمها

وإن حضرت أنساب عبد منافها　　　ففي هاشم أشرافها و قديمـها

وإن فخـرت يومـًا فـإن محمدًا　　　هو المصطفى من سرها وكريمها

تـداعت قريش غثها وسمينهـا　　　علينـا فلم تظفر وطـاشت حلومها

وعندما اشتهر صلى الله عليه وسلم بين عشيرته وقومه بالصدق والأمانة دعته خديجة، ودفعت إليه شيئًا من المال يتاجر فيه، فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الشام

ودّت خديجة أن يـرعى تجـارتها　　　وداد منـهـز للخيـر مـغـتـنـم

فشد عـزمتها منه بمـقـتــدر　　　ماضـي الجنـان إذا ما هم لم يخم

فما أنـاخ بهـا حتى قضى وطـرًا　　　من كل ما رامه في البيع والسلم

فقضى مسيرة المأمون قصتـه　　　على خديجة سردًا غير منعجم

فما وسع السيدة خديجة إلا أن تخطب المصطفى لنفسها وكانت إذ ذاك أربعين سنة، والمصطفى

خمسًا وعشرين سنة.

فأصبحا في صفاء منقطع النظير على الزمان وود غير منصرم

ولما بلغ الأربعين من عمره صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى العزلة والانقطاع إلى الله تعالى، فصار يخلو بغار حراء، وهو الغار الذي يسمى الآن بجبل النور، متعبدًا فيه غارقًا في بحار العظمة والجلال، متجردًا عن الدنيا وشواغلها، منصرفًا عنها بعقله ولبه، مستعدًا لتلقي الوحي الإلهي.

فبينما هو غارق في سبحات ذي الجلال نزل عليه الأمين جبريل قائلاً له: « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** » **(العلق)**.

فلم يتحمل في بدء أمره تلك الغطة التي غطه بها جبريل عليه السلام وقت النزول، فرجع إلى خديجة وأخبرها الخبر، فطمأنته، بقولها: « **كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق** » يا لها من بشرى عظيمة زفتها خديجة إلى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، هكذا تكون النساء وإلا فلا. ثم حمي الوحي بعد ذلك وتتابع، ونادى بعبادة الواحد الأحد، ونبذ الوثنية والعكوف عليها، فثارت قريش في وجه محمد صاحب الدعوة فصبر، وقام يدعو الناس إلى الإسلام سرًا ثلاث سنين دأباً، وآمن برسالته من شرح الله صدره للإسلام. ثم أمر الله بعد هذه السنوات الثلاث أن يصدع محمد برسالته ويجهر بدعوته.

فجهر صلى الله عليه وسلم بالدعوة ونادى قومه إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فهزئوا به وسخروا منه، وبغوا عليه، وعلى أصحابه، وأمعنوا بالتنكيل بالرسول، فألقوا على ظهره سلا الجزور، وهو قائم يصلي، وقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدمه، وحاصروه في الشُعب حتى أكل هو وقومه ورق الشجر.

ولما وجد الرسول أن القوم لا يزدادون على الدعوة إلا إغراقًا في الضلال أذن لمن ليس له عشيرة تحمية أن يهاجر إلى أرض الحبشة، فهاجر إليها ثلاثة وثمانون رجلاً وسبع عشرة امرأة سوى

الأطفال، ولكن الحقد الذي كانت تخبئه قريش دفعها إلى تعقب المهاجرين وأرسلت في إثرهم رجلين من دهاتها وزودتهما بالتحف للنجاشي ملك الحبشة طمعًا في أن يرد إليهم من هاجر، ولكن النجاشي رد على قريش هديتها وأكرم المهاجرين.

فأصبحوا عنده في ظل مكة حصينة وذمام غير منجذم

ولما أخفقت قريش في صد الرسول وأصحابه، ورأت أن الإسلام أخذ ينتشر في القبائل دبرت قريش الحيلة لقتل الرسول، فأمره الله بالهجرة إلى المدينة، ولم يكد يستقر قدم الرسول وأصحابه بالمدينة حتى أخذ المنافقون يدبرون المكائد لصاحب الدعوة، وينقلون الأخبار إلى أهل مكة، ويهود المدينة ينصبون للمسلمين حبائل البغي والعناد. وأهل مكة يسومون الخسف والعذاب من بقي من مستضعفي المسلمين، ثم إن الله أمر نبيه أن يجاهد الكفار دفاعًا عن أنفس المسلمين، وتأمينًا للدعوة من كيد العدو المبين. وقد حضر صلوات الله وسلامه عليه تسعًا وعشرين غزوة أولها غزوة بدر

يوم تبسم فيه الدين وانهملت على الضلال عيون الشرك بالسجم

ثم تتابعت الغزوات تدك معاقل الشرك وتدحض راية الوثنية، ولم ينتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه حتى وضعهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، ورفرفت راية الإسلام بفضل جهاده، وجهاد أصحابه معه ، ومضي عزيمته، و إيمانهم إيمانًا راسخًا بأهمية دعوته وثقل المسؤولية.

وقام خلفاؤه من بعده فصنعوا الأعاجيب وفتحوا البلدان، رضي الله عنهم جميعًا ، حيث علموا أن النصر والقوة لا تكون بالكثرة ولا بالجموع المحتشدة، إنما النصر من عند الله. بهذه الثقة وبهذا الإيمان واجه أبو بكر الصديق بعد الرسول موجة من الردة، فقد جحدت الجزيرة العربية دينها وتنكرت، ومنعت الزكاة، ولم يبق من الإسلام إلا مكة والمدينة والطائف، أما البادية والصحراء والقبائل فقد أعلنتها ثورة ملحدة.

وجاء عمر إلى الصديق يطلب منه أن يترفق وأن يتأنى، **ويهتف الصديق بعمر مؤنبًا:** والله يا

عمر لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه، والله يا عمر لو لم أجد إلا نفسي لخرجت لجهادهم. بهذه الثقة وبهذه الروح الإيمانية فتح العرب فارس والروم، وانتشر الإسلام في أرجاء الدنيا، وأحدثوا المعجزة الخالدة، معجزة نصف مليون عربي اختلط دم الإسلام في عروقهم، حمل كل منهم كتابه وسيفه حاملاً راية الحق، ولم تمض سنوات حتى كانوا سادة الأرض وكانت كلمتهم هي قانون الحياة ودستور الوجود، همتهم العظمى رفع راية الإسلام، مهما تحملوا من مشاق، وجعلوا نصب أعينهم:

« **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** » (١٣ **الحجرات**) «**فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** » (١٠١ **المؤمنون**) ، « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »، استعذبوا كلمة الإسلام لأنهم علموا علمًا يقينيًا أن الإسلام هو روح سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

إن كبرت بأقاصي الصين مئذنة   سمعت في الغرب تهليل المصلينا

إن الدين الإسلامي هو البلسم الشافي لجميع العلل والأمراض، به تحيا النفوس السقيمة، وهو الحصن الحصين المانع من الوقوع في المهاوي، وهو العقال المتين لكبح جماح الشهوات. ومن غيره يصبح الحيوان أولى بالاحترام من الإنسان لنفعه وقلة أذاه، فالدين الإسلامي هو الوحي الإلهي النازل من فوق سبع سموات على أفضل رسله لإنقاذ بني الإنسان من حمأة الرذيلة ومعاطن الفساد إلى سبيل سعادتهم وإلى طرق الخير والهدى. ومن هنا قد وضح لنا رسول الإسلام ونبي الهدى مهمته التي كلفه الله بها، وحققها لسعادة البشرية فيما خاطبه به ربه من أحكام دينه، والتحلي بالشمائل المحمدية بقوله:« **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** »(٤٥) (**المائدة**) « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** »(٤٧) (**المائدة**.)

هذا وقد بين رسول الإسلام بجانب هذه الأحكام – لما لهذا الدين من حسن الأخلاق وعظيم الشمائل بقوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وكان من أخلاقه المثل العليا والنموذج الكامل لسائر العالمين، حتى شهد له المنصفون من أعدائه بأنه الصادق الأمين، وبهذه الأخلاق الربانية، والتعاليم السماوية استطاع أن يخلق من العرب الغلاظ الجفاء أمة متراحمة متحدة يربطهم دين إلهي ويحكمهم قانون سماوي.

فالإسلام هو الطريق الوحيد لنجاة الأمم من التعثر في أذيال الوحل، فالإسلام دين اعتقاد وعمل، ولم ولن يتم لأي فرد أو أمة نجاة أو سعادة، ولا عز ولا انتصار إلا بالتمسك بدين الإسلام وآدابه، والرضا بأحكامه، والوقوف عند حدوده.

« **ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ** » (١٠٣) (يونس).

هذه هي رسالة الإسلام، الرسالة السماوية التي أنقذ الله بها البشرية من عصبية الجاهلية، ومن الانحلال والغطرسة والكبرياء إلى نور الإيمان، إلى حديقة المحبة، إلى المساواة بين الأفراد والجماعات، هذا النور الذي انضوى تحت لوائه ملايين البشر، وها هو بعد مضي أربعة عشر قرنًا واقف كالجبل الأشم، يتحدى الصعاب رغم معاول الهدم والإلحاد التي تبث سمومها بين الفينة والفينة، لا تجد منفذًا لبث سمومها لأن الأمة الإسلامية لا زالت في أوج مجدها ما دامت متمسكة بأهداب دينها الحنيف جاعلة الشريعة الإسلامية هي عزها وسعادتها، وبغيرها لا يمكن أن تصل إلى ساحل النجاة، والشريعة الإسلامية شريعة صالحة لكل زمان ومكان.

ثم إن الشريعة الإسلامية لم تأت للعرب ولا للعجم ولا لجماعة دون أخرى، ولا لقوم دون قوم، ولا لدولة دون دولة، وإنما جاءت للناس كافة عربهم وعجمهم وشرقهم وغربهم على اختلاف مشاربهم، وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم، فهي شريعة كل أسرة وشريعة كل قبيلة، وشريعة كل جماعة ، وشريعة كل دولة، بل هي الشريعة العالية السامقة التي استطاع علماء القانون الوضعي أن يتخيلوها ولكنهم لم يستطيعوا أن يوجدوها. ولم تأت الشريعة لوقت دون وقت أو لعصر دون عصر، أو لزمن دون زمن، وإنما هي شريعة كل وقت، وشريعة كل عصر، وشريعة الزمن كله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد صيغت الشريعة في قالب محكم متين لا يطرأ عليها تغير الزمن ومروره، ومن ثم كانت نصوص الشريعة غير قابلة للتغيير والتبديل كما تتغير نصوص القوانين الوضعية. وإذا أردت أن تعرف الفرق بين الشريعة الإلهية المنزلة من فوق سبع سموات وبين القانون الموضوع من صنع البشر تجد الفرق شاسعًا، فالقانون السماوي الذي لا تبديل فيه ولا تغيير راعى جميع مصالح البشر في جميع مراحله، والمسلمون لا يمكن أن تخبوا رايتهم أو يعتريهم الوهن ما داموا متمسكين بأهداب شريعتهم السمحة، أما إذا استبدلوا الشر بالخير، والآسن بالعذب فهذا إيذان بخراب حياتهم.

(انتهى نص الكلمة)

كما حضر مؤتمرًا آخر بباكستان حول موضوع مساهمة الإسلام في الحضارة الإنسانية وذلك في الفترة من ٧-١٠ مارس ١٩٨١م.كما حضر عشرات المؤتمرات الخارجية، التي لم أستطع إحصاءها، ولكن أذكر بعضًا منها بحسب ما وقع في يدي من أوراق ووثائق، من أهمها التي لا يزال الشيخ يذكرها وتركت بصمة جميلة في حياته، وكان يتلذذ بذكر ما دار فيها من مناقشات، المؤتمرات التي حضرها في بغداد والتي تركت أثرًا في نفسه، وأولها:

المؤتمر الذي عقد في العاصمة بغداد حضره مع صديقه الشيخ محمد بن عبداللطيف آل السعد وذلك بتاريخ ٩ مارس ١٩٧٥م. وقد كانت للشيخ يوسف كلمة في هذا المؤتمر قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، سبحانه أمرنا بالاعتصام والاتحاد، ونهانا عن الخلاف والشقاق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أول من دعا إلى لم شعث المسلمين، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم ومُهَجهم في سبيل إعزاز هذا الدين وبعد،

فيسعدني في هذه اللحظة المباركة أن أتوجه بخالص الشكر لرئاسة ديوان الأوقاف بالجمهورية العراقية الشقيقة حين وجهت الدعوة لي ولفضيلة أخي الشيخ محمد بن عبداللطيف آل سعد، لحضور المؤتمر الإسلامي الذي يضم بين جنباته من أفذاذ العلماء، فهو إن دل على شيء فإنما يدل على رغبتهم الصادقة في جمع المسلمين، والتداول معهم في شؤون قضاياهم في بلاد عربية إسلامية لها تاريخها المجيد، وخصوصًا بشأن المسجد الأقصى والصهيونية، وليس ذلك ببعيد على رئاسة ديوان الأوقاف العراقية أن توجه الدعوة لإخوانها في العروبة والإسلام، وليس بخاف أن العراق هو المهد الأول لعباقرة الإسلام، والمنطلق للفاتحين أيام الخلفاء الراشدين، والمرتع الخصب في أيام العباسيين، نرجو الله أن تحقق آمال الداعين إلى هذا المؤتمر، كما نرجوه -جلت قدرته- أن يحقق آمال الرؤساء والزعماء للنهوض بأعباء المسؤولية لنصرة دين الإسلام، وفك أسر المسجد الأقصى من أيدي الصهيونية الظالمة، وأن يرجع الحق إلى أهله إنه سميع مجيب.

أيها الإخوة الكرام، ليس بخاف عليكم أن الوجود الإسلامي في عالم اليوم قضية كبرى، حقيقية شغلت بال كل من يهمه أمر هذا العالم، ونحن كما هو المفهوم لدى الأمم، ملح هذا الوجود، ونحن

الأمة الوسط، التي إذا صلحت صلحت الدنيا كلها، وإذا فسدت فسدت الدنيا كلها، ونحن بحق خير أمة أخرجت للناس.

فإلى هذه الخاصية الأساسية تضاف خاصية أخرى في منتهى الأهمية، وهي أن الشعوب الإسلامية تتلاصق حدودها الجغرافية، من باكستان شرقًا إلى المغرب في الغرب. وإذا لم نجعل البحر مانعًا من الاتصال الجغرافي، فإن البلاد الإندونيسية والماليزية تشارك بقية العالم الإسلامي كذلك.

لذلك نرى أن الإسلام دين الوحدة، دين القوة والمساواة، وأن تضامننا تضامن إسلامي بحت، تضامن في ظل القرآن، ورسالة الإسلام تهدف إلى مصالح البشرية جمعاء، وتنادي بتأييد شعوب العالم الإسلامي، وكم نادى القرآن الكريم بالوحدة والانضمام بقوله «**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَّلَا تَفَرَّقُوْا**». ونرى في آية أخرى يحثنا على التعاون على البر والتقوى، وينهانا عن الإثم والعدوان، فيقول جل جلاله «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**». **وقال «إنما المؤمنون إخوة» وقال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (١٣) » **الحجرات**. وهذا سيدنا رسول الله يبرز لنا شخصية الأمة الإسلامية الحقة في ثوبها القشيب فيقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، وقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**». **وقال: « المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويقوم بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »**.

تلكم أيها الإخوة آيات محكمات، وأحاديث مشرفة بسطناها أمام حضراتكم، فنحن إذًا أمة التوحيد، أمة التعاون والتكاتف، فهي إذًا واجبة التطبيق، وقد طبقها سلفنا الصالح، فكانت النتيجة أن احترمها العالم، وحسب لها ألف حساب، و أن وُجد جيل جديد من نوعه، جيل حمل مشاعل النور في مناكب الأرض الحالكة، فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس.

فالمتتبع لتاريخ تلك العصور الذهبية حقًا ليدهش ويحتار، لما يرى من تطبيق المسلمين لشريعة الله، ومن تعاونهم وتضامنهم تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

أيها السادة الأفاضل، إن الدعوة إلى هذا الدين تحتاج إلى علماء أقوياء، يتحملون الصعاب والمشاق، في سبيل نصرة هذا الدين، وتحتاج إلى عزم أكيد، ومسيرة متواصلة لا تقف عند حد. لقد ناضل المصلح الإسلامي الكبير السيد جمال الدين الأفغاني نضالا شاقًا حتى وافته المنية سنة ١٨٩٦م من دون أن يتحقق هدفه المنشود.

وناظر الأستاذ محمد عبده حتى توفي في سنة ١٩٠٥م، ورسالته لم تحقق بعد، فتحملها تلميذه الشيخ رشيد رضا، ولكن وافته المنية عام ١٩٣٥م من دون تحقيق غاياته، وأمثال هؤلاء الفطاحل كثير وكثير، كل قد تبرع بنفسه في إقامة منار هذا الدين الحنيف، وحفظ معالم الشرع المحمدي، وفي سبيل التضامن، وحذروا كل الحذر من التفرق والانقسام فإنه خور وهزيمة. وهناك حركات إسلامية أخرى في الهند والباكستان وأندونيسيا، وبعض الأنحاء الإفريقية وهدف الجميع واحد، والكل متفقون على ضرورة العودة إلى الإسلام، وتحكيم كتاب الله وسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

هكذا كان أسلافنا، أما نحن فلسنا إلا صورًا لا توحي بشيء مما قاموا به، هذه مؤتمراتنا كم نجتمع ونفترق، وليس من ورائها كبير فائدة . فمجرد اللقاء لا يكفي لحل المشاكل وبلوغ الأماني.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مُرادها الأجسام

إن المجتمع الإسلامي اليوم أصبح بعيدًا كل البعد عن مناهج الشرع الشريف، بل صار كليًا متحيزًا إلى جوانب منحرفة، مستمدًا عونه من القوانين الوضعية التي وضعه «**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)** » **(الإسراء)**.

فلقد امتنّ الله علينا بأن جعلنا أمة مسلمة، قادة وسادة على سائر الأمم، فلقد كنا في جاهلية جهلاء، نتخبط في متاهات الضلال والكفر، حتى أنقذنا الله منها ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان خير قائد، وربى أحسن جيل لنشر الدين.

ها هو التاريخ الإسلامي يقص علينا أحسن القصص، عن الأولين ويتبعهم بأخبار الآخرين، وهم يقودون الأمم على المحجة البيضاء، ينيرون الطريق للسالكين، ومن هؤلاء المؤمنين رجال صدقوا

ما عاهدوا الله عليه، خالد بن الوليد، وطارق بن زياد رضي الله عنهما، ومحمد بن القاسم، وصلاح الدين الأيوبي رحمهما الله.

إننا لو تصفحنا تاريخ حياتهم لرأينا أن هذا الدين قام على أيديهم، بعدما رسمه رسول الهدى لهم، حقًا لقد كانوا عند مواجهة العدو كالجبال الشم لا يتزعزعون، هذا هو طارق بن زياد يقول: أيها الناس إن البحر من ورائكم والعدو أمامكم، لقد ذهب قوله مثلاً، فرضوان الله عليه وعلى من سار في طريقه.

وهذا صلاح الدين الأيوبي كيف استطاع أن يقلع جذور الصليبيين من فلسطين، ويقمع عبدة الأوثان، ويحرر المسجد الأقصى، ثالث الحرمين، ومسرى سيد الثقلين.

ماذا أعد لهم حتى ألقى الرعب في قلوبهم، وملأ بالذعر نفوسهم، إنه الإيمان كما قيل:

قل لي بأية قـــوة جـبـــارة ... فتحوا العراق ببأسهم والشاما

قل لي بأيــة قـــوة جبــارة ... نـزلـوا بمصر وزلزلوا الأهرامـا

ما كان جند المسلمين أشــــد ... من أعدائهم بأسًـا ولا إقداما

لكنـه الإيمان في ساح الوغـــى ... ربط الـقـلـوب وثبت الأقـدامـا

أيها الإخوة الأعزاء، هذا هو شأن أسلافنا، فهل آن لنا أن نتأسى بهم، ونحذو حذوهم؟ إنني أعتقد أنه من واجب كل مسلم أن يتجند لخدمة هذا الواجب الديني، و أن خذلان هذا الدين خيانة ما بعدها خيانة. والخطوة الأولى لتحقيق التضامن الإسلامي، والقيام على أس واحد، ودافع واحد هو اجتماع الرؤساء لإيجاد أقرب الوسائل لتعزيز أسباب الإخاء والتعاون بين الدول والشعوب، والعناية بالأقليات الإسلامية التي تعاني اليوم في بلاد عدة أنواعًا من الظلم والإرهاب.

إن المجتمع الإسلامي لا يشكو اليوم من قلة العدد، فالحمد لله هم كثر، فما عليهم إلا أن يعودوا إلى سيرة نبيهم الكريمة، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده رضوان الله عليهم أجمعين:

« **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) »

(آل عمران). وقال « **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** (٤٧) » (**الروم**). فإذا عاد المسلمون إلى سيرتهم الأولى ضمنوا لأنفسهم النصر من عند الله. «**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم** (١١) » (**الرعد**).

وفي الختام أسأل الله جل شأنه، أن يوفق ولاة أمور المسلمين لما فيه الخير والرضى، وأن يجمعهم على كلمة الحق والهدى، وأن يشمروا عن ساعد الجد، ليعيدوا ما اندثر من مجدهم، وأن يحرروا ما اغتصب من مقدساتهم، وخصوصًا المسجد الأقصى، ثالث الحرمين، مسرى نبيهم الكريم، إنه سميع مجيب.

أيها الأخوة الكرام، كلكم يعلم أن الإسلام يوم اخترق نوره الفضاء، وملأت تعاليمه أرجاء الدنيا، أرعدت وأبرقت اليهودية وأعوانها، ولم يصب الإسلام بنكسات وهزائم قديمًا وحديثًا، ولم يُرم من خلفه، وتكاد له الدسائس من هؤلاء اليهودية الضالة، كم وقفوا في سبيل الدعوة الإسلامية إبان ظهورها، ووقفوا حجر عثرة، وعرقلوا مساعي النبي صلى الله عليه وسلم، وكم أوقدوا نيران الفتنة بين كبار الصحابة، وجرى ما جرى من سفك دم وتقاطع وتناحر، ومن الذي اتهم زوج الرسول الأعظم؟ ومن الذي أدخل التتار في بغداد بلادكم هذه عام ٦٥٦م؟ أليست اليهودية مع معاونة أهل الذمم؟!!. لقد كاتب اليهود التتار لغزو عاصمة الخلافة، والقضاء على الإسلام والمسلمين، وهم الذين مهدوا لهم الطريق، وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة العظيمة، ويكفي أن عدد ضحاياها كثير، وما حدث في عام ١٩٤٨م، من قتل النساء والشيوخ والأطفال، في غزة وخان يونس، وكذلك عام ١٩٥٦م و ١٩٦٧م كارثة عظيمة أجفلت لها بعض البلاد العربية والإسلامية. ماذا يريد المسلمون من هؤلاء الأنذال قتلة الأنبياء، والعجب من ذلك أنهم استباحوا وداسوا بأقدامهم القذرة، مسرى رسولنا الكريم، ثالث الحرمين، ومحل الأنبياء الأقدمين.

أيها الإخوة: متى يتمسك المسلمون بدينهم وإسلامهم وعروبتهم، لكي يقفوا في وجه الصهيونية الغاشمة، ويلقنوها درسًا لا تنساه، ويترك المسلمون البكاء والتفجع؟ و متى يوقدوها حربًا شعواء لا هوادة فيها ولا لين؟ البكاء لا يجدي، والخطب لا تجدي.

وشر سلاح المـرء دمع يفيضه إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

××××××××××

سأحمل روحي على راحتي   وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق   وإما ممات يغيظ العدى

(انتهى نص الكلمة)

- **وكذلك حضر المؤتمر الذي عقد في غرة رجب ١٤٠٣هـ الموافق ١٤/٤/ ١٩٨٣م، حيث افتتح هذا المؤتمر عزت إبراهيم الدوري نائب رئيس الجمهورية العراقية آنذاك، والشيخ علي كاشف الغطاء**. ووصف الشيخ يوسف كلمة نائب رئيس الجمهورية بأنها كلمة قيمة ذات أهداف سامية، ومعان نبيلة.

وفي اليوم الثالث من المؤتمر حضر رئيس الجمهورية الرئيس الراحل صدام حسين، وألقى كلمة مرتجلة قيمة تحدث فيها عن الحرب العراقية الإيرانية، كما تحدث عن غزوة الأحزاب ووصفها وصفًا دقيقًا أذهلت الحضور، تحدث عنها حديث المتمكن البارع ، وقد أشاد العلماء والشيوخ بمستوى الكلمة.

ويقول الشيخ يوسف كنا قد اقترحنا في المؤتمر نحن ودولة الإمارات باعتبارنا ممثلين عن دولنا: الوصول إلى حل سلمي يحقن دماء المسلمين التي تراق هدرًا بين العراق وإيران، وأن تكلف اللجنة بالاتصال بالمسؤولين الإيرانيين وإبلاغهم بذلك.

- **وكذلك حضر المؤتمر الإسلامي الشعبي الثاني الذي عقد ببغداد أيضًا في الفترة من ٢٢-٢٥ إبريل ١٩٨٥م، وحضره** جمع غفير من علماء المسلمين، وذكر الشيخ يوسف معلقًا على أوراق المؤتمر أن أحد المتحدثين من العلماء ألقى كلمة « لم نعرف أولها من آخرها، ولم يعرف الناس ما يقول »!!

- **وكذلك حضر المؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي الذي عقد ببغداد ١٦-١٨ يونيو ١٩٩٠م وعنوان المؤتمر هو (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** ويذكر الشيخ يوسف أن صدام حسين تحدث عن أن العروبة والإسلام حالة واحدة، وإذا ما ضعف العرب ضعف الإسلام ، وإذا نهض العرب بمفاهيم دينهم فسوف ينهض المسلمون في كل أرجاء العالم، وأن العروبة في خدمة

الإسلام، وخص الله العرب بحملة كتابه الكريم وحملة رسالته. ثم تحدث عن أن القدس لن تكون عاصمة لإسرائيل، وأن القدس مغتصبة وأسيرة، وأننا مصممون على استرجاع الحقوق المغتصبة في فلسطين. كما بين أن من سيعتدي علينا سنضربه بكل قوة، سواء اعتدوا على العراق أو اعتدوا على أي قِطر عربي (١).

١- كان ذلك قبل الغزو العراقي على دولة الكويت الشقيقة بشهر ونصف الشهر، كما أن الشيخ بعد ذلك رفض رفضًا تامًا الغزو على دولة الكويت الشقيقة.

الفصل الخامس

كلماته ومقالاته وفتاواه ومؤلفاته

- **المبحث الأول:**
  - كلماته في المناسبات.
- **المبحث الثاني:**
  - مقالاته
- **المبحث الثالث :**
  - فتاواه
- **المبحث الرابع :**
  - مؤلفاته

- **المبحث الأول:**

- كلماته في المناسبات:

كان لشيخنا العديد من المشاركات في المناسبات الدينية التي تقيمها وزارة العدل، ومنها الاحتفال بيوم المولد الشريف، والإسراء والمعراج، وليلة القدر، ولهذه المناسبات دلالات ومعنى، حيث إنها تذكر الإنسان بما يغفل عنه الكثير، وخصوصًا في عصرنا هذا، وما تلك الاحتفالات إلا تعبير عن الفرحة والشوق، ومحبة النبي العظيم، واستذكار لمكانته، ومعرفة قدره، فما هي إلا وسيلة من وسائل الخير، وطريقة من طرق التعارف. حيث يتم في تلك المناسبات ذكر سيرته العطرة، وشمائله الندية، منذ ولادته وحتى وفاته، يُسرد فيها كل ما مر به من الحوادث، مما يتيح للمستمع للسيرة فرصة متابعة الأحداث، وربطها بفكر عميق، وتفكر جميل. وكذلك معراجه، وفضائل ليلة القدر. وقد اهتم آباؤنا الأقدمون بهذه المناسبات على بساطتهم، وكان لهذه المناسبات وقع كبير في النفس، لأنها تهتم بكل ما يختص بأكرم خلق الله، وفي سيرته من الحوادث ما يجعل الدموع تسيل، والوجدان تميل، شوقًا وسرورًا لهذا النبي العظيم. وفي الحقيقة أن قراءة السيرة النبوية بالطريقة التي تكون في المناسبات والموالد ثقافة، فقد تكون القراءة في بعض الأحيان شاقة على البعض، ولكن حين يكون السماعُ ممزوجًا بروائع من الإنشاد، وقليل من الإرشاد، وترداد الكلمات الجميلة، والأشعار البديعة، في حق الرسول الكريم، فإن القلوب تهفو وتميل ، والعين بالدمع تسيل، والنفوس تتشوق وتلين.

وكانت الدولة متمثلة في وزارة العدل والشؤون الإسلامية- تهتم اهتمامًا كبيرًا بإحياء تلك المناسبات العظيمة في نفوس المسلمين، وتحرص كل الحرص على دعوة الناس والوجهاء ابتهاجًا بتلك الليالي الفاضلة، والأيام المباركة العظيمة، فتجد حضورًا مشرفًا، وإقبالاً كبيرًا. أما وقد ظهرت بعض الدعاوى والفتاوى التي تبدع إحياء مثل تلك الليالي، فإن الكثير من المساجد قد عزفت عن إحياء هذه المناسبات، وخوّفت الناس من البدعة المزعومة التي ليس لها ضابط شرعي، سوى هوى في النفس. وأما وزارة العدل والشؤون الإسلامية فلا زالت- مشكورة في سعيها وجهدها- تقيم تلك الاحتفالات المباركة بمبادرة كريمة من جلالة الملك حفظه الله، وبسعي من

وزير العدل. ولكن أتمنى أن تعطى هذه المناسبات أهمية كبيرة كغيرها من المناسبات. وللعلم فإن جميع الدول الإسلامية تقيم احتفالات كبيرة تليق بمكانة هذه الليالي، ويحضرها الحكام والعلماء والوجهاء، وخاصة في ليلة المولد الشريف، فأيام المولد أيام مباركة شريفة، وإحياء لياليه إحياء للسنة، حيث نتذكر شمائله وأخلاقه، وهذا ما جرت عليه مملكتنا الغالية من إحياء هذه المناسبة المباركة.

وعليه فإن شيخنا الشيخ يوسف سار في درب الطراز الأول من العلماء و انتهج نهجهم، وارتمى على أحضانهم، وأخذ العلم من ينابيعه الصحيحة، وتغذى بلبان فكرهم وعقيدتهم الصافية، التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة. لذلك تجده يمتشق قلمه، ويكتب كلمات عذبة، ومعاني فذة، وعبارات رقيقة يساهم بها في إحياء تلك الليالي المباركات. وطالما أحيا هذه الليالي المباركة في مسجده بالزلاق، فيجتمع في تلك الليالي أعداد هائلة من الرجال والصبيان، يستمعون إلى السيرة العطرة، وكان للشيخ نغمة خاصة في الإلقاء يشد به المستمعين، ويقوم بتلحين الأشعار بصوت شجي جميل.

وفي هذا المبحث سنذكر بعضًا من تلك الكلمات، وهي عادة كلمات مقتضبة، وإشارات أدبية رقيقة، تعبر عن حبه، ورغبته في المشاركة. وسنفرد بمشيئة الله تعالى له كتابًا خاصًا عن كلماته.

أولاً: كلمات في يوم المولد النبوي الشريف

- **كلمة بعنوان مولد البشير النذير، قال فيها:**

أحمدك اللهم وأشكرك، وأصلي وأسلم على من بعثته رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا، سيدنا محمد صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى، وصحابته الغر الميامين.

أيها الإخوة الكرام،

نحن في شهر ربيع الخير، شهر مولد سيد الوجود، وبمقدم شهر ربيع الأول تأخذ الكاتب هزة ورعشة، والشاعر وحي وفكرة وتجعله يحلق في الآفاق ويقول بملء فيه:

هذا هو الفجر قد لاحت بشائره وطار باليمن والإقبال طائره

هذي الطيور لها في الروح أغنية وفي الرياض نسيم هب عاطره

ما للطبيعة نشوى وهي راقصة في كل روض إلى عرس سامره

قالوا لنبي قد ازدانت لمولده وفي الفؤاد سرور تم سائره

تلك النجوم تدلت ليل مولده بشر الكون بالهادي وتنذره

بأن أحمد خير الناس قاطبة قد جاء بالحق تبيانًا لينشره

أيها الأخوة الكرام،

في تاريخ كل أمة وفي حياة كل دولة يومٌ أغر لا تنساه، تتوارث الأجيال ذكراه، جيلاً بعد جيل، ورعيلاً بعد رعيل. والأمة الإسلامية لها يومها الخالد الذي يزخر تاريخها الحافل بكل معاني العظمة والخلود، فلا يكاد يهل هلال ربيع الأول حتى تعود للناس ذُكريات، ذُكرياتٌ تقودك إلى المدرسة الأولى، التي أسسها خاتم الأنبياء، وسيد الرسل، فقامت على أساس أعظم امبراطورية، قدر لها أن تسبق الزمن، وأن تخطو إلى الأمام خطوات سريعات.

تذكر الأمة الإسلامية جيدًا شهر ربيع الأول، الذي كان فيصلاً بين عهدين، ومرحلة انتقال بين دولتين، دولة الشرك والفساد، التي لزمت فراش الموت وأطلقت صرخة الاحتضار، منذ صرخ محمد الطفل الصغير في حجر عروس أرملة، لم يُساعدها القدر أن تسعد طويلاً في عش الزوجية. ودولة الحق والإيمان، الذي مهد لبنائها، ذلك الوليد محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح عينيه على الدنيا يتيمًا، لم تحمله ساعدا الأبوة الحانية.

وفي وسط جو يموج بالصراع، وجحافل الفساد تملأ مكان الجزيرة العربية، ولد مؤسس الدولة الإسلامية، مولود ككل مولود ، وولدت معه دولة الإسلام، التي ستنتشر في الآفاق.

ولم يكن هناك من يتوقع أن هذه الصرخة المدوية من محمد ستكون صيحة التحرير، ودعوة التنوير، ستكون حدًا فاصلاً بين عهدين، ستكون معول هدم لدولة تقدس الأصنام، وتستقسم

بالأزلام، تؤمن بالخرافات، وتعقد بالنفاثات، لم يكن يظن أحدٌ أن هذا الطفل الصغير سيهز العالم بإيمانه ودعوته، وسيقطع شجرة الظلم والفساد من جذورها، وسيجعل للحق دولة قوية عظيمة، شديدة البأس تدعو إلى الله، وتهدم كل عقيدة لا تؤمن بالله وكتبه ورسله.

ولا يعقل ألا نحتفل بمولده، وهو بشير خير، ونذير حق، وشمس هداية، وقمر وضاء منير، فالإنسان إذا ولد له مولود ، انتشى فرحًا، وحجل طربًا، ونصب الموائد والولائم ودعا الناس للمكارم، كما لو قدم البلاد زعيم كيف تحتفل البلاد لمقدمه، وكيف تنتشي طربًا لطلعته.

أيها الإخوة الكرام،

إن هذه الليلة المباركة تعتبر من أفضل الليالي، فهي ليلة مولد سيد المرسلين، هذه الليلة الذي انبزغ فيها نور سيد الوجود، هذا النور الذي بدد ظلام الجاهلية، وطمس معالم الشرك والوثنية، لجدير أن يحتفل بمولده الشريف. ألا يستحق هذا النور الاحتفاء؟ هذا النور الذي ساوى بين طبقات الناس بقوله: « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وهو الذي يقول: « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وهو الذي يقول: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، يوم ولدتَ، ويوم بعثتَ ويوم هاجرتَ، ويوم جاهدتَ، حتى جاءك الحق ولحقت بالرفيق الأعلى طاهراً مطهرًا ،وثويت في أشرف بقعة ضمت جسدك الشريف، هنيئاً لمن زار مسجدك الشريف، ونال شرف المثول أمام قبرك الشريف، هناك يذكر الزائر ما حدث ليلة مولدك من تحطم إيوان كسرى وخمود نار فارس، سلام عليك يا رسول الله وسلام على ذكراك أبد الآبدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى نص الكلمة

- **كلمة بعنوان (مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم)**

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود ، الموصوف بالفضل والكرم والجود، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود، المقدس في ذاته عن الصاحبة والمصحوب، والولد والمولود، العليم بأعداد الرمل ، البصير بحركات الذر في البحر والبر، الحكيم الذي فجر الأنهار، وأخرج رطب الثمار من يابس العود، لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار، ولا تفنيه الأعصار، ولا تدركه الأبصار

وهو الواحد المعبود، المعطي الذي لا مانع لما أعطى ولا دافع لما قضى، الغفار الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب، المشكور على جميع النعم، المحمود بجميع المحامد، الذي أسبل ستره الجميل على عبده الذليل، فهو المعروف بالربوبية، الموصوف بالألوهية، المنفرد بحقيقة الوحدانية، حارت العقول في عظمته، وكلّت الأفكار عن إحصار صمديته، تعالى عن المماثل والمناسب، وجلّ عن المشارك والصاحب، يقبل التائب ويحب الآيب، وليس على بابه بواب ولا حاجب، فسبحانه من إله شهدت بوحدانيته السماوات وما فيها من العجائب، وأقرت بربوبيته الأرضون في مشارقها والمغارب، واصطفى محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيه المبعوث بالدين الواجب، الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب، الذي شرف الله به الوجود وكمل به السعود وبلغه أسمى المراتب، أوجده في مثل هذا الشهر الشريف وأخرجه سالماً من جميع المعايب، خمدت لولادته النيران، وخرّت لمبعثه الأوثان، وارتج إيوان كسرى ورمي بالمحن والمصائب، ومنعت الشياطين من الصعود إلى السماء، وصمت آذانهم عن خطاب العلا **لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ** (٩) **(الصافات)**. فهو النبي الكريم والرسول العظيم، المنزل عليه في الآيات والذكر الحكيم، **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ** (٦) **(الصافات)** بنبي استخرجه الله من أطياب العناصر، وفضله على أهل المشارق والمغارب، سمعه يسمع صرير القلم، بصره إلى السبع الطباق ثاقب، لسانه ما نطق بالهوى ولا تحدث قط بحديث كاذب، يداه بركاتها في المطاعم والمشارب، قلبه لا يغفل ولا ينام ولكن للخدمة على الدوام مراقب، قدم إليه البعير فزال عنه ما شكاه من المخاوف والمعاطب، آمن به الضب وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع حنين حزين نادب.

حداه العين رفقـًا بالـنجائب	فقلبي سار في أثـــر الـركائب
وجـسـمي ذاب مـن سقـم ووجد	ومـن شوق إلى لقيا الحـبـائب
فـهـل لـي مـن سبيل للتلاقي	فد معي قد غدا مثل الحائب
لئن سمح الـزمان بطيب وصـل	وبُلّغتُ المقـاصـدَ والمـآرب
لألـثمـن هـذا التـراب جـهـرًا	وأرويـه بـأدمعـي السـواكـب
وأحظـى بـالعقـيـق وسـاكـنيه	ومـن قـد حل في تلك المضـارب

قباب قد حوت بـــدرًا منيـرًا إذا مـا مـاس في تلك الـــذوائب

تخر لـــه بـــدر والحنين طوعـًا ســـجودًا في المشـارق والمـغـارب

وخص الآل والأصحاب جهـرًا جـمــيـعــهـم وعترته الأطـايب

أما بعد، معشر الحاضرين هذه ليلة عظيمة من أعظم ليالي الإسلام انبزغ فيها فجر الإسلام وتلاشت هياكل الظلم والطغيان، تحدثنا كتب السير عن هذا الفجر العظيم فجر النور والسلام، فجر بزوغ محمد عليه الصلاة والسلام.

روي أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة قال:« اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي » فقال له الحق جل جلاله: من أين عرفت محمدًا؟ قال:« إلهي لما خلقتـني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب لا اله إلا اللّه محمد رسول اللّه، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا منه عندك فتوسلت إليك به (١)» . فلما دعا آدم تاب اللّه عليه وغفر له ببركة نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم. ثم إن اللّه تعالى أودع نور محمد في ظهر آدم وأسكن جنته وأسجد له ملائكته ثم عرّفه قدر ما أودعه من السر، ثم قال له: يا آدم تطهر وسبح وقدّس واغش زوجتك على

١- هذا نص الحديث من المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد اللّه الحاكم النيسابوري.
المجلد الثاني -٢٨ — "كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين -٢٦- "ومن كتاب آيات رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم التي هي دلائل النبوة
٤٢٢٨ / ٢٣٨ - حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا أبو الحارث عبد اللّه بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب - رضي اللّه تعالى عنه - قال:
قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال اللّه: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.فقال اللّه: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.
هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. انتهى كلام الامام الحاكم رحمه اللّه تعالى .
وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم مختلف فيه وأكثر المحدثين يضعفه .
جاء في تهذيب الكمال للحافظ المزي ما نصه:..قال عبد اللّه بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال روى حديثا منكرًا أحلت لنا ميتتان ودمان .
وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين ليس حديثه بشيء . وقال البخاري وأبو حاتم ضعفه علي بن المديني جدا .
وقال أبو داود أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف وأمثلهم عبد اللّه .
وقال النسائي ضعيف . قال أبو زرعة ضعيف.
وقال أبو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا .وقال في موضع آخر هو أحب الي من بن أبي الرجال.
وقال أبو أحمد بن عدي له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه.
قال البخاري قال لي إبراهيم بن حمزة مات سنة ثنتين وثمانين ومئة روى له الترمذي وابن ماجة . انتهى .
وأما من علماء الحديث حقيقة .فقال الإمام البيهقي في دلائل النبوة (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه ، وهو ضعيف ، واللّه أعلم) انتهى
وقد بالغ الحافظ الذهبي في التلخيص على المستدرك فقال أنه موضوع. (نقلاً من موقع الأزهريين)

طهارة منك ومنها فإني مخرج منكما نوري ففعل آدم ما أمره به ربه فنقل الله نور محمد صلى الله عليه وسلم إلى حواء، وكان ذلك ليلة الجمعة لاثني عشرة ليلة من رجب، فكان يرى في وجه حواء دارة كدارّة الشمس، فلما وضعت شيئًا انتقل النور إلى جبينه فلما كبر وأخذ حد الرجال، أخذ عليه آدم العهد والميثاق ألا يضع هذا السر إلا في المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال فما زالت تلك الأنوار تنتقل من أصلاب الأخيار إلى المحصنات من النساء الأطهار، وتدنو وتقترب إلى أن وصلت إلى عبدالله بن عبدالمطلب.

ما زال نـــور مـحـمـد مـنـتـقـلاً في الطيبين الطاهرين ذوي العلا

حتى لعبد الله جـــاء مطهـــرًا وبـوجـه آمــنــة بــدا مــتــهـللا

ولما انتقل النور إلى آمنة آمنت به من المخاوف الكامنة، ظهرت لانتقال نوره الآيات، وتباشرت بقدومه جميع المخلوقات، تردد في جميع أقطار الأرض والسماوات، يا أرض تبرقعي بالوقار، يا كرسي تدرّع بالفخار، يا سدرة المنتهى ابتهجي، ويا أنوار المهابة تبلجي، يا جنان تزخرفي، يا حور من القصور أشرقي، يا معشر الملائكة تمنطقي واصطفي وبالعرش حفي، يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب النيران، فإن النور المخزون والسر المكنون الذي هو في خزائن قدرتي من الأزل في هذه الليلة إلى بطن آمنة قد انتقل ظهر عند ذلك صفاء يقينها، وانطوت الأحشاء على جنينها، فأول شهر من شهور حملها تزلزل قصر كسرى، الشهر الثاني امتلأت الأكوان بالبشرى، الشهر الثالث غاصت بحيرة ساوة، الشهر الرابع انقطع وادي سماوة، الشهر الخامس وقفت بحيرة طبرية، الشهر السادس مات أبوه عبدالله للأسرار الخفية، الشهر السابع خمدت النيران، الشهر الثامن تحطم إيوان كسرى وهان، الشهر التاسع سقط على رأس كسرى التاج، وعظم كربه وهاج، فسأل عن ذلك الكهان والرهبان، فقيل له قد آن مولد سيد ولد عدنان، وهو نبي آخر الزمان المبعوث بالدليل والبرهان المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، الذي يظهر دينه على سائر الأديان، وقال ابن أبي زيد: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل، فابتهجت الأكوان لقدوم النبي الجليل، ففي أول ليلة منه حصل لآمنة السرور والهنا، وفي الليلة الثانية بشرت بنيل المنى وفي الليلة الثالثة

قيل لها قد حملت بمن يقوم بحمدنا وشكرنا، وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنًا، وفي الليلة الخامسة رأت في منامها الخليل وقال لها أبشري بهذا النبي الجليل صاحب النور والسنا، وفي الليلة السادسة دام السرور والفرح وما فتى ولا ونى، وفي الليلة السابعة سطع نور الرضا وعم ذلك الفنا، وفي الليلة الثامنة طافت الملائكة بيت آمنة لما قرب وضعها ودنا، وفي الليلة التاسعة بدا سعدها والفنى ، وفي الليلة العاشرة زال عنها التعب والنصب والعنا، وفي الليلة الحادية عشرة تباشر بميلاده أهل الأرض والسما، وفي ليلة الثانية عشرة وضعت الحبيب المصطفى فأشرقت البيت وصفا، وزال عنها الشك وانتفى، وابتهجت المروة والصفا، وخرّ عنه وضعها ساجدًا للعلي الأعلى رافعا أصبعه إلى السماء كالمتضرع لمولاه، وفاح في الكون عطره وشذاه فتحت الملائكة بالتكبير والتهليل، وأشرق الكون بنور وجهه الجليل، قالت آمنة: ورأيت سحابة بيضاء قد نزلت من السماء فغيبته عني، وسمعت قائلاً يقول: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها ومرّوا به على أهل البحار كلها، وعلى الوحوش في لواتها، والجن في خلواتها، واعرضوه على كل روحاني ليعرفوه باسمه وصفته، وطوفوا به على موالد الأنبياء لتعمهم آثار بركته، قالت آمنة: ثم تجلت عنه السحابة، فإذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرةٌ خضراء، فسارع إلى خدمته ثلاثة أنفس، مع أحدهم طشت من ذهب أحمر ومع الثاني إبريق من الجوهر ومع الثالث منديل من سندس أخضر فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق، وأخرجوا من المنديل خاتم التصديق، ختموا به على ظهر النبي الشفيع، فتم بذلك سعده والتوفيق، وكان يقول: خذوه عن أعين الناظرين وأعطوه صفوة آدم، ومعرفة شيث، ورقة نوح، وخرقة إبراهيم، واستلام إسماعيل، وصبر أيوب، وكلم يعقوب وجمال يوسف وصوت داوود وأمر سليمان، وحكم لقمان وقوة موسى وزهد يحيى، ومشرعيه، واغمروه في أخلاق النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، فسبحان من جعل هذا النبي الكريم، سلطان الأنبياء، ونشر له ذكرًا، ورفع له قدرًا، خمدت لولادته النيران، وأضاءت قصور بصرى وخرّت الأصنام له والأوثان، وارتج إيوان كسرى، فهو صاحب الشفاعة الكبرى، وبه شرف الله الوجود وجعله رحمة لكل موجود، دنيا وأخرى.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس، وأحلم الناس، وأكرم الناس وأزهد الناس وأفصح الناس، وأكثر الناس تواضعًا، وأصحهم إيمانًا وأكثرهم إنصافًا،

وأوسعهم صدرًا، يشكر كثيرًا، ويرحم صغيراً ويوقر كبيرًا، ويبدي بِشرًا وسرورًا، ويصوم النهار، ويقوم الليل وناداه العلي الأعلى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) (الأحزاب)**

أهدى النسيم إلى الوجود عبيرا	لما أتانا بالنذير بشيرًا
وافى بمولد أحمد الهادي الذي	أهدى إلينا فرحة وسرورًا
لما بدا وجه النبي تهللت	كل البقاع وقد نطقن شكورًا
وانشق إيوان وغاضت ساوة	وانكف كسرى في الأنام كسيرًا
وتساقط الأصنام عند ولاده	وتصاعد الكهان منه زفيرًا
خمدت له نار المجوس تذللاً	وغدا به صوب الغمام مطيرًا
كم آية في حمله ظهرت فما	تخفى وزادت في الزمان ظهورًا
ورأته آمنة يسبح ساجدًا	عند الولادة إلى السماء مشيرًا
قالت رأيت عجائبًا في وصفه	ويظل فيها ذو الحساب حسيرًا
آيات أحمد لا تحد لواصف	ولو أنه أملى وعاش دهورًا
بشراكم يا أمة المختار في	يوم القيامة جنة وحريرًا
فضلتموا حقًا بأشرف مرسل	خير البرية اديًا وحضورًا
صلى عليه الله ربي دائمًا	ما دامت الدنيا وزاد كثيرًا

(انتهى نص الكلمة)

وقال في مناسبة أخرى عن مولد الرسول العظيم بعنوان (انبثق فجر الهداية) :

الحمد لله والصلاة والسلام على من كانت ولادته فرحة، ومبعثه هداية، ووجوده رحمة سيدنا محمد القائل « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، وعلى آله خراريت الهداية، وصحابته نجوم الدراية وبعد،

إنه لشرف عظيم أن تقوم وزارة العدل والشؤون الإسلامية في هذه الليلة المباركة بإحياء ذكرى عظيمة في نفوس المؤمنين، هي ذكرى منقذ البشرية، ورسول الإنسانية، الذي جاء بمشاعل النور، والبشرى والسرور، حاملاً شعلة الحق اليقين، وتأسيس عقيدة الدين.

أيها السادة، إن الليلة التي بزغ فيها فجر الهداية لهي ليلة ناصعة في جبين الدهر، فهي تستحق الحفاوة والإجلال، والتبجيل والإكرام، فهي ليلة مخبرة عن انطماس جذور الشرك وفروعه، وهدم طاغوتية العبودية لغير الله تعالى، والإخلاص والتوحيد لله وحده لا شريك له.

أيها السادة: أرى أشعة مطلة، وأرى غيثًا منهمرًا بالبركات، يسقي الأرض ويتفرع ماؤه إلى شعاب قلب الجزيرة العربية فتخضر وتثمر، فتصبح بساتين خضراء ذات ثمار يانعة تدلى قطافها. وأرى الشياطين دحرت، والأصنام تكسرت، ومعاقل كسرى تهدمت، وبحيرة ساوى غاصت

إيوان كسرى كالهشيم تحطمت   شرفاته واندك منه بناء

وما هذا السيل الجارف الذي قلع جذور الشرك من عروقها، وجعلها بيضاء نقية، إنه محمد بن عبدالله الإمام الأعظم، والشفيع الأكرم، هذا النور الذي لم يزل ينتقل من الأرحام الطاهرة إلى أن وصل إلى صلب عبدالله، وعبدالله قد اختار بنباهته وفطرته آمنة بنت وهب الفتاة العذراء، صاحبة له وقرينة، فيا نعم الصاحب ويا نعم القرينة، فقضى عبدالله ما قضى، وتوفي عنها وهي حبلى بأكرم الخلق، فحزنت عليه حزنًا عميقًا لا يقدر بمقدار، وما زالت الأيام تتقلب والليالي تمر، وآمنة الفتاة يزداد حملها حتى آن الأوان لأن تضع ذلك الكوكب المضيء، القاصم لأعناق الشرك الهادم لمعابد الأوثان.

خرج هذا النور العظيم في ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول في عام الفيل محفوفًا بيد العناية

الربانية، وتحفه الأملاك السماوية، فنزل من بطن أمه وهو ساجد لخالق البشرية، وكأنه يعلن منذ بدايته حقيقة العبودية والخضوع لله تعالى، وأن السجود لا يكون إلا لله وحده، بهذا السجود يعلن راية التوحيد، ويرفع من شأن الإنسان ويعلي من كرامته بألا يكون عبدًا إلا لله وحده. ودقت طبول التهاني لمولود بني عبد المطلب، ويتيم قريش الذي خبأه القدر، لأن يظهر بعد آلاف السنين بعد طول انتظار وتشوق البشرية إليه، خرج من أصلاب طاهرة، خرج ليحمل مشعل النور والهداية للإنسانية، خرج لطمس معالم الشرك، ويدعو إلى دين المحبة والوئام.

يا له من دين عظيم لا يرضى المداهنة ولا المحاباة، الغني والفقير في الحق سواء، دين يسعى لتحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع، ورد الباطل، وضرب بيد المغتصب، والإعلاء من شأن الإنسان وشأن المرأة التي لم تكن يعرف لها مكانة وشأن، دين جاء لإعزازها وكرامتها وإعطاء حقوقها، كونها المسؤول الأول في بناء المجتمع، فلا يصلح إلا بصلاحها، والعلو من قدرها، دين لا يفرق بين أفراده إلا بالتقوى، دين النور والسرور، والخضوع لله وحده .

بولادة محمد صلى الله عليه وسلم نارت سبل الهداية، فأشرقت من نور محياك، ودخل الناس في دين الله أفواجًا يسترشدون برشدك ويهتدون بهديك، ونزلت عليك معجزة لا ينقطع مداها أبد الآبدين، معجزة أفحمت صناديد البلغاء، وأخرست ألسنة الفصحاء، معجزة القرآن الذي من تمسك به هدي إلى النهج القويم والصراط المستقيم، ومن أعرض عنه هوى إلى أودية الهالكين.

سلامي عليك يا شفيع المذنبين، ويا قائد الغر المحجلين، سلامي عليك يوم ولدت ويوم بعثت ويوم جاهدت، فقطعت الشرك بمنجل الحق، وزرعت بذور المحبة، وغرست أشجار الإيمان، فأصبح مجتمعك بستانًا فيه من كل الطيبات ثمرًا، ومن كل فاكهة شكلاً، ومن كل غرس رائحة وطيبًا، فصلوات الله وسلامه عليك يا إمام الهدى وعلى أصحابك الذين كافحوا وناضلوا لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الإسلام، وصلاة تترى طوال الليالي والأيام.

يا لها من نفحات محمدية عطرية، يشم عبيرها المسلم كلما أهل ربيع الأنوار على أقطارها، يستشعر بها معاني عجيبة من الفضل والنبل وصدق العزيمة والصبر وجميل الوفاء وغالي الفداء، تجمعت كلها في رسول كريم أراد مدبر الكون أن يكون رحمة للعالمين.

هذا مولد خاتم الأنبياء وسيد الشفعاء، يترنم بمولده العرب والمسلمون، بل المنصفون جميعًا، إذ يذكرون به العناية الإلهية التي جعلت من طفل يتيم تتنكر له المراضع، وتنوء عنه المطامع، إنسانًا هو عين الإنسانية رفعها من كبوتها، وأقالها من عثرتها، وبصرّها بكرامتها، ودعاها إلى سبيل ربها، وأرسى سفينتها على مرفأ النجاة، وأتى لها من الله بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، وأزاح عن البصر الغشاوة، وأنار طريق الظلمات، وأصلح شأن الجماعات، وانتزع من الصدور الأحقاد والمشاحنات، وكوَّن من أمة ضعيفة قليلة العدة والعدد أمةً قويةً متماسكة موحدة في القصد والهدف، وتهاب منها بقية الأمم. فقد انطلق النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه حاملاً راية الإسلام ليعلي كلمة الله، وليغرس معاني الرحمة، ويبني حضارة إنسانية حقيقية أساسها العدالة والكرامة، وبهذا أحيا القلوب، وأنقذ المكروب، واستل خبائث الفتن والخطوب. وكان من عجائب هذه الدنيا -دنيا الناس- أن انبسط سلطان الإسلام ودين الإسلام في فترة من الزمن لا تتجاوز ثلثي قرن على ساحات وأقطار ممتدة إلى العالم أجمع، وهذا هو نور الإسلام يسطع في أرض الله، لأنه من عند الله، وبفضل الهمة العالية التي كان يحملها سيد الخلق، والشفقة للإنسانية في أن تعيش في رضى ربها « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧)» الأنبياء.

(انتهى نص الكلمة)

- **كلمة بعنوان (ميلاد أحمد) ألقيت في جامع الفاضل ٨ ربيع الأول ١٤٠٢هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنار الوجود بميلاد أعظم نبي وأفضل مولود، نحمده ونشكره ونصلي ونسلم على معدن الأسرار وكنز الحقائق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد أيها الأخوة الكرام طبتم وطاب مساؤكم، لقد اعتادت وزارة العدل والشؤون الإسلامية أن تحتفل بهذه الليلة المباركة، ليلة ميلاد أحمد صلى الله عليه وسلم، فنشكر الوزارة على إحياء هذه الليلة وغيرها من الذكريات.

سيدي رسول الله.. كلما دار الفلك دورته، وأقبلت نسائم البشرى تهب ارتياحًا لمولدك الشريف، تيقظت المشاعر، وأرهفت الأحاسيس، واشرأبت الأعناق، وأخذت النفوس المؤمنة نشوة الفرح

والسرور، ولا غرو فقد كان ميلادك فاصلاً بين الحق والباطل، وبين الظلمات والنور، بين التوحيد والوثنية، وبين عبادة الله وعبادة الأصنام.

وكان بزوغ فجر ميلادك إيذانًا بانقشاع دياجير الظلم والطغيان، وتحولاً من حماة الرذائل إلى ساحة الفضائل، ومن الوحشية والهمجية والفوضى، إلى النظام والأمن والاستقرار، ومن وأد البنات، إلى أبوة رحيمة، لا تعرف فارقًا بين ذكر وأنثى، فكلاهما من نعم الله يجب الشكر عليهما، والرضا بهما. ففي ميلادك رحمة للعالمين، وقضاء على الفوارق بين الطبقات، واندثار للظلم والطغيان. جئت وقد أنقذت البشرية، وحطمت الوثنية، ودعوت إلى خير، ومحوت كل شر.

كما كنت فخارًا لليتامى، وأنت من عشت يتيمًا، وكنت سلوة للفقراء، وأنت من عشت فقيًرا، مع توسل الدنيا لك بأن تعطيك كل ما تملك، فقد آثرت البساطة والقناعة والرضا. وكنت قدوة للمعذبين والمضطهدين، وأنت من آذتك قريش أشد الإيذاء، فكنت الصابر المحتسب، المؤمن بنصر الله وفرجه.

ولقد اختارته العناية الإلهية من أشرف الأنساب، وأطهر البطون، ولقد كانت طفولته بريئة من اللهو والعبث، منزهة عن العادات القبيحة، والخصال المرذولة الذميمة.

ولقد كانت الأمانة من أخص صفاته، وقد اعترف له بها القريب، والبعيد والعدو والصديق.

سيدي رسول الله، دعوتَ إلى الأخوة الإنسانية المنزهة عن المنافع الشخصية، والأطماع الذاتية، والأثرة والأنانية، دعوت إلى محبة منشؤها الفطرة والغريزة، لا المصلحة والأغراض والغايات، وأنزل عليك ربك ﴿ محكم آياته **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (١٣)**الحجرات.**

فليس القيم بالمال ولا بالجاه، ولا بالقوة والسلطان، فتلك أعراض زائلة، ومتع فانية، وحطام ممزق، ليس له وزن عند الله، فلا فضل إلا بتقوى الله، وخير يقدم للإنسانية يأسو جراحها ويطفئ سعير نارها.

أيها الأخوة الكرام، إن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة لنا في جميع شؤون حياتنا،

ونحن إذ نستذكر يوم مولده، فإن هذه الذكرى علاج من كل داء، وقوة بعد ضعف، وعزة بعد هوان، ولن تكون ذكراك نافعة لنا، إلا إذا تفيأنا ظلال تعاليمك واعتززنا مبادئك الصحيحة بالفعل لا بالقول.

ولنختم كلامنا بأبيات شعر لبعض الفضلاء:

بمولد أحمد عم الهناء	وساد الأمن وانبعث الرجاء
ونادى في رحاب الأرض جهرًا	مناد جاء للكون الضياء
وغردت البلابل لمن حمد	وأعلنت السرور به السماء
وعيدت الملائك والبرايا	وشاركت البرايا الأنبياء
فقل ما شئت فهو نبي عدل	وأعطاه المهيمن ما يشاء
أتى والجاهلية في ظلام	وكل الناس في هذا سواء
أقاموا للدماء قناة ظلم	فكم قُتل الرجال الأبرياء
وكم وقعت حوادث في جناها	تصدع من إقامتها الحياء
على الهمجية الفحشاء شرا	وشابوا ليس لينفعهم دواء
فمن الله بالعدنان طه	سراجًا ضاويًا فيه اهتداء
فكان الفجر شق ظلام ليل	طويل فيه غنى الأغنياء
وأشرفت الضحى من بعد فجر	بتشريع سما فيه القضاء
ففاق الناس من نوم عميق	على عدل به ملئ الفضاء
وقاموا حول طه في صفوف	معززة تسورها الإخاء
فقامت دولة الإسلام فهم	على ضعف يقويها البناء

نـشـاط واجـتـهـاد بل سـبـاق	وإقـدام عـظـيـم بـل فـنـاء
لقـد عرفـوا الجنان لهم جزاءً	فحق لـهم مــن اللّه العــطـاء
رسـول اللّه أنت نـفخت فـيـهـم	شجاعتك التـي فيهـا المضـاء
فقد ربيت جيلاً كان فـــخــرًا	وأجـيــالاً وأنت لـــهـــا اللــواء
ونحن اليـــوم في ذكراك نسمو	ويـرفـعـنـا بـذكـراك الـعـلاء

اللهم وفقنا يا رب لما فيه رضاك، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهم احفظ ولاة أمورنا من شرار خلقك، اللهم من كادنا في وطننا فكده، ومن نصب لنا شبكة الخداع اجعله يا سيدي مصارًا فيها ومساقًا إليها، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (**انتهى نص الكلمة**).

وفي مناسبة أخرى عن المولد بعنوان (عهد جديد بميلاد الحبيب)

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه، والصلاة والسلام على أفضل خلق اللّه، سيدنا محمد بن عبداللّه وعلى آله وصحبه ومن والاه. أيها الإخوة الكرام لقد اعتادت وزارة العدل والشؤون الإسلامية أن تحتفل كل عام بذكرى مولد أشرف الخلق صلى اللّه عليه وسلم، وحقًا إنها لذكرى عظيمة إلى النفوس حبيبة إلى القلوب، فتشكر الوزارة على ذلك.

أيها الإخوة، على حين فترة من الرسل، وفي وسط ظلام دامس، وجهالة عمياء، ووثنية صماء ، وعصبية خرساء، وتقاطع وتناحر، وتنابز وتشاجر، طلع فجر عم نوره شرق الأرض وغربها، وفاح عطره وشذاه.

صلوات اللّه وسلامه عليك يا رسول اللّه يوم أنرت الدنيا، وأضاءت الأرض بمولدك الخالد على الزمان، مشرق البسمات، رائع المحيا، وضاح الجبين.

إن الخواطر لتتحوش الإنسان من كل جانب، وتتكاثر عليه (تكاثر الظباء على خِراش) كما يقولون. وها نحن اليوم في ليلة مولدك الشريف نتفيأ ظلال ذكراك الوارفة، ونستروح نسماتها

اللطاف. ولا عجب فما أنت يا رسول الهدى إلا روح ينبع الحسن في جنباته.

ليس يدري قدر الحبيب سوى الله فـمـاذا تـقـوله الفصحـاء

أي لـفـظ يكـون كفـوًا لمعناه وفي الخـلـق مـالـه أكـفـاء

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله يوم ولدت يتيمًا، فآواك ربك وأغناك عن عطف الأبوة وأنت جنين، وحنان الأمومة التي طويت صحيفتها وأنت صبي، ورعاية جدك عبدالمطلب الذي فجعت فيه وأنت غلام حليم، **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى** (٦) **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى** (٧) **وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى** (٨) (**الضحى**). نعم آواك ربك وهداك وأغناك ورعاك، أنت الذي أدّبك ربك فأحسن تأديبك واصطفاك نبعة فواحة من أرومة إبراهيم وإسماعيل، لتكون خاتم رسله إلى الناس جميعًا و **الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه** (**١٢٤ الأنعام**). **وما أرْسَلناكَ إلا رحمةً للعالمين** (**١٠٧ الأنبياء**).

قد أتـى المصطفى نبيـًا رسولاً طـبـق مـا بـشـرت بـه الأنبيـاء

لجميع الأنام أرسله الله ختامـًا للـرسـل وهـو ابـتـداء

أطلع الله شمسه فـاستنـارت قـبـل كل الأمـاكـن الـبـطـحـاء

مـلأ الـعـالـمين نـورًا ولـولا نـوره لاسـتـحـال الـضـيـاء

سيدي رسول الله، ولدت وقد ظهر الفساد في البر والبحر، وشملت العالم ظلمات بعضها فوق بعض، وبعُد العهد، وتقطعت الأسباب بين السماء والأرض، وبين الله والناس، فالنصرانية في روما، واليهودية في فلسطين، والوثنية في العرب، والمجوسية في فارس، والإباحية في الهند، وما إلى ذلك من الأديان والمذاهب والنحل، مثلت مجتمعة على مسرح الجزيرة العربية، وكانت معاول هدامة، وأوبئة فتاكة بالناس عامة، وبالعرب خاصة، فكان بزوغ فجرك الجديد، بشيرًا بعصر جديد، وعهد سعيد، هو عصر الحرية والإخاء والمساواة، وعهد الخير والحق لا المعاداة. كما كان مولدك الميمون بلسم الشفا، ونورًا وسنى، فعاد للحياة نشاطها، وللأبدان عافيتها، فلا فرق بين سيد ومسود، ولا أبيض وأسود، ولا حاكم ومحكوم.

تلك هي المبادئ التي تمخضت عنها دعوتك الخالدة منذ خمسة عشر قرنًا من الزمان قبل أن تتمحض عنها الثورات الشرقية والغربية وغيرها من الثورات، واستقام هيكلها شامخ الذرى، رفيع العماد، على صخور تلك البقعة الصحراوية بين تهامة ونجد.

وما كانت الأمم الغربية، ولا كان العالم أجمع إلا غارقًا إلى الأذقان في محيط الهمجية والتوحش، يوم أن نهضت وحدك معلنًا في قوة وإيمان، (أن لا إله إلا الله) وذلك هو دستور الحرية والإخاء والمساواة، التي ضربت بها أروع المثل، وهي التي من صميم أعمالك قبل أقوالك، فلا تفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح وكفى. أما الحسب والنسب، وما إليه من فوارق في الطبقات، وامتياز بالطوائف فلا يعول عليه، ولا عبرة به في شريعتك يا رسول الله.

أين كان الشرق والغرب يوم وليتَ العبد الحبشي بلال بن رباح على المدينة، وفيها الصفوة البهاليل من صفوة الأنصار وخيرة المهاجرين؟ بل أين كانت أوروبا وحضارتها، يوم حكمت ليهودي على مسلم، بل حكمت ليهودي على عمر؟ وقد غاظه أن يتطاول اليهودي عليك فَهمّ بتأديبه، فغضبتَ لليهودي لا عليه، وألقيتَ على عمر درسًا رائعًا في العدالة والمساواة.

كم يذكرنا التاريخ بمواقفك الفذة الرائعة، يوم أتتك امرأة من نساء العرب، قتلت أخاها في بدر صبرًا، وأنشدتك تلك الأبيات الرائعة:

أمحمد ولأنت نجل كريمة في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرّك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

فقلت لها بأسلوب النبوة الصحيحة الصريحة: لو وصلنا شعرك لما قتلناه.

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، ما أرق عاطفتك، وما ألينك وقت اللين، وما أشدك وقت الشدة.

سيدي رسول الله، تلك بعض آثارك ومواقفك وأخلاقك، وهي غيض من فيض، وفيه الدليل الساطع، أنك رسول الحرية والإخاء والمساواة بالعمل لا بالكلام.

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، يوم ولدت، ويوم بعثت، ويوم هاجرت، ويوم جاهدت، ويوم انتقلت إلى الرفيق الأعلى، تاركًا أمتك، على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، فقد أديت الأمانة ونصحت الأمة فجزاك الله خير الجزاء.

وهنا تفضل الله على الأمة الإسلامية في شخصية نبيها وحبيبها ومنقذها وشفيعها، محمد صلى الله عليه وسلم. ففرض عليها خمس صلوات في اليوم والليلة بعد مساجلات غَمَره الله فيها بفضله. ثم عاد صلى الله عليه وسلم من هذه الرحلة المباركة السماوية والأرضية إلى مكة فوجد مكان نومه لا يزال دافئًا.

أيها المسلمون، إن في قصة الإسراء والمعراج عظات وعبر فمنها، أن الله سبحانه وصف نبيه بالعبودية حيث قال: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) الإسراء**. وهذا عين التشريف والتعظيم للنبي عليه الصلاة والسلام، فقد خصه بأنه عبد لله، وأي شرف أن ينسبك الله إليه، وتكون عبدًا بين يديه. ومنها أن ندرك عظم فريضة الصلاة حيث امتازت وحدها دون سائر العبادات بأن الله فرضها شفويًا من فوق سبع سماوات، أما بقية العبادات، فقد فرضت في الأرض، وهذه دلالة على أهمية الصلاة ورفعة شأنها، وأنها الصلة الروحية بين العبد وربه. أوليس في إمامة النبي للأنبياء جميعًا إشارة إلى كمال رسالته، وأنهم جميعًا سبقوه مبشرين.

وهي تشير إشارة صريحة إلى أن هذا النبي قد سمت روحه الكريمة، سموًا طغى على الناحية المادية فيه، حتى صار نورًا إلهيًا، ونجمًا سماويًا.

ألم يقل الله :(**لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا**) فهذه الآية نصت على ارتفاع النبي صلى الله عليه وسلم فوق الزمان والمكان، نسأل الله أن يوفقنا لسلوك صراطه المستقيم ويأخذ بأيدينا إلى ساحل النجاة، وأن يعود محل الإسراء والمعراج لأهله، وأن ينقذ الأقصى على أيدي قوم، الله غايتهم، والحق قدوتهم، ولنختتم هذه الكلمة بأبيات شعرية لأحد الفضلاء بهذه المناسبة الكريمة:

قبس من ضوء خير العالمين ... شع في أفق الهدى للناظرين

فاستبان الحق أرباب النهى ... وبه صاروا هداة مهتدين

ملؤوا الآفــاق علمـًا وهــــدىً ومضـوا فيهـا غـزاة فـــاتحـين

وغـدا الظلم صـريعـًا خاسئـًا عنـدما أشـرق عـدل الراشدين

روضة القـرآن ضــــاف ظلهــا وجناهـا قـــد دنــا للقـــاطفين

يــا بنــي الإسلام سعيا نجتني حكمـة الـديـن وإشـراق اليقين

جـل من أســرى بـــه سبحـــانه من حمى البيت مع الروح الأمين

شـهد الأسـرار في ذاك السـرى وأتــى الأقصـى فـأمَّ المــرلـين

فسلِ المحـرابَ عنـه ســاجـدًا في حصـا يـغبطـه الـدر الثمين

وَسلِ المعـراج عـنه راقـــيـــًا فـوق هـام المجد وضــاء الجبين

قـد سمـا للمستوى الأعلـى إلـى قـاب قـوسين بــعــــزم لا يلـين

هـذه الآيات يسـمو سـرّهـــــا تـنشـر الحكمة من أسمح دين

تنشـر الحكمـة مـن أسمـح دين تشرق الدنيــا بـــه في كل حين

أعـرض الجهال عنهـا فـعـمـوا ويحهم لما تـولـــوا معـــرضين

ليت شـعري هل دروا أن السـنــا قد فـرى الظلماء بـالنور المبـين

واقبـلوا مـني ثنــــاءًا عــاطـرًا كأريـج الـزهـر أو كاليــاسمين

وصـلاة الله عــلــى المصطفــى وعلى ا لآل والـصـحـب أجـمعين

(انتهى نص الكلمة)

ثانيًا: كلمات في ليلة القدر

- **كلمة بعنوان (سعادة الإنسانية) قال فيها:**

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمدك اللهم لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أنت رجائي في شدتي ورخائي، وأصلي وأسلم على صفوتك من خلقك، وخاتم رسلك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، صلاةً مستمرةً ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد فلقد اعتادت وزارة العدل والشؤون الإسلامية أن تحتفل في كل عام بهذه الليلة المباركة، ليلة القدر، فتشكر على ذلك.

أيها الإخوة الكرام، ماذا يقول الإنسان عن فضل ليلة القدر، والقرآن الكريم حدثنا عن فضلها ومزيتها وقدرها. ويكفي في شرف ليلة القدر أن الله أنزل فيها أحكم كتاب على أعظم رسول إلى خير أمة أخرجت للناس. وأي فضل وراء ذلك الفضل العظيم الذي غمر الله به عباده، وشمل به خلقه، وطوق بمننه وأياديه أعناق البشرية جمعاء، بعد أن ضربت قوافلها في قيد من الضلالة والهوى، وبعد أن غرقت في بحر لجي من الظلم والظلمات، وكان للقدرة الإلهية، والنظرة الربانية أن تغمر بنورها أرجاء الدنيا، وتنزل بهذا النور العظيم، هذا النور الذي فيه شفاء من كل داء، هذا النور الذي اخترقت أشعته أعماق النفوس، وأغوار القلوب، فتجلو ظلامها، وتبدد ضبابها، وتصل بينها وبين ربّها، فإذا بالضمائر تحيا، وإذا بالأرواح تصفو، وإذا بركب الإنسانية يأخذ طريقه السوي إلى المجد والحضارة، إلى عبادة الله وحده ويسلك سبيله المعبّد إلى الرقي والنهوض، وإذا به يندفع في حماسة بالغة إلى غاية رشيدة، ومنذ ذلك الحين أخذت الإنسانية تجاهد في سبيل حقوقها الضائعة، وما زالت تجاهد وتناضل، حتى وصلت إلى ما تبتغيه من عز وهناء، وكل ذلك بفضل هذا النور الرباني. هذا حبل الله المتين الذي لا تنفصم عراه، وهو الذي حدد علاقة المرء بربه تارة، ومع مجتمعه تارة أخرى، وحق لهذه الليلة المباركة أن تتيه على الزمن كله، بما فيها من ليال وأيام، وحق لله أن يصفها بأنها خير من ألف شهر. ولو أن الإنسانية جاهدت ألف شهر في سبيل حصولها على دستور عادل كالقرآن الكريم ما وصلت إلى ذلك في ألف عام.

ولقد جاهدت الإنسانية آلاف الأعوام، بل آلاف القرون في سبيل حريتها وسعادتها، فلم تحصل إلا على مبادئ ملفقه، ونظمًا مشوهة، وشرائع قاصرة، انتهت بها إلى الانحراف والشذوذ، وإلى المادية المظلمة، التي توجب على الإنسان قتل أخيه. أما الإسلام فقد هيأ لها الطريقة المثلى، ووضع لها الطريق المستقيم، وأباح للإنسان أن يأخذ دينه ودنياه ما يصل به إلى مدارج الرقي والكمال. والإسلام عندما تعرض لليلة القدر لم يذكرها بفضل أكثر من أن القرآن العظيم نزل فيها على أعظم نبي وأكرم رسول. ونحن إذ نحتفل بتلك الليلة إنما نحتفل بميلاد الإنسانية جمعاء، وما كان للإنسان أن يصل إلى ذلك كله لولا نزول القرآن الكريم.

ومن أمعن النظر في شهر رمضان العظيم وجد ظرفًا للمحامد والمكارم، ومهدًا للعبر والعظائم (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (١٨٥) (**البقرة**). ولا نزاع بين العلماء أن ليلة القدر كانت في رمضان، ولا شك أنه الشهر الذي كان المصطفى يشد مئزره، ويوقظ أهله ويحيي لياليه بالعبادة.

وفيه كان يعتكف بغار حراء بمفرده حيث لا أنيس ولا جليس، هذا الغار الذي يصعب الصعود إليه، كان المصطفى يتردد إليه، وينام فيه، ينتظر الدعوة المهيأة له، السماء تدعوه وتقول له: يا محمد تهيأ لحمل ثقيل، لحمل رسالة عظيمة، في هذه الليلة علم الإنسان ما لم يعلم، وبعث الله فيها حبيبه الأكرم، يا لها من ليلة عظيمة نزلت السماء بنورها، من أوجها مخترقة الحجب والأستار، حيث يتعبد النبي المختار. **سيدي يا رسول الله:** كأني أنظر إلى ذاتك الشريفة، وأنت تصعد إلى الجبل حاملاً زادك، أنت في الغار وحدك، عينك إلى السماء، وقلبك الشريف سارح في ميادين العزة والجلال، غارق في بحار العظمة والجبروت. فسلام عليك يوم نزل عليك الأمين جبريل، وسلام عليك يوم ذهبت إلى خديجة وأخبرتها الخبر، سلام عليك يا رسول الله يوم ولدت ويوم بعثت، ويوم هاجرت، ويوم جاهدت، ويوم انتقلت إلى الرفيق الأعلى، وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه.

أيها الإخوة الكرام، إن إخوانكم من رجال فلسطين الأُباة، قد دفعوا ضريبة الدم غالية، وأرخصوا أرواحهم في سبيل الدفاع عن وطنهم وعن أعراضهم، وقفوا أمام عدوهم وجهًا لوجه، غير هيابين، ولا وجلين، فملايين الرحمات على الشهداء منهم وملايين التحيات للأحياء منهم...إلخ.

(انتهى نص الكلمة)

- **كلمة بعنوان (فضل الليالي) :**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أيها الإخوة الكرام.

إن هذه الليلة المباركة التي تحتفل بها وزارة العدل والشؤون الإسلامية لهي ليلة فاضلة، ليلة ناصعة في جبين الدهر. وليس ذلك ببعيد على أن تكون الليالي لها فضلها ومكانتها، كما أن للأيام كذلك . كما وسعت الحكمة الإلهية والإرادة الأزلية أنها لما فاضلت بين الأيام والليالي فاضلت بين بني الإنسان والإنسان، وجعلت هذا فوق هذا، سموًا وارتفاعًا، وهذا تحت هذا نزولاً وانحطاطًا، ثم لا فرق في الزمان والمكان، فالمكان له قيمته والزمان له منزلته ورتبته.

هذا هو القرآن يقص علينا فضل بني الإنسان على البعض الآخر« **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** (٢٥٣) » (البقرة).

وكذلك يقص علينا فضل بعض الأمكنة على بعض، قال جل جلاله :« **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** (٣٦)» **(النور)** . ولا شك أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة هي أشرف المساجد، وبذلك جاء الحديث الشريف« **مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا لا تشد الرحال إلا لثلاثة** ». وحيث أعطيت هذه المزية فتكون العبادة فيها مضاعفة على غيرها. والذي يعنينا من هذا كله هو الشهر العظيم هو شهر رمضان المبارك والذي في خباياه ليلة عظيمة.

إن شهر رمضان هو الشهر الذي نزل فيه النور، ونزل فيه المعجز العظيم، ونزل فيه الهدى، والآيات البينات والواضحات التي ترسم للبشرية طريق الخير والفلاح، وتقودهم إلى أعلى مراتب الكمال وتنفض عنهم غبار الشرك والهمجية.

والحديث عن هذه الليلة حديث شيّق حيث يأخذ بنا إلى إحدى الليالي الساكنة الخالية من الغوغاء. حديث يجعلنا ننظر من الآفاق البعيدة، ننظر هذا الخاشع المتعبد المنفرد يناجي ربه في غار حراء، هذا الغار الذي تشرف بمحمد صلى الله عليه وسلم فازداد شرفه، وعلت رتبته ومنزلته، ولله در القائل:

وفي الغار الشريف وضعت ليلاً	عظامي واتكأت به بطولي
لعلي أن أمس لفرط حبي	مكانًا مسه بدن الرسول
صلاة الله دائمة لـ (طه)	إمام الأنبياء أبي البتول

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله وأنت في الغار وحدك تقدس الخالق وتثني عليه.

كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ينادي مولاه في حالة انفراده أن يسبغ عليه من موائد كرمه، وجزيل نعمه، ويستلهم منه الهدى والرشاد، والتوفيق والسداد، بينما وهو في مناجاته غارقًا في بحار القدس الأسنى، والملكوت الأعلى، نزل عليه الأمين جبريل بوحي السماء وقال له: «**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** » (**العلق**). فخرج صلوات الله وسلامه عليه بعد ذلك إلى قومه بهذا التنزيل الرباني، والمدد الإلهي يخبرهم بما ناله من فضل من الله عليهم.

وعندما أخبرهم بهذا النبأ العظيم، والدين القويم، قاموا وقعدوا وأرغوا وأزبدوا، ورموه بالسحر تارة، وبالكهانة تارة أخرى، فجاء النداء الحق مؤكدًا لنبيه وحبيبه أن محمدًا صادق في رسالته، أمين في تبليغ منهج ربه، فيقول الحق جل جلاله :« **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)»القلم. ويقول الحق جل جلاله** : «**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)** » (**النجم**) .

ويتنزل القرآن ليؤكد هذه الحقيقة، جاء في الحديث الشريف المتصل بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع والأحداث في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله.

وقد جاءت السورة الكريمة مبينة فضل هذه الليلة الكريمة على سائر الليالي « **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)** » **(القدر)**. جاء في تفسير ابن كثير نقلاً عن أبي جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الليلة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل. ومعلوم أن قيام الليل وجهاد العدوّ له منزلة عظمى ومزية كبرى.. أي شيء أعظم من الجهاد في سبيل الله؟! وأي فضيلة أعظم من إحياء الليل بالعبادة والطاعة؟!

ولكن كما قلنا من قبل إن الليالي الفاضلة لها قيمتها ومزيتها، فالليلة التي تنزل فيها ملائكة السماء حقًا إنها ليلة مباركة، وكثرة نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيمًا له.

هي ليلة السلام، وليلة الأمر، أي تستمر الملائكة في التسليم حتى مطلع الفجر، وهي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وجاء في الحديث الشريف الذي رواه جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إني رأيت ليلة القدر فأنسيتُها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرًا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها**».

وقد اختلف أهل العلم في ليلة القدر، هل كانت ليلة القدر للأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

الأول: عن الإمام مالك رحمه الله، أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر، وهذا الذي قاله الإمام مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وعليه وقع الإجماع.

والقول الثاني: إنها كانت في الأمم السابقة كما هي في أمتنا، والله أعلم.

وسميت بليلة القدر، للتعظيم كقوله تعالى: « **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** (٦٧) » **(الزمر)**. والمعنى أنها ذات قدر لنزول القرآن فيها، أو لما يقع فيها من تنزل الملائكة. وهذه الليلة المباركة باقية أبد الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها الإخوة الكرام، إن هذا الحديث عن هذه الليلة حديث يطول شرحه، وكيف لا يكون كذلك، وهي ليلة خير من ألف شهر، وليلة نزول معجزة القرآن، هذه المعجزة التي أعجزت البلغاء، وأبكمت الفصحاء، وحارت فيه عقول ذوي الألباب.

هذه الليلة ليلة الاتصال المطلق بين الأرض وبين الملأ الأعلى، هذه الليلة المباركة حدث فيها ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي دلالاته وفي آثاره وفي حياة البشرية جميعًا، العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري.

ولعل قائلاً يقول لِمِ لَمْ نرَ ليلة القدر رؤية حقيقة؟ ولم كانت في العشر الأواخر من رمضان؟

إن هذه الليلة من مدبر الكائنات الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، حكيم إلى أبعد حدود الحكمة، « **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) » **(الأنبياء)**. لقد أخفى هذه الليلة جل جلاله ليتسابق المتسابقون، ويتنافس المتنافسون، وليزداد المتقون إيمانًا ولينغمسوا في بحار الخير، ويجّدوا ويجتهدوا لترويض النفس إلى أن تصل إلى أعلى مراتب الكمال، ولو حددت ليلة بعينها لانصرفت الأنظار إليها دفعة واحدة، فيفوتها ذلك الثواب الجزيل، والخير العميم المنطوي في سر علم الله، « **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٧) » **(السجدة)**. كما أخفى الله تعالى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وأخفى الصلاة الوسطى، كل ذلك من أجل الاجتهاد، وليتسابق الناس، وهكذا هم المحبون يتلذذون بمناجاة محبوبهم بالطاعات، والهرولة إلى القربات، لا يكلّون ولا يملون، بل يزداد شوقهم كلما تقربوا بالعبادة، و أكثروا منها. وهنا تتكشف معادن الناس، وتعرف المحبين بالطاعة، والمتلذذين بالمناجاة.

وإذا كانت ليلة القدر قد نالت شرفًا بنزول القرآن فيها فكيف بمن نزل القرآن لأجلهم، واحتوته صدورهم وتخلقوا به في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، إنهم به أفضل الخلق وأعلاهم عند الله درجة، وإنا نتساءل: أيكون ذلك الشرف لمن يحملونه فقط كتابًا يتلى، أو لمن اتخذوه بضاعة وتكسبًا أو لمن يجعلونه في الحياة دليلاً ومرشدًا؟ ولقد نعى الله على اليهود فقال في شأنهم «**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**» (**الجمعة:٥**). ومعنى ذلك أنهم حفظوا لفظها ولم يتفهموا معناها ولم يعملوا بمقتضاها. نحن أمة القرآن، ومجد هذه الأمة إنما هو في كتابها، ذلك الكتاب الذي رسم للمسلمين شؤون دنياهم ودينهم.

أيها الإخوة.. إن التاريخ يحدثنا أن أمة الإسلام ارتقت أعلى الرقي وحلّقت فوق رأس الأمم وانتصرت يوم اعتزت بالقرآن، واتخذته إمامها ولاذت به، وحكّمته فيما شجر بينها، ففي عصر الخلفاء الراشدين وفي خلافة الأمويين والعصر الذهبي لخلافة العباسيين حين كان القرآن له في القلوب مكانة، وعلى سلوك الناس وتصرفاتهم سلطانه، كانت هذه الأمة عزيزة الأركان، متينة البنيان، تخطب الدنيا وُدَّها، وترجو رفدها وعونها، وتخشى بأسها وتؤمل خيرها.

إنه -أيها المسلمون- المخرج من كل فتنة والملجأ في كل شدة، والسعادة في تعاليمه لمن أراد السعادة الحقة، إنه ذلك الكتاب الذي استطاع أن يحطم الحواجز، وأن يمزق الحجب عبر التاريخ، جياشًا بكل معاني الحياة، قويًا يأخذ بأيدي الضعفاء حتى يبلغ بهم ذروة المجد ومنتهاه.

جاء عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة بعدي، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا

تنقضي عجائبه (١)».

فإذا كانت ليلة القدر وهي الليلة التي شرفها الله بإنزال هذا الكتاب الكريم فيها فإن حقًا على المسلمين أن يغتنموا لحظاتها، وأن يتحروا ميقاتها، متأسين بهدي أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم، تقول السيدة عائشة زوج الرسول الأعظم كان صلوات الله عليه وسلامه:« إذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله». وهو كناية عن الاجتهاد في الطاعة والإعراض عن الدنيا وملذاتها في تلك الليالي الفاضلة، وفقنا الله وإياكم إلى إحياء تلك الليالي بالعبادة والطاعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(انتهى نص الكلمة)

- **كلمة بعنوان: (نزول القرآن في رمضان):**

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمدك اللهم وأشكرك وأستمد منك العون، أنت رجائي في شدتي ورخائي. وأصلّي وأسلم على صفوة خلقك سيدنا محمد الداعي إلى سبيل الهدى وعلى آله وصحابته بدور الدجى.

أيها الإخوة الكرام،، إن الله جلّت قدرته فاضل بين الأزمنة والأمكنة، فقد يفضل رجل واحد ألف رجل، وقد تفضل ساعة واحدة ألف ساعة، وقد تفضل ليلة ألف ليلة.

ومن أجلّ الليالي وأفضلها هي ليلة القدر، وليلة القدر امتازت بمزايا عظيمة، وعطايا جسيمة، يكفي أنها ليلة خير من ألف شهر، كما نطق بذلك القرآن الكريم، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضلها منها قوله صلى الله عليه وسلم:« من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من

١- اَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ، عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ، عَنِ ابِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ، عَنِ ابْنِ اَخِي الْحَارِثِ، عَنِ الْحَارِثِ، قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَاذَا اُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي اَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ اَلاَ تَرَى اَنَّ اُنَاسًا يَخُوضُونَ فِي الاَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ اَمَا انِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ اَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الاَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الاَلْسِنَةُ وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ اذْ سَمِعَتْهُ اَنْ قَالُوا انَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ اُجِرَ وَمَنْ دَعَا الَيْهِ هُدِيَ الَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

رواه الترمذي(٢٩٠٨) والدارمي(٢/٤٣٥) والبغوي في شرح السنة(١١٨١)فيه الحارث الأعور الجمهور على توهينه، والصحيح أنه موقوف على علي. وأخرجه من طريق أخرى الطبراني في الكبير (٢٠/٨٤/١٦٠) ،وفي مسند الشاميين (٢٢٠٦)وأبو نعيم في الحلية (٥/٢٥٣)من طريق أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك، قاله (الهيثمي في المجمع ٧/١٦٥) (**نقلاً عن موقع ملتقى أهل الحديث)**

ذنبه» وفي رواية: (وما تأخر) وكان من حرصه صلى اللّه عليه وسلم على طاعة ربّه أنه إذا دخل العشر الأواخر من رمضان استعدّ وأخذ الأهبة رجاء أن يصادف ليلة القدر.

ويكفي في فضل ليلة القدر أنها الليلة التي نزل فيها دستور عظيم على رسول عظيم، هذا الدستور الذي فيه حياة الأمة وإنقاذها من ورطة الضلال، وهذا الدستور هو القرآن الكريم، الذي نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ، محفوفًا بعين العناية الربانية إلى السماء الدنيا، بواسطة الأمين جبريل، ثم نزل تدريجيًا على حسب الوقائع والأحداث، والليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن هي ليلة القدر.

ولا نزاع بين العلماء أن هذه الليلة كانت في شهر رمضان قال تعالى: « **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** » (من الآية ١٨٥ من سورة البقرة).

ولا شك أنه هو الشهر الذي كان المصطفى يعتكف فيه بغار حراء بمفرده، حيث لا أنيس ولا جليس، الغار الذي يصعب الصعود إليه، كان المصطفى يتردد إليه وينام فيه، ينتظر الدعوة المهيأة له، السماء تدعوه وتقول له: تهيأ يا محمد لحمل ثقيل، لحمل رسالة عظيمة. في هذه الليلة علم اللّه فيها الإنسان ما لم يعلم، وبعث فيها حبيبه الأكرم، لينقذ الناس من ظلمات الجهل إلى النور، ومن عبادة الوثنية إلى عبادة الواحد الأحد، يا لها من ليلة عظيمة، نزلت السماء بنورها من أوجها مخترقة الحجب، حيث يتعبّد سر الإسراء، ونبيّه المختار. سيدي يا رسول اللّه كأني أنظر إلى ذاتك الشريفة وأنت تصعد إلى الجبل حاملاً زادك معك، أنت في الغار وحدك، عينك إلى السماء، وقلبك الشريف سارحًا في ميادين العزة والجلال غارقًا في بحار العظمة والجبروت، مسبحًا بحمد اللّه ذي الملك والملكوت.

فما راعك إلا والأمين جبريل قد غطك، بقوله: اقرأ، فتقول: ما أنا بقارئ. فسلام عليك يوم ذهبتَ إلى خديجة الزوجة الأمينة، فأخبرتها فتقول لك: «كلا واللّه لا يخزيك اللّه أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق». اللّه أكبر ما أعظم رمضان، وما أجلّ ذكرياته، ذكريات تهز المشاعر، وتوقظ الضمير، وتوصل العبد إلى مراقي الهوى والفلاح. أي ذكرى أعظم من ليلة القدر، وأي ذكرى أعظم من نزول القرآن، هذا

القرآن المعجز الباقي أبد الدهر.

ومن الذكريات التي وقعت في رمضان غزوة بدر الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ حيث تصارع فيها جيشان، جيش حق وجيش باطل، وكانت الغلبة للحق، ولله در الشاعر إذ يصف لنا هذه الذكرى الجليلة:

يوم تبسم فيه الدين وانهملت	على الضلال عيون الشرك بالسجم
أبلى علي به خير البلاء بمـــا	حباه ذو العرش من بأس ومن همم
وجال حمزة بالصمصام يكسوهم	كسأً يفرق منهم كل مـزدحـم
وغادر الصحب والأنصار جمعهـمُ	وليس فيه كمي غيـــر منهـزم
تـقسمتهم يد الهيجاء عادلة	فالهام للبيض والأبدان للرحم
قد أمطرتم سماء الحرب صائبة	بالمشرفية والمران كالــرجـم
فأين ما كان من زهو ومن صلف	وأين ما كان من فخر ومن شمم
جاؤوا وللشر وسم في معاطسهم	فأرغموا الردى في هـذه السيم
من عارض الحق لم تَسلم مقاتله	ومن تعـرض للأخطار لـم ينـم

(انتهى نص الكلمة)

ثالثًا: كلمات في الإسراء والمعراج

- **كلمة بعنوان (التشريف السماوي لأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم) وألقيت في ٢٦ من شهر رجب ١٤٠٠هـ بجامع الفاضل، قال فيها:**

الحمد لله اصطفى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم من سائر الآدمين، واختاره ليكون رسولاً إلى الناس أجمعين، نحمده ونشكره ونصلي صلاة ونسلم وسلامًا على صاحب الإسراء والمعراج، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، صلاة مستمرة ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد أيها الإخوة الكرام، طبتم وطاب مساؤكم وبعد، لقد اعتادت وزارة العدل والشؤون الإسلامية كل عام الاحتفال بإسراء ومعراج أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم، فتشكر على إحياء هذه الذكرى العطرة.

أيها المسلمون.. في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب بزغتْ شمسُ الفضائل على سيد الوجود، ودعته إلى الحضرة الربانية، وأسرت به من بطاح مكة، من البلد الحرام إلى بيت المقدس، ثم عرجتْ به إلى المقام الأسنى، إلى سدرة المنتهى. وها هو القرآن الكريم يقص علينا هذا التشريف السماوي لأشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بقوله: « **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** » (الإسراء:١).

حقًا لقد أكرم الله نبيه وحبيبه محمدًا صلى الله عليه وسلم، حيث بعثه إلى الناس رسولاً، بعثه ليدعوا الناس إلى توحيد الله، وترك عبادة الأصنام والأوثان. ففزعت قريش من هذا الدين الجديد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا هم القائمين بأمر الكعبة، وكانت الكعبة محجَّ العرب جميعًا، وكانت لهم بسبب ذلك الهيبة والسلطان بين القبائل العربية، فرأوا أن انتشار دين محمد، والتفاف الناس حوله سيقضي على هيبتهم وسلطانهم وأرزاقهم.

وقد عز عليهم أن جعل محمدٌ الآلهةَ إلهًا واحدًا، لهذا قاموا في وجهه، للقضاء على دعوته قبل انتشارها، فلم يتركوا وسيلةً من وسائل المقاومة الدنيئة إلا سلكوها.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صبر وصابر، واحتمل هذا كله، لا يتزحزح ولا يتزعزع، ولم يتأخر عن السير في تبليغ رسالته، متمثلاً أمر ربه، معتمدًا على حفظ الله ورعايته له، حيث قال: « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** » (**المائدة: ٧٦**).

ثم سلكوا أسوأ الأساليب وأشدها قسوة في إيذاء المسلمين من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ليصرفوهم عن السير خلف محمد، فما زادهم ذلك إلا إيمانًا وتثبيتًا. وحينئذ رأى المشركون أنهم فشلوا وخذلوا، فلجأوا بعد ذلك إلى المفاوضات أيضًا، خصوصًا بعد أن سمعوا تلكم الكلمة المشهورة والمأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال لعمه أبي طالب: « **والله يا عم لو**

وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وأخيرًا لجأوا إلى سياسة التجويع والحصار ظانين أن هذا يقضي على محمد ودعوته. فقاطعوا بني هاشم، وبني المطلب، واتفقوا على قطع معاملتهم بالبيع والشراء والمصاهرة، ودونوا هذا الاتفاق في صحيفة وضعوها داخل الكعبة وحاصروهم في شعب أبي طالب، حتى يسلموهم محمدًا، ليقتلوه أو ينصرفوا بدافع الجوع فيبقى محمد وحيدًا. واستمروا ثلاث سنين في هذا الحصار حتى أكلوا أوراق الشجر من شدة الجوع.

إلى أن اهتزت مشاعر بعض المشركين بعاطفة القرابة، ونخوة العروبة، فتآمروا على إلغاء الاتفاق وتمزيق الصحيفة، وكان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم أن الأرض قد أكلت الصحيفة ما عدا اسم الله!

صحيفةٌ رسمتْ بالغدرِ أوجههم   والغدر يعلق بالأعراض كالدسم

فكشف الله منها غمة نزلت   بالمؤمنين وربي كاشف الغمم

ثم لم يلبث صلوات الله وسلامه عليه يتحمل الشدائد، ويدعو إلى سبيل ربه حتى فجع بفاجعتين أليمتين في عام واحد، موت عمه أبي طالب، ورفيقة حياته، وزوج صباه، السيدة خديجة، فحزن صلى الله عليه وسلم، حزنًا شديدًا على فراق أعز نصيرين له، وقد سمي هذا العام عام الحزن، فكان يقول: « **إلهي إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي** ». فبينما هو في هذا الكرب العظيم، والحزن الأليم، إذا بفضل الله يتجلى على نبيه، ويدعوه إلى حظيرة قدسه، فيتحفه بمعجزة الإسراء والمعراج، فينقله بجسمه وروحه ليلاً من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالشام، ومعه الأمين جبريل تحفهما رعاية الله وعنايته.

ولقد أحضر الله له الأنبياء السابقين في المسجد الأقصى ليستقبلوه، فصلى بهم رسول الله إمامًا. ثم نصب له المعراج على صخرة بيت المقدس، وعرج به صلى الله عليه وسلم بجسمه وروحه إلى السماء ومعهم الأمين جبريل إلى أن وصل إلى مقام سمع فيه صريف الأقلام ، وشاهد من الأمور

ما لم يشهده بشر قبله، وفي ذلك تكريم وتشريف لنبيه الكريم وحبيبه العظيم. وقد فُرض في تلك الليلة على محمد وعلى أمته ركن عظيم من أركان هذا الدين وهو الصلاة، التي هي الصلة بين العبد وربه، وهي صلة روحانية، فكأن هناك رابطًا قويًا بين فرضية الصلاة في السماء وأدائها في الأرض، فحينما يصلي الإنسان ويضع جبهته على الأرض، ويهمس بالدعاء، فهو يسمو بروحه إلى السماء، فيتعلق بخالقه، ويناجيه، ويرفع عمله إلى السماء. وقد كانت الصلاة قد فرضت خمسين في اليوم والليلة، ولكن شفقة النبي على أمته حملته أن يسأل ربه التخفيف، بعد أن أعلمه سيدنا موسى أن أمتك لن تطيق ذلك، فمازال يتردد هذا النبي المشفق على أمته، بين موسى وبين ربه، حتى جعلها خمسًا، لقد قام النبي بهذه المهمة، وهي التردد على ربه، من أجل أمته ورحمته بهم، ورأفته، هكذا أنت عظيم يا سيدي يا رسول الله، تصنع كل شيء من أجل أمتك، من أجل راحتهم، من أجل ألا تمسهم النار، من أجل أن ينعموا بروح وريحان وجنة نعيم، فلا يقر لك قرار، ولا يهدأ لك بال، إلا أن ترى أمتك في أحسن حال، ما أعظمك يا سيدي يا رسول الله.

(انتهى نص الكلمة)

- **كلمة بعنوان (دعوة السماء) ألقيت في ٢٩ رجب ١٤٠٧هـ**

الحمد لله وأصلي وأسلم على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته ومن والاه.

أما بعد أيها الأخوة الكرام:

تمر الأيام وتعود، تُطوى أناس، وتُولد أناس، ترفع أقوامًا، وتضع آخرين، ويدلهم خطب، ويعقبه ضياء، تمر الأيام سراعًا، وتعود للمسلمين ذكريات، ذكريات في طيّها أسرار وعبر، ومواقف وخبر، ذكريات تتمخض وتقلب الظلام نورًا، والضنك فرحًا وسرورًا، وتجود السماء بما عندها من ألطاف، والأرض بما عليها من ألفاف، فتصبح روابي خضراء، ودوحة غنّاء، تغني فيها الأطيار، وتصدح فيها الأوتار، ومن أعظم الذكريات التي تعود على المسلمين في كل عام، هو الاحتفال بهذه الليلة المباركة، ليلة الإسراء والمعراج بحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

إن الإسراء والمعراج سر من أسرار الكون، ونفحة من نفحات القدرة الإلهية، والعطايا الربانية، تعظيم وتشريف لهذا اليتيم الذي مات أبوه، وهو في بطن أمه، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره، وماتت حبيبته وأم أولاده صاحبة النفوذ والجاه السيدة خديجة، ومات عمّه أبو طالب الذي تحمّل المشاق في سبيل إعزازه ونصرته، ولكن الحياة دائمًا تعاكس العظام، بمواقف وخطوب جسام، وتطوي بين جنباتها الشهد والعلقم، والجرح والبلسم، هذا اليتيم الذي مرت عليه هذه الحوادث الجسام والذي ذاق فيها أصعب المرائر وأخطرها، وأشرس المواقف وأعظمها، تاه بين شعاب مكة وأوديتها، ليتفطر قلبه الشريف على أعز حميم، وأشرف صديق، الصاحبة التي عاشت معه طوال ربع قرن من الزمن، تذبُّ عنه، وتدافع وتكافح وتواسيه، وتقول له الكلمات الحلوة في وقت الشدّة والمحنة، «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل...» هذه المرأة العظيمة يفقدها في وقت حاجته ومحنته، وكذلك عمّه أبو طالب رئيس قومه وعشيرته، لكن الألطاف الإلهية المهيأة لرضيع بني سعد، ويتيم بني هاشم أَبتِ أن تتركه بعد أن فقد أعز ما عنده، هناك نزلت السماء، ودعته الألطاف الإلهية من دثاره، في وقت نومه وراحته، فقالت: قم يا نائم، تهيأ.. هذه الأسلاك الربانية امتدت، وهذا جبريل أمين الوحي مرسول لجنابك، وهذه بطاقة الدعوة بيده، وهذا صاروخ القدرة تحت أمرك، وطوع يدك، أنت ربانه، وجبريل يقوده. حقًا إنها سر من أسرار الله أبت أن تترك محمدًا وحده يهيم في بيداء مكة، من دون أن تدعوه إلى المقام الأسنى.

هيهات يبلغ فهم كنه ما بلغت ... قرباه منه وقد ناجاه من أمم

إلى المسجد الأقصى، إلى المكان الأرضي، إلى النظر إلى الأنبياء، إلى الصلاة بهم، آدم ومن دونه. ثم

وحبذا ليلة الإسراء حين سرى ... ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم

رأى من كرام الرسل طائفةً، فأَمّهم ثم صلى خاشعًا بهم، ثم العروج إلى النور إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى إلى محل سمع فيه صريف الأقلام:

بل حبذا نهضة المعراج حين سما ... به إلى مشهد في العز لم يرم

سما إلى الفلك الأعلى نال به ... قدرًا يجل عن التشبه في العظم

وسار في سُبُحات النور مرتقيًا إلى مدارج أعيت كل معتزم

إي والله سار إلى سبحات النور مرتقيًا مدارج العز، وصل إلى محل:

سِر تحار به الألباب قاصرة ونعمة لم تكن في الدهر كالنعم

فيالها وصلة نال الحبيب بها ما لم ينله من التكريم ذو نسم

فاقت جميع الليالي فهي زاهرة بحسنها كزهور النار في العلم

إي والله إنها ليلة من أعظم الليالي، اختص بها محمد صلى الله عليه وسلم، فنودي من جانب الحق، يا محمد؟ أنت في هذه الليلة ضيفنا، اسرح في جنان الخلد، ارقَ إلى الرفرف الأعلى، جبريل ومن دونه خدمك، وحماة العرش حراسك، أتظن يا محمد أني دعوتك لتشاهد أنوار قدسي فقط، لا ولكن لأصلك لصلة لم أصلها لأحد من الأنبياء قبلك، ألا وهي الصلوات الخمس، طوبى لمن واظب عليها، وقام بواجباتها، وذلك كي تعلم يا محمد أنك مهيأ لرسالة عظيمة، رسالة الحق والنور، رسالة الهداية والرشاد، فرجع المصطفى من الرحلة السماوية التي هي من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، ومن الأرضية من المسجد الحرام إلى الأقصى راجعًا باليمن والهداية.

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، يوم رجعت من مسراك ومعراجك، فكذبك من كذبك، وصدقك من صدقك. سيدي يا رسول الله، إن الاحتفال بإسرائك ومعراجك لهو تاريخ عظيم، لكن هل المسلمون اليوم يعرفون مقدارك، ويعرفون تضحيتك، وجهادك في سبيل الدعوة التي كافحت فيها أعوامًا طوالاً؟ لقد ذقت فيها الشدائد والأهوال، والإغراء بالمتاع والأموال، فهجرك قومك وأبناء عمومتك، فآواك قوم ليسوا من أبناء جلدتك، وفي الأباعد ما يغني عن الرحم. ها أنت يا محمد في شبابك وفي نبوتك وفي رسالتك وفي هجرتك وفي جهادك، فهل نحن قمنا بما أسديت إلينا، أم ظلمنا سنتك؟ إي والله لقد ظلمنا سنتك، فتفرقتْ بنا السبل، وأحاطت بنا الأهواء، فاللهم أنقذنا من تفرق السبل وإحاطة الأهواء، والسلام عليكم ورحمة الله.

(انتهى نص الكلمة)

- **كلمة في جامع الفاتح ٢٧ رجب ١٤١٣هـ.**

بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللهم إني أعوذ بك من عثرة الرأي وكلال الضمير.

الحمد للّه نزه نفسه عن سمات النقص، بقوله :« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » ونشهد أنه الواحد الأحد، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، المحفوف ليلة الإسراء والمعراج بالعناية الربانية. فصلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أيها الإخوة: لقد اعتادت وزارة العدل والشؤون الإسلامية الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج من كل عام، فجزاها اللّه خيرًا. وها نحن في العام الثالث عشر وأربعمائة بعد الألف من هجرة سيد الرسل محمد صلى اللّه عليه وسلم. أيها الإخوة الكرام: تمر السنون والشهور وتعود، وتطوي أناسًا وتلد أناسًا، وترفع أقوامًا، وتضع آخرين، ويدلهم خطب، ويعقبه ضياء، تمر الأيام وتعود للمسلمين ذكريات في طيها أسرار وعبر، ذكريات تتمخض وتقلب الظلام نورًا، وتجود السماء بما عندها من ألطاف فتصبح تلك المحول روابي تغني فيها الأطيار، وتسجع فيها الحمام. ومن أعظم الذكريات التي تعود على المسلمين في كل عام هو الاحتفال بهذه الليلة المباركة، واليوم المبارك هو يوم إسراء ومعراج حضرة الرسول الأعظم، هذه الليلة المباركة التي يقول فيها الشاعر:

كيف ترقى رقيك الأنبيــــاء   يا سماء ما طـاولتهـا سمـــاء

وقال:

سريت من حرم ليلاً إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم

أيها الإخوة: إن هذا الإسراء يعد من أسرار الكون، ونفحة من نفحات القدرة الربانية، تعظيمًا وتشريفًا لهذا اليتيم المهيأ لشرف الرسالة، هذا الذي مات أبوه وهو في بطن أمه، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره، وماتت حبيبته وأم أولاده، مسكن الفؤاد، الطاهرة النقية، صاحبة النفوذ والجاه، ومات أبو طالب الذي تحمل المشاق والصعاب في سبيل إعزازه ونصرته، أبو طالب الذي يقول: واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم، حتى أوسد في التراب دفينًا. لكن الحياة دائمًا تعاكس العظام، وتطوي بين جنباتها الشهد والعلقم، هذا اليتيم الذي مرت عليه هذه الحوادث الجسام،

والذي ذاق منها أصعب المرائر وأخطرها، تاه بين شعاب مكة وأوديتها، يتفطر قلبه الشريف على أعز حميم وصديق، الصاحبة التي عاشت معه طوال ربع قرن من الزمن، تذب عنه، وتكافح وتواسيه، وتقول له كلمات حلوة، كلمات نابعة من قلب ملؤه المحبة، كلمات كانت مثبتات له في دعوته، قالت :«كلا لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم..» ما أعظمها من كلمات ، وما أعظم من وجهت إليه، هذه هي المرأة العظيمة التي وقفت بجانب زوجها الكريم تذود عنه، وتخاطبه بكلمات تسكن من روعه، وتخفف عنه ما ألم به من شدة. ما أعظمك يا خديجة.. عليكِ من الله السلام، حين كان حضنك مأوى لرسول الله، وحينما كانت كلماتك كالماء الرقراق ينساب على الجداول وعلى الأشجار فيزيدها خضرة ونضارة، وجمالاً وعلوًا، وهكذا أنتِ دائمًا يا سيدة النساء، وهكذا يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة. لكن الألطاف الإلهية المهيأة لرضيع بني سعد، ويتيم بني هاشم أَبتْ أن تتركه بعدما فقد أحبته، فقد دعته الألطاف الإلهية من دثاره في وقت نومه وراحته، قالت له يا نائم تهيأ، هذه الأنوار الربانية امتدت، وهذا جبريل أمين الوحي مرسول لجنابك وهذه بطاقة الدعوة بيده، وهذا صاروخ القدرة تحت أمرك، وطوع يدك، أنت ربانه، وجبريل يقوده، حقًا إنها رحلة سرية من أسرار الله تعالى أبت أن تترك محمدًا وحده يسير في بيداء مكة من دون أن تدعوه إلى المقام الأسنى، إلى المسجد الأقصى إلى المكان الذي تجمع فيه أنبياء الله، ينتظرون محمدًا ليؤمهم في الصلاة، ولم يسبق أن أُمّت رسل الله. ثم بعد ذلك إلى محل النور، إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى إلى محل سمع فيه صريف الأقلام.. تمتع يا محمد.. اسرح في جنان الخلد، إلى الرفرف الأعلى، جبريل ومن دونه خدامك، وحماة العرش حراسك.. أتظن يا محمد أني دعوتك لتشاهد أنوار قدسي فحسب؟؟ بل لأهديك هدية لم أهدها لأحد من الأنبياء قبلك، أهديك صلة بيني وبين من قبلها، ألا وهي الصلوات الخمس.. طوبى لمن واظب عليها، وذلك لتعلم يا محمد أنك مهيأ لرسالة عظيمة، رسالة الحق والنور.

أيها الإخوة: ليس المراد من قصة الإسراء والمعراج خطبًا تقال، وقصائد تقرأ وتمدح، إنما هي عظات وعبر، وأسرار من خبايا القدر.. ما الفائدة من إقامة المحافل لذكرى الإسراء والمعراج، ونحن ملنا عن طريق الهدى، ووقعنا في مهاوي الردى. صاحب الإسراء ينادينا إلى الاتحاد

والأئتلاف، ونحن في نفور وتطاحن، صاحب الإسراء ينادينا إلى المجد، إلى القرآن، ونحن دبت بيننا عقارب الوحشة، وأشواك الخصام. وهذا مسرى نبيكم تحت يد أعداء الإنسانية، والمسلمون يبكون صباح مساء على تراثهم ومجدهم التليد.

اللهم حول حال المسلمين إلى أحسن حال، وانصر شباب فلسطين على المغتصبين

شهد الإسراء في ذاك السرى وأتى الأقصى فأمّ المرسلين

فسل المحراب عنه ساج في حصا يغبطه الدر الثمين

وسل المعراج عنه راقيًا فوق هام المجد وضاء الجبين

قد سرى للمستوى الأعلى إلى قاب قوسين بعزم لا يلين

معجزات خالدات نورها تشرف الدنيا به في كل حين

(انتهى نص الكلمة)

- **وقال أيضًا في كلمة أخرى بمناسبة الإسراء والمعراج**

الحمد لله رب العالمين، الأرض قبضته، والسماوات مطويات بيمينه، وأمره بين الكاف والنون، سبحانه إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقدر ولا يقدر عليه، ويجير ولا يجار عليه، ويعدل ولا يعدل عليه، والأمر منه وإليه، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم، وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، فهو أول من تنشق عنه الأرض، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، وهو الذي قال له ربه: « **ولسوف يعطيك ربك فترضى**» وحاشاك يا سيدي يا رسول الله أن ترضى وواحد من أمتك في النار، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، قال تعالى: « **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١)» **(الإسراء)**.

فقد تعود المسلمون في كل عام، وفي مثل هذه الأيام المباركات من شهر رجب، تعودوا أن يحتفلوا بذكرى معجزة الإسراء والمعراج التي أكرم الله بها عبده ونبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، وكلما تحدثنا عن هذه المعجزة نقول ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يؤذى ويضطهد، يصل إلى المسجد الأقصى، حيث الملائكة في رحابه، والأنبياء في استقباله، ليصلي بهم إمامًا، ليكون ذلك أوضح دليل على أن الرسالة المحمدية هي آخر رسالة من السماء، قالتها السماء للأرض، حيث يُعرج برسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى، بل إلى مستوى سَمع فيه صريف الأقلام، بل يزج به في الأنوار الإلهية، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يهتف بقوله: التحيات للّه والصلوات والطيبات للّه، فسمع الجواب من العلى الأعلى: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته. ولم ينسَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه عباد الله الصالحين من الأولياء والأنبياء فأخذ يردد: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وإذا كان أيها المسلمون، الكون كله أرضه وسماؤه ونجومه وكواكبه يهتف بهتاف واحد هو: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه، نعم رأى الرسول ربه، وسمع كلامه، وخلع القبول التي خلعها وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة، فما زال يطلب التخفيف لأمته، حتى جُعلت خمسًا في القول والعمل خمسين في الثواب والأجر، ما يبدل القول لدي، ولا ينسخ كتابي، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة. وعندئذ قال له سيدنا موسى عليه السلام: اهبط باسم اللّه، فنزل صلوات اللّه وسلامه عليه من السموات العلا، إلى المسجد الأقصى، ثم رجع إلى مكة المكرمة، وهكذا أيها المؤمنون، كانت رحلة الإسراء والمعراج المعجزة الخارقة التي أكرم اللّه بها عبده ومصطفاه محمدًا صلى اللّه عليه وسلم، وكانت أوضح دليل على أن اللّه لم يصطف بذاته إلا ذاته صلى اللّه عليه، وكانت اختبارًا ظهر فيه قويُّ الإيمان من ضعيف الإيمان، وصدق اللّه العظيم «**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) (التوبة)**. يا أتباع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، اذكروا يا أمة محمد

المسجد الأقصى الذي فتحه المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستشهد فيه ما يزيد على خمسة وعشرين ألفًا من المسلمين، اذكروا قضيتهم، قضية فلسطين، وإنها ليست قضية مليون، أو ما يزيد شردوا من ديارهم، وإنما هي قضية بلد الإسراء والمعراج، هي قضية التوحيد والإيمان، قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن قضية فلسطين تمر بمحن عصيبة، فقد رأينا دماء أبنائها تسيل في هذه الأيام العصيبة، لا بيد اليهود ولكن بيد المسلمين، الرصاص يوجه الآن إلى صدر العربي المسلم، فكان حقه أن يوجه إلى صدر الصهيونية والاستعمار، ممن سفكوا الدماء، وانتهكوا الأعراض، واستباحوا المقدسات وأحرقوها.

أيها المسلمون: لحساب من تسفك هذه الدماء، لحساب الرحمن أم لحساب الشيطان وأعوانه، لحساب الخالق أو لحساب المخلوق وعملائه؟ إن فلسطين بمسجدها الأقصى أمانة في عنق كل مسلم ومسلمة، في شرق البلاد وغربها، لا فرق بينهم، فالأمانة في أعناقهم، مهما نأت الديار، ما داموا ينطقون بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلى الأمة الإسلامية أن تعمل بجد واجتهاد لإيقاف هذا النزيف الدموي، الذي يسيل بين الإخوة، وأن يدرؤوا هذا التشقق الذي أصيبت به الأمة المسلمة في هذه الأيام، وعلى أولياء أمورنا في العالم العربي والإسلامي أن يقضوا على كل فتنة تريد أن تنال من وحدتنا ومن أمتنا ومن أوطاننا إذا أردتم العزة والكرامة والأمن.

بعده شَرُفَ برحلة الإسراء والمعراج، وأكرمه ما بعده إكرام، ذلكم هو شرف الإسراء، ونعمة المعراج، وأكرمه بكرامة القرب، وحلاوة الوصل، فلقد أراه من آياته الكبرى، وأوقفه على بساطه، وأبهج نفسه بأنوار ذاته، وأمتع شخصه بأنس صفاته، وأدناه منه قاب قوسين أو أدنى، «**ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى**» يا لها من ليلة سعدت بها الدنيا وطابت بها الحياة، وأشرقت بأنوارها جنبات الوجود. أيها المسلمون، أما اليوم فقد لعب الشيطان وعاث في الأرض الفساد في موطن الإسراء والمعراج، والمسلمون يتقاتلون وتسيل دماؤهم فيما بينهم، وموطن الإسراء والمعراج يئن من غاصبه. **إذا أرادت الأمة العربية والإسلامية أن تحتفل بالإسراء والمعراج فليكن احتفالها بتخليصه من أيدي أعدائها، أما الاحتفالات التي تقام في شرق البلاد وغربها، فإنها احتفالات لا معنى لها، ومعراج رسولهم تدنسه الصهيونية، إذا أراد العرب والمسلمون العزة كدينهم وأنفسهم، عليهم أن يزيلوا عن أنفسهم النكسة والعار، الذي لحق بهم**

نتيجة شقاقهم وتفرقهم، وابتعادهم عن مبادئ دينهم الذي يأمر بالاتحاد والاعتصام، مما مكن لأعدائهم السيطرة على مقدراتهم، ألا فليتق ولاة أمورنا ربهم فينا وفي مقدساتنا. إن دماء المسلمين التي تراق بلا ذنب على الساحة العربية، ما هي إلا مؤامرة على كيان شعبنا وأمتنا، وإن عملاء الاستعمار في الوطن العربي هم الذين يقومون بتنفيذ هذا المخطط الاستعماري لإبادة مقومات ديننا وشعبنا. فماذا أنتم فاعلون أيها المسلمون؟ اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ساداتنا في الدين، وارضَ اللهم عن التابعين، وتابعي التابعين بإحسان إلى يوم الدين، اللهم إنا نرفع أيدينا متضرعين إليك أن تقوي إيماننا بك، وأن توحد كلمتنا، وأن ترفع عنا الشقاق، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم نور بصائرنا على الإيمان، اللهم انصرنا على أنفسنا وأعدائنا لاسترداد بيتك المقدس، اللهم احفظ دماء المسلمين، اللهم لا تجعل بأسنا فيما بيننا، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا غائبًا إلا أعدته يا رب العالمين.

(انتهى نص الكلمة)

- **وفي ذكرى الهجرة كانت له كلمة قال فيها:**

الحمد لله والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحابته ومن والاه وبعد،

أيها السادة الكرام طبتم وطاب مساؤكم. إنها لسعادة كبيرة، ونشوة عارمة تعترينا، ونحن نحتفل بذكرى حبيبة إلى القلوب، ذكرى يفوح أريجها، ويتضوع مسكها، هذه الذكرى هي ذكرى هجرة أكرم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرى انتهاء القرن الرابع عشر.

أيها الإخوة الكرام، إن حادث الهجرة، حديث يطول الكلام حوله، ويكفي أن أتناول طرفًا يسيرًا من أسرار هذه الهجرة النبوية، حيث تنطوي في خبايا الهجرة أسرار وعبر. من أولى هذه الأسرار، الأمر الرباني بالتحرك سرًا من مكة أم القرى، بلد الآباء والأجداد، هذه البلدة التي

عاش محمد صلى الله عليه وسلم في ظلها، وقضى فيها طفولته البريئة، وشبابه المتوقد مُزينًا بالخلق العظيم المتكامل، ومحاطًا بسياج الفضيلة، وعليه هالة من التوقير، يكسوه جمال الخلق والخلق، يخرج من بلده تلك، تاركًا فيها أجمل أيامه، وزهرة شبابه، مودعًا أجمل أيامه، يوم ارتبط بخديجة، وأتت له بالأولاد، ويوم أن كان في الغار حيث تجلت له معالم النبوة، يخرج من مكان ألفه وأحبه، إلى بلد آخر لم يكن قد ألفه وعرفه، ولكن حتمًا ستكون مكانًا طيبًا، حيث إنها المكان الذي اختاره الله سبحانه، إنها طيبة حيث المهاجرون والأنصار. يا له من سر عجزت فطاحل القوم عن إدراك أسراره. قريش بقوتها وجبروتها وعزتها، يفلت منها محمد في ليلة حالكة، رغم وقوفهم حول بيته، مشددين الحراسة، ومدججين بأسلحتهم، ونار الحقد والانتقام تملأ صدورهم، متوعدينه بالإهانة والتنكيل، يخرج إليهم، متحصنًا بالله، وبكلماته التي تتردد على شفتيه، ويقينه اللامتناهي أن الله حسبه وحفيظه، عقيدة راسخة، وإيمان قوي، يخرج وينثر التراب على رؤوسهم، ويلقى النوم عليهم، ويخرج من بينهم، تحفه العناية الإلهية، فينتبهوا بعد الفجر ظانين أن محمدًا لا زال نائمًا. لقد خرج النبي عليه الصلاة والسلام، والنائم هو سيدنا علي كرم الله وجهه، متسجيًا ببردته.

والسر الذي بعده، أن النبي صلى الله عليه وسلم يسير إلى غار ثور، رغم ما فيه من الخطورة، مكان منقطع، وهو غار يصعب الصعود إليه، يرتقي إليه أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم مع صديقه وحبيبه أبي بكر الصديق، الذي اختاره أن يكون رفيقه في الدرب من بين الصحابة أجمعين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد لاحظ فيه من الصفات والمزايا ما يجعله أهلاً لهذه الصحبة، وملازمًا له في الرفقة. وقد تجلت معاني الرفقة الطيبة، والمحبة الصادقة، حينما أَبى أبوبكر أن يدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى يستبرئه، خوفًا على هذا الرفيق والرسول العظيم، فالحب الحقيقي، هو الذي يدفع صاحبه إلى هذه التضحية، لقد كان المكان مخيفًا، محفوفًا بالكثير من المخاطر، لكن العناية الإلهية تراقبه وتحميه من تلك المخاوف والمخاطر.

وإذا العناية لا حظتك عيونها نَـمْ فـالمخـاوف كُلُهنّ أمـــــان

ومن أعظم الأسرار نزوله صلى الله عليه وسلم على (أم معبد) ضيفًا، وكانت لديها شاة هزيلة،

فمسح النبي الكريم بيده على ضرعها، فدرت لبنًا، وحلب منه ثانيًا حتى امتلأ الإناء.

فلم تجد لقراه غير ضائنة   قد اقشعرت مراعيها فلم تسم

فما أمرَّ داعيًا يده   حتى استهلت بذي شخبين كالديم

ثم شد مطايا الرحل من عندها، فلحقه (سراقة بن جعشم) المجعول له جعلاً من قريش، إن جاء بمحمد حيًا أو ميتًا، أن يعطى عطاء يسر به. فجاء السر العظيم، من لدن جبار حكيم، فساخت قوائم فرس سراقة في الأرض الصلبة القوية. فصاح يرجو الأمان، فقد علم أن محمدًا رسول الله، مؤيد بجنود الله.

حديث الهجرة مليء بالأخبار والأسرار، وإنما نذكر هنا إشارات طفيفة، ومواقف يسيرة لنأخذ منها العبر والعظات. ويكفينا شرفًا أن الهجرة النبوية كانت مظهرًا من مظاهر الجهاد والتضحية، والبذل والإيثار. وياله من يوم عظيم، يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه أبو بكر، في استقبال بهيج، تتطلع القلوب إليه، في انتظار أحر من الجمر، شوقًا ومحبة إلى هذا الرسول العظيم.

أعظم بمقدمه فخرًا ومنقبة   لمعشر الأوس والأحياء بن جشم

لقد قطعهم الشوق وأنال منهم، ونار الوجد يكاد يقتلهم، ولهيب النار يحرقهم، من حبهم لمحمد العظيم صلى الله عليه وسلم، لم يكن قد رأوا هذا الرسول، لقد ازدحموا على رؤيته، وكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته، وأخبر الأنصار بقدوم رسول الله. ياله من يوم مشهود في التاريخ، وكيف لا يكون مشهودًا والمدينة تتزين لرؤية واستقبال أعظم إنسان. وكأني بكل ما في المدينة من وجود من حي وغير حي، من إنسان وحيوان وطير ونبات وجماد قد تهيأ لاستقبال أعظم وافد، ورؤية أعظم قائد، لاستقبال عظيم هذه الأمة، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يوم أرخ به الإسلام غرته   وأدرك الدين فيه ذروة النجم

أيها الإخوة أختم كلمتي بقصيدة للشيخ عارف عبدالله الحسن بمناسبة هذه الذكرى العطرة.

تمضي القرون وترحل الأعوام وشهورهن كأنهن أيام

والناس في هذا السبات كأنهم هب الرقاد على الجميع فناموا

مضت الليالي العابسات تجهمًا والباسمات كأنهن أحلام

دارت قرون عشرة مع أربع من هجرة الهادي عليه سلام

والمسلمون على القطيعة أجمعوا متفرقين كأنهن آرام

نبذوا لواء الرشد خلف ظهورهم لا دين يحميهم ولا أرحام

(انتهى نص الكلمة)

- **وبمناسبة افتتاح قوة الدفاع ألقى كلمة بحضور الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد، قال فيها:**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رفع منار الحق وقوى أركانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رافع أعلام الحق ومنصب راياته، وعلى آله وصحابته الذين جاهدوا في سبيل إعزاز الحق وإزهاق الباطل، فدانت لهم الدنيا، فساروا وشادوا ورفعوا أعلامهم على نصف الكرة الأرضية، ودكوا معاقل كسرى، وحصون قيصر، فكانوا خير أمة أخرجت للناس. لقد آن للإنسان أن يطرب وتأخذه النشوة عندما يسمع عن ذكر الأبطال الميامين، جنود الحق والإباء، وحق للشاعر أن يصفهم بقوله:

نعالهم أينما حلوا أو ارتحلوا على رؤوس أعاديهم أكاليل

أيها الجنود الأوائل، أيتها الطليعة من شبابنا التي قدمت نفسها لشرف الجندية، وألقت نفسها في أحضانها تتفيأ ظلالها، فاهمة حق الفهم أن للجندية شرفًا لا يعادله شرف، وقد جاء في ذلك الأمر الإلهي، بالنفرة والخفاف فقال تعالى: « **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)** » (التوبة). **أي جندوا أنفسكم، واستعدوا لخوض معارك القتال، شبابًا وشيبًا، «انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)** » **(التوبة).**

والجهاد شرع في سبيل نصرة الحق، ودحض معالم البغض، ودك عروشه، والدفاع عن العقيدة والوطن والنفس والعرض، و لا يكون ذلك إلا بعد الاستعداد الكامل، من الإيمان القوي، والتدريب العسكري الحديث. يحدثنا التاريخ عن شرف الجندية في الإسلام، أنه لما كانت غزوة بدر الكبرى، قال المجاهد الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه الملتفين حوله المتعطشين لخوض المعركة لكي ينالوا شرف الشهادة مع قائده العظيم قال لهم: **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض،** فجاء عُمَيّر بن الُحمَام، وقال: يا رسول الله؟ أجنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخ بخ، واستل سيفه، وأخرج من جيبه تمرات، وأخذ يأكل منها، ثم رمى بها، وقال: إنها لحياة طويلة إن أكلت هذا التمر. وصار يضرب فوق الأعناق، ويضرب كل بنان حتى سقط تحت سنابك الخير قتيلاً شهيدًا، فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:« **إنه من أهل الجنة**».

وكم للإسلام من مفاخر في هذا المضمار العظيم، مضمار الجندية الصحيحة، وكم كان يتهافت الصحابة عندما يسمعون صوت النفير، ملبين متشوقين لأجل أن يندمجوا في سلك الجندية، ولكي يتنافسوا في أيهم يتناول الراية من يد قائده ومرشده، ذلك لأن الراية لا يحملها إلا من عرف نفسه أنه من سباقها، وكم رفع الرسول الراية وعقد الألوية ودفعها إلى أصحابه في جميع الغزوات.

يا صاحب العظمة، ها قد لبّى من خير شبابكم كأول جيش، وأول دفعة قد لبوا دعوة الحق، واندمجوا تحت رايتكم المظفرة، جعلها الله خفاقة عالية، ممتثلين قوله تعالى:« **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** (٦٠) » (**الأنفال**) محبين في تدريبهم وقيامهم بالواجب ما وعدهم به ربهم من جنات وفوز عظيم، وما ينالونه من العناية والتكريم، مقدرين بأنهم « **لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (١٢٠) » (**التوبة**). ألا فليستلموا هذه الراية المباركة من يدكم الميمونة راشدين، وبتوجيهكم السامي مسترشدين، وبخطواتكم الوثابة الموفقة لطرق المعالي والمجد مترسمين، وفي تدريبهم المجد والنهوض والوقوف مع إخوانهم المرابطين، والسهر في مصلحة وطنهم الغالي العزيز، الوطن الذي شربوا من ألبانه، وتفيؤوا في ظلاله، فلنبتهل إلى الله تعالى ضارعين، ولنرفع أكفّنا لبارينا، سائلين أن يجعل هذه الأعلام مقرونة باليمن والمهابة والعظمة والإجلال. كما نطلبه جل وعلى العز والتأييد والتوفيق لحاكم البلاد المعظم، وولي عهده، ولأخويه الكريمين، ولأسرته الموقرة، وللرجال المخلصين العاملين لخير هذه البلاد.

اللهم اشدد أزره، وسدد خطاه، وارعه بعين عنايتك، وامدده بمدد من عندك، إنك سميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله .

(انتهى نص الكلمة)



(الشيخ يوسف يلقي كلمته)

- **كما ألقى كلمة أمام أمير البلاد الشيخ عيسى بن سلمان رحمه الله، في الحرس الوطني أمام الضباط والجنود يوم ٣٠ جمادى الأولى ١٣٨٩هـ وألقيت ثانية محل التدريب العسكري أمام الضباط والجنود في يوم ١٤ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ**

صاحب السمو.. أيها الضباط.. أيها الجنود..

إنه لشرف عظيم أن أقف بينكم مرة ثانية بعد دعاء العلم، في اليوم الذي تخرج فيه أول فوج من

خيرة شبابنا، ويسعدني في هذا اليوم أن أتشرف بمقابلتكم لإلقاء محاضرة عنوانها(**الإسلام وعلاقته بالجندية)**

لا شك أن الإسلام -وهو ديننا الذي نعتنقه ونترسم خطاه- لهو دين عظيم، دين يرفع المرء إلى أعلى درجات الكمال، ويرميه في أحضان العز والمجد، ويحوطه بسياج الإباء والشيم ، ويجعله ينادي ويحدو:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا　　على أي جنب كان في الله مصرعي

ويجعله ينادي:

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى　　وغيري يهوى أن يعيش مخلدًا

وهو الذي يقول:

ونحن أناس لا توسط بيننا　　فنأنف أن يرقى مراتبنا الغير

ما الذي دعاه أن لا يهاب الموت؟ وما الذي دعاه على أي جنب كان في الله مصرعه؟ وما الذي دعاه أن يأنف أن يرقى الغير مراتبه؟ ومن الذي وهب ما حازه الجيش كله، ومن الذي لا يطغيه في أثوابه الغنى، ومن الذي يفضي الطرف عن ساحته الأذيال؟ أليس هو الإسلام وعلاقته بالجندية؟ إن الجندية علاقتها بالإسلام وطيدة ، والإسلام والجندية مرتبطان لا ينفكان، أحدهما صنو الآخر، وكلاهما لا يقطع بدون صاحبه كشقي مقص. وها هو القرآن الكريم في كثير من مواضعه يتعرض للجندية ، ويحث على الانضواء تحت رايتها، وذلك لكي ينال المندمج شرفها:« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» بأي شيء يجاهد؟ يجاهد بالنفس، أليس الجهاد بالنفس جندية محضة؟؟

خطاب من رب السموات، يخاطب الجندية من عباده بأن أفضل تجارة منجية من سخط الله وعذابه، هي الجندية في سبيل الله بالنفس والمال، لا لشيء سوى إعلاء كلمة الحق ، ودحض معالم

الباطل، وأن ذلك أعظم سبب لرضاه، فبه يغفر الذنوب، وبه يدخل العبد جنات نعيمها نعيم دائم لا يزول، وفوق هذا النعيم شيء تحبونه أيها الجنود، وذلك هو نصركم في الجهاد على الأعداء، وفتح قريب لكم، وبشرى من نبيكم إمام الجندية العظمى، بأن جند المؤمنين إذا أخلصوا في أداء الواجب وقاموا بما يحتمه عليهم دينهم ووطنهم، وتحملوا المسؤولية، ونفضوا عن عيونهم غبار الوهن والكسل، واكتحلوا بإثمد الصبر نالوا السعادتين، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

أما سعادة الدنيا فنظرة إخوانهم وذويهم وأبناء وطنهم بعين الفخر والاعتزاز، وأما الآخرة فما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. أعطاهم ملكًا كبيرًا ونعيمًا مقيمًا.. حقًا ما أحلى الجندية الإسلامية، وما أعظم التضحية التي تقوم دفاعًا عن وطنها وعزها وشرفها، بل وما أكرم وأشرف الجندية، وما أجل وأعظم ذلك الدم المسكي الذي يسيل من أجساد الجندية شاهدًا على عدوان الأعداء. هؤلاء الجنود هم أوتاد الأرض، وحصن الوطن وقلاعه وخندقه وسوره، ونور الدنيا وسعادة الحياة، أرواحهم في الدنيا غلابة قوية، قهارة عزيزة، وأجسادهم بعد الاستشهاد في قبورهم حية زكية منطلقة ترفرف كطيور خضر، ودماؤهم عند باريهم غضة طرية، لأنهم ضحوا في سبيل الله بأرواحهم واسترخصوها في سبيله، وبذلوا أنفسهم لمجد أمتهم، وسفكوا دماءهم لرفعة أوطانهم وعزها، وقدموا أجسادهم فداء لشعوبهم وإخوانهم، طلبوا الموت لحياة غيرهم، وطلبوا الشهادة لسعادة مواطنيهم وإخوتهم في الدين، فأي فخر بعد هذا الفخار، وأي شرف بعد بذل الأنفس والأرواح، أليست الجندية الإسلامية التي ارتقت مرقى صعبًا، وتخطت الأسوار والحجب؟؟. ويكفينا فخارًا أن ننوه عن الإسلام وعلاقته بالجندية أنه لما كان في غزوة بدر قال الرسول الأعظم وهو الجندي الأول لأصحابه: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فجاء شاب من خيرة شباب الإسلام وقال: أجنة عرضها السموات والأرض؟ قال : نعم ، قال : بخ بخ ، وأخرج سيفه، وأخرج من جيبه تمرات، وأخذ يأكل منها ثم رمى بها، وقال : إنها لحياة طويلة إن أكلت هذا التمر، وصار يضرب فوق الأعناق ويضر بها كل بنان حتى سقط تحت سنابك(١) المشركين قتيلاً شهيدًا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه من أهل الجنة.

١- السنبك: طرف الحافر وجانباه، وجمعه سنابك، وفي الحديث: أنه كره أن يطلب الرزق في سنابك الأرض، أي أطرافها، كأنه، كره أن يسافر السفر الطويل في طلب المال. لسان العرب٤/ ٧٠١

إخواني: إن الدين الإسلامي دين سلم وسلام، فهو سلم لمن سالمه، وأمن لمن أمّنه، ولكنه يمقت المذلة والهوان، ويدعو أتباعه للوقوف بشتى الوسائل لمن يريد احتلال وطنه ومقدساته. فبأي شيء يقف؟ أليس بالجندية؟ التي نوه الإسلام بشأنها، ومن إرشاداته السامية وتوجيهاته العالية قوله تعالى :« **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)** » **(البقرة)**. ومن أوامره الحكيمة قوله تعالى :« **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** » **(الأنفال:٦١)**.

أيها الإخوة الأعزاء: شرع الإسلام الجندية لمراتب عديدة، ومبادئ سامية نبيلة، منها: دفع العدو، وتأمين عقيدة الإيمان ، بل اعتبر الإسلام سلامة العقيدة لحياة الإنسان، ولذلك جعل الفتنة في الدين والعقيدة أشد ضررًا على المجتمع من القتل، قال تعالى:« **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)** » **(البقرة)**. فالقتال في الإسلام دفاع عن حرية العقيدة، لا هجوم على البلاد، وفتح للعقول المغلقة عن الهوى، وقضاء على جراثيم الشر والفساد.

إخواني: إن الأمم لا تنال حريتها وشرفها، ولا تصل إلى أهدافها ولا تصون كرامتها، إلا بالإيمان يملأ قلبها، ويضيء السبيل أمامها، ويهديها إلى طريق الفوز في جهادها، لتذود عن مبادئها وعقيدتها، ولا يتم ذلك إلا إذا استكملت أسباب القوة.

ووسائل الدفاع، وتسلحت بالإيمان والعلم والأخلاق الفاضلة والتضامن، وتدرعت بالعتاد والعدة، وتحصنت بالصبر والمصابرة، وقابلت الأحداث بالاحتمال والمثابرة، لتضمن النجاح في النضال والكفاح، وتحيا قوية مرهوبة الجانب يخشاها الطامعون، ويتحاشاها المتربصون، وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه شجعانًا جنودًا أشداء أقوياء، نُساكًا، عُبادًا بين يدي الله، وقد وصفهم خالقهم جل وعلا :« **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ**

يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)». (الفتح).

إن دعائم الجندية الصحيحة ثلاث : جهاد بالنفس، وجهاد بالمال ، وجهاد باللسان، فبذل المال لا يقل أهمية عن التضحية بالنفس، بل القرآن الكريم كثيرًا ما يقدم التضحية بالمال في الذكر عند الحث على الجهاد، فالمال عصب الحياة في مهام الأمور. وأما اللسان فهو وسيلة الدعاية التي هي أهم وسائل الإعلان لنصرة الحق وإزهاق الباطل.

أيها الإخوة الأعزاء: إن الكلام عن الإسلام وعلاقته بالجندية طويل، وحسبنا أن نوجز. اسمعوا سيرة الجندية الأولى في الإسلام، الجندية التي حلّقت في سماء الجو، وصارت تخترق الفيافي والغفار، طارت بقلوب ملأى بالإيمان والحكمة، فرفعت راية إسلامية، وأسست – على قلة عددها وعتادها وضعف أسلحتها- ملكًا هائلاً امتد إلى الصين شرقًا، ثم إلى المغرب الأقصى غربًا، ومن قازان شمالاً إلى سرنديب وإسبانيا والبرتغال، وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط وغيرها من المدن العظام في حوالي ثمانين عامًا. هل يتصور عقل عاقل، أم جهل جاهل كيف أن أمة ضعيفة مستضعفة فتحت تلك المدن العظام؟ وكيف قطعت تلك المسافة الشاسعة، وذللت تلك الجبال ووعورة الوديان، وخطر الصحراء. والحال أن العشرة من الرجال كانوا يتراوحون على بعير أهزل في أيام الحر والبرد، ثم يذبحون البعير ويشربون ما دخل تحت الفرث، ومن سرعة جريانهم على تلك الهضاب تمزقت أرجلهم هل تصدقون ذلك أم يعتريكم شك؟؟ نعم صدقوا ولا يعتريكم شك . نعم صدقوا، لأن نور النبوة ساطع في جباههم، والإيمان مخالط قلوبهم، لا يهابون الموت، ولا يعتريهم ذل ولا كسل ولا وهن، غايتهم القصوى أن تكون كلمة الله هي العليا .

كونوا معي سأقص عليكم قصة جندي إسلامي، هذا الجندي اسمه النعمان بن مقرن. أمّره سيدنا عمر رضي الله عنه، على أحد البلدان فكتب إلى عمر يطالبه بعزله عن تلك الإمارة، وذلك لكي يبعثه على جيش المسلمين فامتثل عمر أمره، وأمّره على جيش المسلمين بنهاوند. لله درك يا نعمان لا يهنأ لك العيش إلا تحت ظلال السيوف، وسنابك الخيل، حبًا في إعلاء شأن دينه ودولته. سلامي عليك يا نعمان يوم ارتديت الثوب الأبيض، واضعًا على رأسك قلنسوة بيضاء، ممتطيًا

جوادك، مستعرضًا جيش المسلمين، وواقفًا على كل راية، تذكرهم وتعظهم وتمنيهم بالظفر، رافعًا يديك إلى السماء تقول: اللهم إني أسألك اليوم أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام، واقبضني شهيدًا. إن القلب ليندهش، وإن اللسان لينخرس، عندما يسمع بذكرك يا نعمان، وأنت خارج إلى الميدان، بقلب مملوء بأمرين عظيمين، يقينك بنصر المسلمين في هذه المعركة العظيمة، والشهادة في هذه الساعة التي يحب المرء الفخر فيها. والعجب كل العجب أنه لما صار النعمان شهيد المعركة أتاه أخاه نعيم، فسجاه بثوب، وأخذ الراية وناولها حذيفة حسب وصيته، فأخذها حذيفة وتقدم إلى مكان النعمان، وترك نعيمًا مكانه، وقال: لهم المغيرة بن شعبة: اكتموا مصابه، حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفي أعدائنا، هل يطيب خاطر هذا الأخ البطل نعيمًا أن يرى أخاه قتيلاً مضرجًا بدمه، ويأخذ الراية، ويناولها حذيفة، ويقف مكانه حذيفة، ويسجي أخاه بثوب، ويتركه ويكتم خبر قتله، إن هذا من أعجب المواقف وأغربها، أليست هذه الجندية التي ارتبطت بنور الإسلام وبهدي الإسلام وبرسول الإسلام.

إخواني: لازلنا مع القرآن الكريم في وصفه للجندية، وثنائه على الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، قال تعالى:« **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)** »**(الصف)**. وندب إلى جهاد الأعداء، وحث على أخذ الأهبة والاستعداد ليوم الوغى، ووعد عليه أفضل الجزاء.

حدثنا القائد الأعظم والجندي الأكرم أن الحرب خدعة، وقال: ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيله أو قطرة دمع من خشيته. وسمع رجل عبدالله بن قيس رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الجنة تحت ظلال السيوف، فقال يا أبا موسى: أنت سمعت رسول الله يقوله؟ قال: نعم ، فرجع إلى أصحابه ، فقال أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه، فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتل. وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: اعلم أن عليك عيونًا من الله ترعاك وتراك، فإذا لقيت العدو، فاحرص على الموت لو وهب لك السلامة، ولا تغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد يكون له نورًا يوم القيامة. وخالد هذا من الجندية الإسلامية بمكان، خاض معارك عديدة، ولقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول، خالد هذا تولى القيادة في عهد الخليفة الأول أبي بكر، ولما

انتقل أبو بكر إلى جوار ربه، ولاه عمر الخليفة الثاني القيادةَ وسار فيها بسيرة حسنة، ثم عزله عمر، وولى مكانه أبا عبيدة، فقاتل خالد بعد العزل قتالاً مريرًا، فقيل له كيف تقاتل، وأنت معزول عن القيادة؟ فقال أقاتل: لإعلاء كلمة الحق وليس لعمر. إنها جندية عظيمة، تحملت مرارة العزل وشربت صابه، حقًا إنها جندية تغلبت على الصعاب، وداست عنصر النفس الخبيثة، هكذا يكون الرجال في الأوقات الحرجة، تركوا الأنانية وحطموا قيودها. روي أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك فاته شرف الجندية في غزوة بدر، فلم يزل متحسرًا على ما فاته من شرف الجندية، فظل يقول أول مشهد شهده رسول الله غيبت عنه، فلما كان يوم أحد قال: واها لريح الجنة دون أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في بدنه بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه. هذه الجندية الإسلامية التي تعلقت بآداب الإسلام وأهدافه، وهي عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة، ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس. قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب وقوة الجنان.

وما دمنا وصلنا إلى هنا نتكلم عن الجندية في وقت الحاجة، وما كانت تعمل في ذلك العصر بخلاف هذا العصر الحديث، عصر الذرة والصواريخ وعصر النزول على سطح القمر، يقول أصحاب الحرب أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه، الوجه الأول إذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران، وتكالحت حداق بالأحداق، برز من الصف إلى وسط المعركة يحمل ويكر وينادي هل من مبارز؟ والثاني إذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش ساكن القلب، حاضر اللب لم يخالطه دهش، ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه . والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم، ويقوي قلوب أصحابه بالكلام الجميل، ويشجع نفوسهم، فمن وقع أقامه، ومن وقف حمله، ومن كبه فرسه حماه.

والخلاصة أن الجندية علاقتها بالإسلام وطيدة، وهي التي تظهر ما استبطن من جدارة وضدها.

أيها الإخوة الأعزاء : لا يسعني في هذا المقام إلا أن أدعو لصاحب العظمة بالتوفيق والسداد، ولولي عهده باليمن والخير، كما أدعو الله جل جلاله أن يسدد خطاكم، ويوفقكم لأداء مهمتكم

التي أنتم منوطون بها، وأن تقتدوا بإخوة لكم يسهرون الليالي الطوال في أداء واجبهم المقدس، ينتظرون النصر لتحرير بلادهم من أيدي الصهاينة الباغين المعتدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركات.

(انتهى نص الكلمة)

• القضية الفلسطينية:

اهتم الشيخ الصديقي اهتمامًا بالغًا بالقضية الفلسطينية، وأعطاها أهميتها، وتمثل ذلك في خطبه الأسبوعية، وفي الندوات، وحرصه الشديد على المشاركة في جميع المؤتمرات لنصرة القضية الفلسطينية.

قال في إحدى المناسبات عن قضية فلسطين: (مختصرًا)(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمام المتقين وقائد الغر الميامين وعلى آله وصحبه ومن جاهد في سبيل دينه إلى يوم الدين.

إن فلسطين منذ فجر التاريخ جزء لا يتجزأ من بلاد الشام، فجميع مراجع التاريخ العربي تسمي المنطقة التي تلي وادي النيل شرقًا ديار الشام، وكانت فلسطين جزءًا من هذه البلاد، وقد أشار إليها المؤرخ اليوناني الشهير (ليرودشي) المعروف بأبي التاريخ قبل الميلاد بقرون خمسة، كما أن مؤرخي الحروب الصليبية من الفرنجة سواء منهم من رافق الحملات الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد، أو من أتى بعدها يؤرخون لفلسطين على أنها جزء من بلاد الشام. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم فقال الحق: **«سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) » (الإسراء١) وقال الحق سبحانه: « يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خاسرينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)» (سورة المائدة٢١).**

وقد دعيت مقدسة لأنها طُهّرت من الوثنية وجُعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين، وقد تحدد بين العريش والفرات أي سوريا، وقد جاء في الحديث أن الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات

١- نص كامل الكلمة في أرشيف المكتبة.

وخص فلسطين بالتقديس بقوله: اللهم بارك لنا في شامنا، وفي حديث آخر: «**عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله تعالى يسكنها خيرته من خلقه**».

فلسطين:

لقد أَطلقَ اسمَ فلسطين على الجزء الجنوبي من بلاد الشام، قبيلةُ بولستي التي استولت على غزة وعسقلان وأسدود، ومنذ ذلك الوقت اكتسبت هذه الرقعة الساحلية اسم فلسطين نسبة إلى تلك القبيلة الإيجية التي جلست بها وبرز اسم فلسطين.

عروبة فلسطين:

لقد توالت الموجات العربية على هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي بواحد وثلاثين قرنًا، ثم بعده بأربعة عشر قرنًا متتالية، وسكانها في مجموعهم عرب أقحاح، فوجودهم فيها طيلة خمسة وأربعين قرنًا هو الدليل القاطع على عروبتها، وتوطيد هذه العروبة توطيدًا يطيح بالمزاعم الصهيونية، ويجعل منها أسطورة كاذبة هزيلة، ومن هذا نرى أن حق العرب في فلسطين حق يؤكده التاريخ ويدحض جميع الأباطيل التي حاكتها الدعاية الصهيونية الباطلة فيما يتعلق بحق اليهود التاريخي في فلسطين.

الأمم المتحدة وفلسطين:

لقد عرضت قضية فلسطين على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م فصدر قرار التقسيم الذي قسم فلسطين أولاً إلى ١- دولة عربية. ٢- دولة يهودية. ٣- الأماكن المقدسة، تبقى تحت الانتداب مما أدى إلى رفض هذه القرارات من قبل العرب رفضًا باتًا، لأنه يمثل الغدر ويتنافى مع حقوق الإنسان، وبعد أن اطمأنت بريطانيا على وضع اليهود في فلسطين وسلحتهم وقررت الانسحاب من فلسطين يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ وفورًا أعلن اليهود قيام دولتهم فسارعت الولايات المتحدة بالاعتراف بها بعد دقائق من قيامها، لتبرهن للعالم أن هناك تحالفًا مع الصهيونية والاستعمار، وأنهت حرب فلسطين بتشريد أهل فلسطين إلى البلاد العربية المجاورة فعاشوا في ظروف قاسية، وقد تجاهل العالم حقوق هذا الشعب وكانت قضية فلسطين إذا عرضت على الأمم المتحدة تُعرض على أنها قضية لاجئين..إلخ

- **المبحث الثاني:**

- **مقالاته.**

كتب الشيخ يوسف العديد من المقالات في مجلة الإسلام يوم أن كان طالبًا في الأزهر الشريف، ووقع في أيدينا بعض منها.

- **المقال الأول (مرحبا بهذا الشهر الكريم)**

أهلا وسهلا بهذا الضيف الذي طال انتظارنا إليه، مرحبا بهذا النور المنبثق الذي تطل علينا بركاته، وترفرف علينا راياته، ويعمنا فيه الغيث المنسجم، نور قادم بخيله ورجله، ليغمرنا بما في خباياه المنطوية من السر المكنون، نور مفروض من الذات العلية، نور تتجلى فيه موائد الحق على طلابه، أتعرف ما هو النور المرموز، هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من فوق سبع سماوات، على سيدنا ولد عدنان، شهر تعبد فيه الأمين المأمون، وبغته فيه الوحى المصون، شهر يتعبد فيه العاصون، ويزداد المتقون فيه نورًا وإيمانًا، شهر فيه عشرون ركعة، يتعبد بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، شهر تزداد فيه أواصر المحبة والاخاء، شهر فيه ليلة هي عند الله خير من ألف شهر، طوبى لعبد أدركها ليفوز بالأجر كله.

شهر كان الرسول الكريم يشد مئزره، ويشمر عن ساعد الجد، شهر من قام ليله، وصام نهاره، غفر له ما تقدم من ذنبه، شهر تغل فيه الشياطين، وتفتح فيه أبواب الرحمة والاحسان، شهر فيه نفحات العز والكرامة، شهر تكثر فيه الصدقات على الفقراء والأيتام، ويتذكر الغنيُّ الفقيرَ، شهر إذا دخل يكون الرسول فيه أجود (ما يكون في سائر الاوقات) ولذلك تراه أجود بالخير (من الريح المرسلة)، وكان أكثر نزول جبريل الأمين عليه فيه، ليدارسه القرآن، ليعي تلك الأسرار التي انطوت فيه، شهر يقول الله فيه:(**الصوم لي وأنا أجزي به**) فينبغي للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الاعتناء بهذا الشهر العظيم، كما اعتنى به الصادق المصدوق، وكذلك السلف الكرام، جيلاً بعد جيل، فينبغي أن نراعى حرمته.

لا بد أن نكرم وفادته، ونعلي قدره، فليس من الإكرام أن نزين الطرق، فحسب بل من الإكرام أن نواجه ونستقبل مطالبه، وأن نفتح أبواب الخير في وجهه، ونغلق أبواب الشر دونه، ليكون شاهدًا

لنا لا علينا، لأنه شهر عظيم، نوم الصائم فيه عبادة، والدعاء مقبول فيه، والصمت فيه تسبيح، من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره من غير أن ينقص منه شيء، ولو جرعة ماء. شهر ينبغي أن نغلق فيه أبواب المقاهي والمطاعم ونأخذ على أيدي من لم يراع له حرمة.

شهر توعد الشارع من أفطر فيه بغير عذر أن يكلف يوم القيامة أن يقضي ذلك اليوم الذي عند ربك كألف سنة، شهر ينبغي لصائمة أن يكف عن اللغو، ويتجنب القيل والقال. وأن يبيت النية ليلاً، كما ورد عن بعض العلماء الكرام، وأن يتسحر فيه ولو قليلاً من الطعام، وأن يؤخر السحور ويقدم الفطور كما أتى عن سيد الأنام، وأن يتلو كلام مولاه ليلاً ونهاراً ما ستطاع بحسب الإمكان كل على قدر علمه وحاله. شهر ثبت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع، فهو معلوم من الدين بالضرورة ومنكره كافر. وشرائط وجوبه: الإسلام والبلوغ والعقل والقدرة على الصوم، وفرائضه: النية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وتعمد القيء . وبطلانه: ما وصل عمدًا إلى الجوف أو الرأس والحقنة في أحد السبيلين، والقيء عمدًا، والوطء في الفرج، والإنزال عن مباشرة، والحيض والنفاس، والجنون والردة. وأعذاره منها السفر وعدم الطاقة إما لكبر أو مرض.

وختامًا لي رجاء لدى المسؤولين ولدى كل مؤمن غيور أن يوجه الضال إلى الصراط السوي، ليراعي حرمة هذا الشهر -كما أسفلنا- ومن حرمته على من يعتنق دين الاسلام الحنيف أن يتحاشى الانسان عن مجاهرته بالفطر بين الأزقة والشوارع.

فيؤلمني ما أرى من أن أكثر الناس كأنه لم يمر عليه هذا الشهر فتراه يأكل ويشرب ويدخن بين الناس، وهذا في الواقع لا يؤلمني أنا فحسب بل إنه ليحز في قرارة كل مؤمن أبي، وعليه فأنا أبدي هذه النصيحة أن أحمل الناس على أن يكونوا في ارتباطهم بالمشاعر الدينية ارتباطًا واحدًا، على نسق واحد، ولعل أحد المتجاهرين يبدي عذرًا، فأنا معه بأن المعذور عذر شرعي يبيح له الفطر لكن ليست بهذه الصفة المؤلمة التي تشمئز منها النفس، ثم لا شك أننا مسلمون ونتلمس كل شيء يبيحه الدين نفعله وما يحرمه الدين لا بد أن نجتنبه، وأن نسد في وجه العدو الطريق حتى لا يظهر له رأسًا، أما إذا رآنا غيرنا وانحرفنا عن الطريق فسيظل ساخرًا بنا، لا أراه الله ذلك.

اللهم وفقنا لما فيه رضاك واهد ولاة أمورها وعلماءها وانصرها على من بغى عليها وحول حالها إلى أحسن حال يا كريم.

- **المقال الثاني: (مولد الرحمة والنور)**

ما هذه الأشعة المطلة، وما هذا السلك الكهربائي الذي امتد من قلب الجزيرة جنوبًا وشمالاً غربًا وشرقًا، وما بال الشياطين دحرت، والأصنام تنكست، ومعاقل كسرى تهدمت، وبحيرة ساوة غاضت، وما بال جنات الخلد تزخرفت، وما هذا السيل الجارف الذي قلع أشجار الشرك وجذوره من عروقها، وجعلها بيضاء نقية، ألا هو محمد بن عبدالله الإمام الاعظم، والشفيع الأكرم، هو النور الوضاء الساطع، هو الذي كان نبيًا وآدم منجدل في طيته، هو محمد النبي العربي، الذي لم يزل ينتقل من الأرحام الطاهرة، حتى استقر في صلب عبدالله، ثم اختار عبدالله بنباهته وفضله آمنة بنت وهب، الفتاة العذراء، صاحبة له وقرينة، فيا نعم الصاحب و يا نعم القرينة، فقضى عبدالله منها ما قضى، وتوفى عنها وهي حبلى بأكرم الخلق، فحزنت عليه حزنًا لا يقدر بمقدار، ومازالت الأيام تتقلب، والليالي تمر، وآمنه الفتاة البرة التقية يزداد حملها حتى آن الأوان لأن تضع ذاك الكوكب المضيء الحاسم لأعناق الشرك، الهادم لمعابد الأوثان، خرج في ليلة اثنى عشر من ربيع الأول، في عام الفيل كما عليه المعول، محفوفًا بيد العناية الربانية، تحفه الأملاك السماوية، فنزل من بطن أمة وهو ساجد لخالق البرية.

فدقت طبول التهاني من كل جانب، وصفقت الحور ألحان الكواعب، إكرامًا لهذا المولود العظيم، الذي خبأه القدر، لأن يظهر بعد آلاف السنين، من العواتك الطيبين الطاهرين، خرج لا لتهتز الجنان وتزداد حسنًا فحسب، بل خرج لطمس معالم الشرك وتقطيع جذوره من أصوله، خرج بدين طوى الضلالة والجهالة، خرج بدين يدعو إلى المحبة والوئام، ولتحريم الموؤدة التي كانت العرب تفعلها اعتقادًا منهم أنهم بقتلهم الموؤدة فيه سبب لدفع العار عنهم، فخرج هذا النبي الكريم فحرم عليهم ما كانوا يفعلونه من شرب الخمر والسرقة والزنا وسائر أنواع الموبقات. ياله من دين عظيم لا يرضى التقية في دينه ولا المحاباة، الغنى والفقير في الحق سواء، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، دين يسعى وراء المجتمع الانساني لينقذه من هوة الهلاك إلى النور المضيء، دين الإخلاص والعبادة للواحد المتعال.

بولادتك يا أكرم الخلق نارت سبل الهداية فأشرقت الأرض من نور محياك، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، يسترشدون برشدك، ويهتدون بهديك، ونزلت عليك معجزة لا ينقطع مداها أبد الآبدين، ودهر الداهرين، معجزة أفحمت وأخرست صناديد البلغاء المفوهين، معجزة كالعسل في الحلاوة، أعلاها مثمر وأسفلها مغدق.. سلامي عليك يا شفيع المذنبين، وياقائد الغر المحجلين، سلامي عليك يوم ولدت، ويوم بعثت، ويوم جاهدت، فقطعت الشرك بمنجل مجاهدتك، وزرعت من الحقائق بستانًا يتنزه بين جدرانه المؤمنون الموحدون. صلوات الله وسلامه عليك يا إمام الهدى، وعلى أصحابك الذين كافحوا وناضلوا لإعلاء كلمة الحق، صلاة تترى طول الليالي والأيام.

- المقال الثالث (هجرة الرسول)

سيدي رسول الله إن هجرتك من مكة إلى المدينة المنورة لتعطينا درسًا ثمينًا، يتلى على كر الليالي والأيام، تعطينا كيف يتحمل الإنسان المشاق في سبيل نصر الحق. سيدي رسول الله ربيت يتيمًا في حجر عبد المطلب، ثم في حجر أبي طالب، مرت عليك سنون وأنت تتحمل الآلام، وهل ثنتك عن ما قصدت؟ كلا، فكيف تنثني يا محمد والسلك الإلهي مستسلط على أعماق قلبك الطاهر، لقد تحملتَ كل المخاطر وأنتَ الوحيد. قلتك العشيرة، وما قلاك من أبرزك إلى الوجود، كيف يقليك والكل خلق لأجلك.

ثم إن هجرتك يا أشرف الخلق ليست كتابة تكتب أو قراءة تقرأ فحسب بل هي ذكرى وعبر ذكرى يتوارثها الاجيال جيلاً بعد جيل لما يلمسون من خلالها عدم الصبر على الاضطهاد والضغط على الحرية فمن هنا يعلم الإنسان أن الصبر تحت يد الاستعمار يعتبر إهانة وذلاً، لا سيما النفوس الأبية، لا ترضى أن تكون منقادة لأي ذميل، مرة لك ومرة عليك ولابد من ساحة الفرج. الراية الإسلامية على رؤوسهم لأن الدنيا دول الكرام لما اضطهدوا بمكة فروا بدينهم إلى الحبشة، ثم رجعوا بعد ما رجعت الأمور لهم حتى خفقت الحرية إلى أن يدور الفلك دورته وينقلب الذل عزًا... سيدي رسول الله خرجت من بلادك التي ولدت فيها وولدا آباؤك وأجدادك إلى بلاد أخوالك بني النجار. سلامي عليك يا أشرف الخلق يوم خرجت مع الصديق ليلاً وتركت ابن

عمك مكانك لأن جبريل أتاك وأخبرك ما أضمره القوم من العداوة والترصد لقتلك مررت على القوم وحثيت التراب ولم يشعروا بك ولله در لقائل إذ يقول.

فلم يروك وزاغت عنك أعينهم   فهل ترى الشمس جهرا أعين الحلم

فعندما خرجت اقتفاك فتيان القوم ذو البسالة والشجاعة لأجل أن يقطعوا شأفيك ويستأصلوك، فلجأت إلى غار ثور ومكثت فيه كأنك الدر في البحر أو كالشمس في الغسم، فزاد الغار شرفًا عظيمًا، لأن فيه ضيفًا كريمًا، وأتاك الكفار من كل حدب وأحدقوا بالغار لكنه هالهم أمر عظيم، وهو أن العنكبوت نسجت درعًا حصينًا على فم الغار ولله در الشاعر إذ يقول.

وسجف العنكبوت الغار مختفيا   بخيمة حاكها من أبدع الخيم

قد شد أطنابها فاستحكمت ورست   بالأرض لكنها قامت بلا دِعَم

كأنها سابرىٌ حاكه لَبِقٌ   بأرض سابور في بحبوحة العجم

وارت فم الغار عن عين تُلمُ به   فصار يحكى خفاء وجه مُلتثم

وأعجب من ذلك معجزة عظيمة وهو بيض الحمام وعشه في لمح البصر لله دركما أيتها الحمامتان، ودر الشاعر إذ يقول فيكما.

فما ستقر به حتى تبوأه   من الحمائم زوج بارع الرنم

بني به عشه واحتله سكنا   يأوي إليه غداة الريح والرهم

الفان ما جمع المقدار بينهما   إلا لسر بصدر الغار مكتتم

كلاهما ديد بان فوق مربأة   يرعى المسالك من بعد ولم ينم

فمكث الرسول في الغار ثلاثة أيام حتى سكنت الأرجاف، واحترقت الأكباد بنار اليأس، ثم أوحى الرسول إلى صديقة بإعداد الرحيل فنعم الصديق ونعم الحبيب فخرجا قاصدين طيبة وفي طريقهما نزل على أم معبد الخزاعية فأكرمت وفادتهما ثم استقل ركابه هو وصديقه من عندها

مجدين السير، فبينما هما يطويان البعيد في الصحراء التي ليس فيها أنيس أدركهما سراقة بن مالك، كالأسد مكشرًا عن أنيابه، فعندما دنا من حضرته صلى الله عليه وسلم ساخ الجواد به في حفرة عميقة فخر منكسًا على الأذقان، وصاح يا محمد الأمان الأمان، فأتاه الأمان من حضرته العلية.. ما أجهلك يا سراقة، إن الطمع هو الذي أرداك وجعلك تتحمل المفاوز والأخطار هل اتكلت على شجاعتك وقوتك.

فكيف يبلغ أمــرًا دونــه وزر　　من العنــايــة لم يبلغه ذو نسم

وأنتم يا معشر قريش، يامن جعلتم جعلاً لسراقة، إذا أتاكم برأس محمد ما هذه العقول السخيفة التي يبلغ فيها العناد منتهاه.

ولو درت أنها فــيما تحــالـــه　　مخذولة لم تسم في مرتع وخم

ولم يزل سائرًا حتى قدم على طيبة، ففرح بقدومه الأنصار والمهاجرون، فخرج النساء والعذارى يضربن الدفوف وينشدن الأشعار إكرامًا لحضوره صلى الله عليه وسلم.. سلامي عليكم أيها الأنصار، لقد آويتم نبيًا عظيمًا، وآثرتم الغير على أنفسكم فنزل فيكم القرآن يتلى صبحًا ومساء. « **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)** » (**الحشر**). ولله در الشاعر إذ يقول فيكم.

فأستكملت بهم الدنيا نضارتها　　وأصبح الدين في جمع بهم تمم

قوم أقروا عماد الحق واصطلموا　　ببأسهم كل جــبـار مصــطــلــم

- المقال الرابع: صفحة من تراث المجد السابق

كلما دار في خلدي وأراد أن ينطق به لساني ويكتبه قلمي عن تلك الصفحة تأخذني هزة ورعشة، أما الهزة فلما أرى كيف انطوت الصحيفة؟ وكيف عَدَتْ عليها تلك الدود الضئيلة فمخرتها؟ وأما الرعشة فهو أني لم أقدر على تسجيل ذاك المجد الغابر، حيث إني لست من الذين لهم الباع

الأطول في هذا المضمار. وبما أني أتصفح بطون التواريخ، وأحب أن أنغمس فيها، أجد نفسي لا تطيق الإنغماس، لما أرى من حالة تدهشني من حالة تلك الأبطال الذين أفناهم الدهر، وأكل شبابهم وصيّرهم في خبر كان، نعم.. وإن صاروا في خبر كان، فذكراهم مسطور في الدواوين والدفاتر، محفوظ في القلب، متلو باللسان. إنك لتدهش -أيها القارئ- عندما تسمع عن حالة هؤلاء الأبطال الذين حلقوا في سماء الجو، وطاروا بقلوب ملأى من الإيمان والحكمة، فرفعوا راية إسلامية، وأسّسوا على قلة عددهم وعددهم، وضعف أسلحتهم ومجاعتهم، مُلكاً هائلاً امتد إلى (الصين) شرقًا، ثم إلى الغرب الأقصى غربًا، ومن (قازان) شمالاً إلى (سرنديب وأسبانيا والبرتقال)، وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط، (قبرص وكريت وصقلية وسردنيا وجزر البليار) وغيرها من المدن العظام، في حوالي ثمانين عامًا. هل يتصور عقل عاقل أو يجهله جهل جاهل بأن أمة ضعيفة ذات فقر ومجاعة -مع قلة سلاحها- كيف فتحت تلك المدن العظام؟ وكيف قطعت تلك المسافة الشاسعة؟ ورتقت تلك الجبال الوعرة؟ والحال أن العشرة من الرجال يتراوحون على بعير أهزل في أيام الحر والبرد القاصف، حتى أنهم من شدة ما يعتريهم من الجوع والعطش يذبحون بعيرهم ويشربون ما دخل تحت الفرث، ومن سرعة جريانهم على تلك الهضاب والتلال تمزقت أرجلهم، هل تصدق بذلك أو يعتريك شك؟ أظنك تصدق ثم تصدق.. بأن شمس النبوة ساطعة في جباهم، لا يهابون الموت، ولا يعتريهم ذل ولا كسل، مقصدهم أن تكون كلمة الله هي العليا، لا مقصدهم رياء ولا سمعة، ألا ترى إلى (النعمان بن مقرن) الصحابي الجليل الذي أمره عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين على (كسكر)، فكتب إلى عمران يعزله عن إمارة(كسكر)، ويبعثه إلى جيش من المسلمين، فأمّره (عمر) على جيش المسلمين (بنهاوند). إن هذا الرجل الذي لا يهنأ له العيش إلا تحت ظلال السيوف، وسنابك الخيل، حباً في إعلاء شأن دينه ودولته. فكيف لو رأيت -أيها الحبيب- هذا الرجل مرتديًا ثوبًا أبيض، واضعًا على رأسه قلنسوة بيضاء، ممتطيًا جواده، مستعرضًا جيش المسلمين، وواقفًا على كل راية، يذكرهم ويحرضهم، ويمنيهم الظفر، رافعًا يديه إلى السماء، ويقول: اللهم أسالك اليوم أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام، واقبضني شهيدًا. إنك لتندهش عندما تسمع بهذا البطل العظيم (النعمان بن مقرن) وهو خارج إلى ميدان القتال بقلب مملوء بأمرين عظيمين، يقينه بنصر

المسلمين في هذه المعركة العظيمة، واعتقاده بأنه سيكون شهيدًا بعد تمام النصر. ياله من رجل عظيم، إيمانه كالجبل الشامخ، يتمنى الشهادة في هذه الساعة التي يحب المرء الفخر فيها، ولا يجوز في غيرها الخيلاء، إذ قد صح عن الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم لما رأى في أحدى المعارك أحد أبطال المسلمين، وهو (دجانة الأنصاري) يمشي مشية الخيلاء بعد أن قتل خلقًا كثيرًا من المشركين، فقال له عليه الصلاة والسلام: " هذه مشية لا يغفر لصاحبها إلا في هذا الموقف " . وأعجب من ذلك أنه لما صار شهيد المعركة أتاه أخاه (نعيم) فسجاه بثوب، وأخذ الراية، وناولها (حذيفة) حسب وصيته، فأخذها (حذيفة) وتقدم إلى مكان (النعمان)، وترك نعيمًا مكانه، وقال لهم المغيرة بن شعبة داهية زمانه: اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفي أعدائنا لئلا يهن الناس. هل يطيب خاطر–هذا الأخ البطل نعيمًا أن يرى أخاه قتيلاً مضرجًا بدمه، ويأخذ الراية، ويناولها حذيفة، ويقف مكان حذيفة، ويقاتل ويسجي أخاه بثوب، ويتركه ويكتم خبر قتله. إن هذا من أعجب العجاب.

فيحق لنا معشر العروبة أن نفتخر بهؤلاء الرجال، الذين شيّدوا هذه الممالك، وثلوا عروش الأكاسر، وأن لا ننساهم مدى الأبد، وأن نعلم أولادنا حبهم، ليكون حبُهم راسخاً في قلوبهم، وأن نكتب ذكراهم على صفحات جباهنا بماء النضار. هل يصدقه ذهنك أن ثلاثين ألفاً، قليلي الأسلحة، ضعاف الأجسام، كبار القلوب يقاتلون جيشاً مؤلفًا من مائة وخمسين ألف مقاتل؟ نعم يصدقه ذهنك ويدخل في روعك أن ثلاثين ألف يقاتل ذلك العدد، بقلب مملوء –نورًا وإيمانًا– يحبون أن يعلوا منار الإسلام، وأن يستشهدوا لينالوا عزًا عظيمًا في دار الحق والجزاء.

ولعلك تندهش عندما تسمع –أيها القارئ– بذكرى خالد بن الوليد عندما فتح اليرموك، بجيش مؤلف من ٣٦ ألف مقاتل أمام ٢٠٠ ألف مقاتل من جنود الرومان، أي نفس تقاتل؟ وأي جنان لم ينخلع في ذلك الموقف الرهيب الذي لم تسمع فيه إلا صهيل خيل، وصليل سيف، ودرع وجَلَبة وضوضاء. أولئك الرومان أولو البأس والشدة، والمسلمون أمامهم لا يزيدون على ٣٦ ألفًا من المجاهدين، لكن هذه القلة قلوبهم ملأى من الجرأة والإقدام، ولا يخافون من العدو وإن كثر. يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن أجسامهم ليست إلا ثيابًا لأرواحهم الطاهرة، وقد عاهدوا الله تعالى أن تعيش نفوسهم في الدنيا عزيزة كريمة، أو تنتقل هذه النفس إلى جنة عرضها السموات

والأرض أعدت للمتقين.. آه لو كنتَ في هذه المعركة.. لترى انهزام الرومان وقائدهم (تيودور) أخا هرقل امبراطور الرومان، وكان هرقل وقتئذ بـ (أورشليم) فعندما علم هرقل بانكسار جنوده فر إلى (حمص) ثم إلى (أورقة) ثم رحل عن (سورية) سنة ١٦ للهجرة، بعد أن قبضت تلك الممالك السورية العرب. فكيف لو رأيت هرقل واقفاً على إحدى الصخور يقول السلام عليك يا (سورية) سلاماً لا اجتماع بعده. ولعلك تنزعج وتضطرب عندما كنت كاتباً متفننًا في إحدى الدوائر، إذ حبس عليك أحد حسادك، فعزلت عن هذه الوظيفة، والحال إنك خدمتها خدمة تامة، لأجل أغراض دنياك. أجبني؟ كيف يتكدر خاطرك ويصيبك ضجر وملل؟.

ولعلك تصفحت أيها الخل السعيد بطون التواريخ فوجدت عزل عمر بن الخطاب لخالد، والحال أن عمر استدعاه بعد عزله، فقال له: ما عزلتُك لريبة فيك، ولكن افتتن بك الناس، فخفتُ أن تفتن بالناس. وانظر لقول خالد بعد عزله، لما قالوا له: كيف تجد في فتح الشام، والفتح منسوب إلى أبي عبيدة لا لك، وقد صنع عمر بك ذلك؟ فقال إنما أفتح الشام لله لا لعمر. ثم قال: لا أبالي أن يقال الفاتح أبو عبيدة أم خالد، إنما يهمني فتح الشام وقد فتحت.

نعم هكذا الرجال وإلا فلا، ولعلك أيضًا تتعجب من قول خالد في مرضه الذي مات به: قد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وقد شهدتُ مائة زحف، وما في بدني موضع شبر إلا وبه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا ذا أموت على فراشي، فلا نامت عين الجبناء، ومالي من عمل أرجى من لا إله إلا الله، وأنا متترس بها. من هم هؤلاء الرجال الذي تكلمنا عنهم؟ كيف حالتهم؟ وكيف حالهم عندما بزغ نور الفجر الإلهي محمد صلى الله عليه وسلم وبث أسلاكًا كهربائية، في أعماق أولئك الرجال، الذين دوخوا ممالك الفرس، وثلوا عروش الرومان، إنهم والله الرجال الذي يسجلهم التاريخ لنا ويذكرهم مدى الأبد، ولعله بلغك قول الشاعر المغلق -لا طاغور وأمثاله-

نعالهم إينما حلـوا وارتحـلـوا على رؤوس أعاديـهـم أكالـيل

وهم الرجال الذين ما عرفوا اللهو في نواديهم، ولا عُرف التشدد في كلامهم، هؤلاء مهدوا لقيام ممالك على أيديهم.

والله وتالله، إنه ليصيبك الاندهاش من رجال لم يدخلوا مدرسة عسكرية، ولم يتعلموا نظام

الحرب الحديثة وتطويره، ولم يكن عندهم طبل ولا بوق، ارتقوا على تلك الجبال التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم، لا طائرة عندهم ولا قطار ولا دبابة ولا مدفع ولا رشاش، نعم.. طائرهم خيلهم، وقطارهم إبلهم، ومدفعهم سيفهم، وبوقهم الله أكبر.. الله أكبر.. سلامي على أولئك الرجال الذين عناهم الشاعر بقوله:

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا — من شدة الحزم لا من شدة الحزم

غض الليالي ولا يدرون عدتها — ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

سلامي على تلك الأجساد التي لا تبالي الموت في سبيل المجد.. اسمع قول الأبطال المسلمين لما قرب إلى القتل

فلست أبالي حين أقتل مسلماً — على أي جنب كان في لله مصرعي

ومن هنا وقف القلم وجمدت القريحة.

(٢)

صفحة من تراث المجد السابق

كلما دار في خلدي وأراد ان ينطق به لساني ويكتبه قلمي عن تلك الصفحة تأخذني هزة ورعشة اما الهزة فلما أرى كيف انطوت تلك الصحيفة وكيف عشت عليها تلك الدودة الضئيلة فخرقتها: واما الرعشة فهو اني لم أقدر على تسجيل ذلك المجد الغابر بحيث اني لست من الذين لهم الباع الاطول في هذا المضمار وبما اني أتصفح بطون التواريخ وأحب ان انغمس فيها أجد نفسي لا اطيق الانغماس لما أرى من حالة تدهشني من حالة تلك الأبطال الذين أفناهم الدهر وأكل شبابهم وصيرهم في خبر كان نعم وان صاروا في خبر كان فذكراهم مسطور في الدواوين والدفاتر محفوظ في القلب متلو باللسان انك لتندهش ايها القارئ عندما تسمع عن حالة هؤلاء الابطال الذين حلقوا في سماء المجد وطاروا بقلوب ملأى من الايمان والحكمة فرفعوا راية اسلامية واسسوا على قلة عددهم وعددهم وضعف اسلحتهم ومجاعتهم ملكا هائلا امتد الى الصين شرقا ثم الى المغرب الأقصى غربا ومن قازان شمالا الى سرنديب واسبانيا والبرتغال وجميع جزر البحر الابيض المتوسط قبرص وكريت وصقلية وسردينيا وجزر البليار وغيرها من المدن العظام في حوالي ثمانون عاما هل يتصوره عقل عاقل او يحمله جهل جاهل بان امة ضعيفة ذات فقر ومجاعة مع قلة سلاحها كيف فتحت تلك المدن العظام وكيف قطعت تلك الفلوات الشاسعة وترقت تلك الجبال الوعرة والحال ان العشرة من الرجال يتراوحون على بعير أهزل في ايام الحر والبرد القاصف حتى انهم من شدة ما يعتريهم من الجوع والعطش يذبحون بعيرهم ويشربون ما دخل تحت الفرث ومن سرعة جريانهم على تلك الهضاب والتلال تمزقت أرجلهم هل تصدق بذلك او يعتريك شك أظنك تصدق ثم تصدق بان شمس النبوة ساطعة في جباههم لا يهابون الموت ولا يعتريهم ذل ولا كسل مقصدهم ان تكون كلمة الله هي العليا لا مقصدهم رياء ولا سمعة الا ترى الى النعمان بن مقرن الصحابي الجليل الذي امره عمر بن الخطاب ثاني خلفاء الراشدين على كسكر فكتب الى عمر ان يعزله عن امارة كسكر ويبعثه الى الجيش من المسلمين فامره عمر على جيش المسلمين بنهاوند ان هذا الرجل الذي لا يهنأ له العيش الا تحت ظلال السيوف وسنابك الخيل حبا واعلاء شأن دينه ودولته فكيف لو رأيت ايها الحبيب هذا الرجل مرتديا ثوبا ابيض واضعا على رأسه قلنسوة بيضاء ممتطيا جواده مستعرضا جيش المسلمين وواقفا على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر رافعا يديه الى السماء ويقول اللهم اني اسألك اليوم ان تقر عيني بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا انك لتندهش عندما تسمع بهذا البطل العظيم النعمان بن مقرن وهو خارج الى ميدان القتال بقلب مملوء بأمرين عظيمين بغيته بنصر المسلمين في هذه المعركة العظيمة واعتقاده بانه سيكون شهيدا بعد تمام النصر يا له من رجل عظيم ايمانه كالجبل الشامخ يتمنى الشهادة في هذه الساعة التي يحاولها الغر فيها ولا يجوز في غيرها الخلاء اذ قد صح عن [illegible]

(المقال بخط الشيخ)

- **المبحث الثالث:**

- فتاواه

اطلعت على بعض من فتاويه، حيث إنه لم يحتفظ بنسخ منها، بل كان يكتبها ويرسلها إلى أصحابها، كما أن غالب فتاويه كانت متعلقة بالأحوال الشخصية من نكاح وطلاق ونفقة وغيرها، وفي هذا المبحث سوف نذكر بعضًا من هذه الفتاوى التي وقعت تحت بصري.

- فتوى عن النذر: وقد سئل عن هذا السؤال حين انتشر في الستينيات من القرن المنصرم ذهاب النساء إلى جزيرة النبيه صالح، والنذر أمام القبر، والتقرب إليه، ولبس الملابس الخضراء، ولف الخيوط على الأيادي وغيرها من الأمور المنكرة.

- مسألة: امرأة نذرت إن رزقها الله ولدًا أن تذهب مع نساء بلدها إلى الجزيرة حيث قبر ومسجد النبيه صالح، وقد سئل بعض أهل العلم عن ذلك فأجاب بأنه ما دامت المرأة نذرت إلى المكان المعين فيلزمها الذهاب إلى المكان نفسه، وإلا سيؤذيها صاحب القبر.

فأجاب رحمه الله بقوله:

إن النذر قربة من القربات، فإذا نذر الإنسان بعمل شيء فيجب عليه الوفاء به، فإن قال الرجل أو المرأة إن شفى الله مريضي أو رزقت بولد لأصومن شهرًا مثلاً، أو أتصدق على الفقراء فيلزمه ذلك، فهو قد ألزم نفسه بشيء لم يجب عليه بأصل الشرع.

أما النذر للقبور، كقبر النبيه صالح، أو صعصعة، أو غيرهما من القبور فلا يلزمه أداء ذلك، لأن هذا النوع من النذر، كما قال صاحب الأضواء، هو دخيل على الإسلام، ولا شك أن الإسلام قد حارب هذه الخرافات المضللة التي ما أنزل الله بها من سلطان. وقد يصل الأمر إلى أن تلزم المرأة زوجها بأن يقوم بأداء هذا النذر، وإلا تمردت عليه، وخرجت عن طاعته، وقد تكلفه بشراء أشياء باهظة جدًا لا يستطيع الزوج توفيرها، فتثقل كاهله بأمور ما أنزل الله بها

من سلطان. والإسلام دين جاء بالحنفية السمحة، وجاء محاربًا لما كانت عليه الجاهلية من بدع وخرافات، وكان من عادات الجاهلية تعظيم القبور والنذر أمامها والعبادة عندها. فجاء الإسلام وأبطل تلك العادات، وحارب تلك المنكرات، فصاحب القبر لا يملك شيئًا فهو إنسان مسكين قدم على ربه، فهو بحاجة إلى الدعوة، وليس بحاجة إلى هذا النذر. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الثبات على دينه، إنه سميع مجيب.(انتهى نص الإجابة).

- **مسألة في تعدد الجُمع:**

نجيب على السؤال المرفوع إلينا من قبل صاحب العظمة في مسألة ما إذا هدم الجامع الذي تقام فيه الجمعة – للتصليح – وأقيمت الصلاة في مساجد متعددة، وقد صلح الجامع المذكور لإقامة الجمعة، ما مصير المساجد الذي أقيمت فيها الجمعة؟ وهل تبقى المساجد على حالتها بحيث تقام فيها الجمعة أم لا؟ والحال أن بعض المصلين يرى من الأصلح بقاء أحد المساجد، فهل يبيح الشرع ذلك أم لا؟

الجواب: بخصوص المساجد الذي أقيمت فيها الجمعة بسبب تصليح الجامع، والحال أن الجامع صلح لإقامة الصلاة، فلا شك أنه لا بد من غلق المساجد المذكورة، وإقامة الجمعة في الجامع المذكور، وهو الثابت شرعًا، لأن الأسباب التي دعت لإقامة الجمعة في المساجد المذكورة لسبب من الأسباب وقد انتفى السبب، وهو تصليح المسجد، ولا سيما أن الجامع المذكور هو الذي تقام فيه الجمعة قديمًا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يعرض عنه، هذا بخصوص الجامع.

أما بخصوص جواز التعدد، فالعلماء من المالكية والشافعية قد كفونا ذلك، ولا بد أن نشير إلى طرف من كلامهم عليهم الرحمة والرضوان اقتباسًا من صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، فقد ثبت في عصره صلى الله عليه وسلم أنه لم يسمح بإقامة جمعة أخرى في غير مسجده الشريف، كما سمح لهم بإقامة الصلوات الخمس في المساجد، كما لم يرخص عليه الصلاة والسلام للضعفاء بإقامة الجمعة في غير مسجده، مع أنه الحريص بالمؤمنين، الرؤوف بهم، وكان ذلك أيسر عليهم لو كان. وعلى سنته السنية درج خلفاؤه الكرام، ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وكثرت الأمصار في المملكة المحمدية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

الله عنهم لم يرخص في ذلك أيضًا، بل نقل عن الثقات أنه بعث إلى عماله في الأمصار بالكتب يأمرهم فيها أن يقيموا الجماعات في المساجد المتعددة في المصر، وألا يجمعوا بالناس إلا في المسجد الواحد الجامع.

وهكذا كان الأمر مدة الخلفاء الراشدين، وطيلة عصر بني أمية، وصدرًا طويلاً من زمن الخلفاء العباسيين حتى إذا كان زمان الرشيد أو زمان الواثق على ما صححه جمع من محققي الشافعية تعددت الجمع.

بل ذكر الخطيب البغدادي المؤرخ: أن أول جمعة أحدثت في الإسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في أيام المعتضد، وذلك سنة ثمانين ومائتين، وذلك بعد وفاة الشافعي بست وسبعين سنة. ورأى فقهاء الأمة هذا من رسول الله وخلفائه الكرام، فاتفقت كلمة جمهورهم على وجوب أن تكون الجمعة واحدة في البلد، فإذا تعددت كان ذلك خروجًا من الناس على السنة السنية، وسيرة السلف المرضية. ورأى الشافعي رضي الله عنه أن التعدد في البلد الواحد لا يجوز بحال، دعت إليه الحاجة أم لا. وقد اختلف أئمة مذهبه من بعده، هل مذهبه جواز التعدد لحاجة بقدرها ، قال بذلك الكثير منهم كالروياني وغيره، أما مذهبه منع التعدد مطلقًا، والمحققون من علماء المذهب على هذا.

والخلاصة أن الأئمة الأربعة اتفقوا على جواز التعدد لحاجة ملحة كضيق المسجد، ولا يمكن توسيعه، أو مسافة بعيدة كمقدار فرسخ، أو لأسباب، فهناك يجوز التعدد، وهذه الأسباب كلها لم توجد، إذ لا داعي لإقامة جمعة في غير الجامع المذكور. (انتهى نص الإجابة).

- **مسألة: ورد إليه سؤال من إدارة الأوقاف حول: هل يجوز إقامة صلاة الجمعة في حالة النعيم، مع العلم أنه تقام صلاة الجمعة في حالة السلطة؟**

فأجاب بقوله: كنت قد بينت سابقًا بمنع إقامة صلاة الجمعة في حالة السلطة وحالة النعيم، مادامت الحالتان متقاربتين، ولكن نظرًا لزيادة عدد المصلين، فإنه لا مانع من إقامة صلاة الجمعة في كلا المسجدين، وإن كانت المسافة قريبة، وذلك تسهيلاً على الطرفين، لكثرة المصلين، وربما يصعب على البعض تحمل الطريق، لضعف بالإنسان أو كبر سن، وهذه من المسائل الاجتهادية، والأمر فيه سعة، والله أعلم.

• **مسألة: حول الحكم الفقهي في بناء كعبة مصغرة لتعليم الناس كيفية الطواف؟**

لما طرح موضوع بناء كعبة مصغرة لتعليم الناس في إحدى مؤتمرات الرابطة الإسلامية التي حضرها، وذلك بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٣٩٦هـ ، كانت له مداخلة بيّن فيها الحكم الشرعي، فقال: إن هذه البادرة بإقامة كعبة مصغرة تعتبر في نظر أهل العلم المخلصين تحطيمًا لمقدسات الإسلام، وإن تكن في الظاهر يستسيغها العقل أو الخالي من مبادئ الدين.

ثم قال: إن هذه الفكرة فكرة خاطئة.. وعواقبها وخيمة. وقال: إن الإسلام جاءنا بدين سمح لا شائبة فيه، ألا ترون إلى مكة بعد بناء البيت فيها ظلت ردحًا من الزمن خالية من شوائب الوثنية، ثم ما الذي حدا برجال بعض العرب أن يجلبوا الأصنام، ويحاطوها بعدد كثير منه، ألم يكونوا عارفين بأن الكعبة البلد الطاهر الأمين. إلا أن طول العهد بهم أرادوا أن يغيروا ما عليه من الملة الحنفية، وجعلوا الأصنام مضاهاة، وادّعوا بقولة سخيفة، ما جعلناهم هنا إلا لتقربنا إلى الله زلفى، من أين دخل عليهم الشيطان؟ دخل عليهم من ناحية لتقربنا إلى الله زلفى، مع أن القوم كانوا على جانب عظيم من البلاغة والفصاحة. فلما جاء الإسلام، وانتصر على جيش الشرك، أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الأصنام، فهدم الأصنام بيده الشريفة، وقال: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا. إلى أن قال: ثم ما الداعي إلى ذلك، والمسلمون منذ أربعة عشر قرنًا لم يحتاجوا إلى ذلك البناء. لقد فهموا الأحكام الصحيحة من كتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أفواه العلماء العاملين خلفًا عن سلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعلى الرابطة أن تبين للجهة المختصة هناك بإزالة ما بني من كعبة مصغرة. لأنه إذا فتح هذا الباب في هذه البلد ستعمله بلد ثانية، وهكذا دواليك، حتى تصبح في أنحاء العالم بنايات مصغرة للكعبة، وفي النهاية تستخف الناس بمبادئ الدين، وبمقدسات الإسلام. ولأن أكثر هذه البلاد محاط بأعداء الإسلام، لا سيما اليهود. ومذهب الإمام مالك بني على سد الذرائع كما تعلمون.

ثم قال: أما عرض شريط سينمائي يحتوي على الكعبة وعلى الطواف بالبيت، وعلى السعي بين الصفا والمروة، إلى غير ذلك من أعمال الحج فهذا شيء حسن وجميل، يظهر للناس البعيدين

عن الإسلام عظمة الإسلام في ذلك اليوم الرائع.

- **مسألة حول وقوع حكم الطلاق في حال الغضب، والطلاق بالثلاث:**

فجوابًا على السؤال، إن كان الرجل طلق زوجته في حالة غضب، فقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال بوقوعه، ومنهم من قال لا يقع. فالقائل بوقوعه فقهاء المذاهب الأربعة، ومن قال لا يقع ابن تيمية من علماء الحنابلة، وذلك رجوعًا إلى الأصل، وقد أخذ بهذا القول جميع الممالك الإسلامية.

أما الطلاق الثلاث في مجلس واحد فيقع واحدة. وهو لا شك أنه الأصلح ، وذلك لعدم تفريق الأسرة، ولم الشتات، ولا سيما والرجل السائل لديه من زوجته أولاد، فعليه يصح له مراجعتها، وحيث إنها خرجت من عدتها فلا بد من عقد جديد، ومهر جديد، وتقع عليه طلقة واحدة، وتكون معه ما بقي من طلاق (١).

- **وسأله السيد يوسف هاشم السيد أحمد الرفاعي خمسة أسئلة متعلقة بالتصوف فأجابه بقوله:**

إلى حضرة الأجل الأخ العزيز السيد يوسف هاشم السيد أحمد الرفاعي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

استلمت رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٦ ذي الحجة ١٤٠٦هـ، وصلت وسررنا بها حيث أنبأتنا عن صحتكم الغالية، وعن سؤالكم الأول عن مدى مشروعية التصوف.

والثاني: عن رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال الجنيد البغدادي، وبشر الحارث، والحارث المحاسبي، ومعروف الكرخي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي، وغيرهم من أعلام الأمة.

١- كان الشيخ قد أخذ بالقول القائل أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع واحدة، وذلك أثناء توليه القضاء في مطلع الستينيات من القرن الماضي، ومضى على هذا، وكان هو القاضي الوحيد الذي يأخذ بهذا الرأي، حتى أصبح ذلك رسميًا، حين صدر قانون أحكام الأسرة عام ٢٠٠٩م، وكذلك القانون الموحد الصادر عام ٢٠١٧م بإصدار قانون الأسرة، والذي جعل الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة.

الثالث: ماحكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك.

الرابع: هل للصوفية عقيدة تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

الخامس: ما حكم التشهير بهم.

أقول وبالله التوفيق: أولاً إنك حملتني حملاً ثقيلاً يعجز أن ينوأ به إلا الواصلون، وأركبتني سفينة يصعب أن تمخر عباب البحر إلا بالمهرة السابحين، وكيف ترد الساقية ولديك النيل، فهو المورد العذب يسقي الصادر والوارد.

الجواب عن السؤال الأول: أن التصوف بحر عميق لا يقدر على الغوص في أعماق لجته إلا الذين تجردوا عن شواغل الدنيا، ولم يتركوا الدنيا، لأن الدنيا مطية يسير عليها القوم إلى آخرتهم، لأن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل. والصوفي هو من عرف ربه حق المعرفة، ملازمًا لعبادته، متقيدًا بمنهج كتاب ربه العظيم، وبأوامر نبيه الكريم، لا يفارقها قيد شعرة، ومتحليًا بأقوال أئمة الهدى، ينابيع العلم، وبحور المعرفة.

والمشروعية في الصوفية الحقيقية: « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وللصوفي مقامات يعجز أن ينالها قاعد أو متكاسل، وهو دائمًا متعلق بجانب الحق لا سكون ولا حركة في هذا الكون إلا بالواحد الأحد الفرد الصمد، فهو شاهد للحق عز وجل في كل أفعاله من الحركات والساكنات، ومنها صح قول بعضهم لمن سأله ما مراد الحق من هذا الخلق، فقال على ما هم عليه، ولذا قال قائلهم:

إذا رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنـــات مـلاحا

وإن أنت لم تشهد إلا مظاهر صنعه ... جهلت فصيرت الملاح قباحـــا

ويكفي ما أوجزت عن السؤال الأول، لأني كما قلت سابقًا هذا بحر لا يدرك ساحله، كم غرق فيه من غرق ونجا فيه من نجا.

الجواب الثاني: عن رأي العلماء في السادة الصوفية مثل الجنيد البغدادي، وبشر الحارث، والحارث المحاسبي، ومعروف الكرخي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، والسيد أحمد الرفاعي، وغيرهم من أعلام الأمة. فبحسب ما قرأنا عنهم وقرأناه على مشايخنا عن سلوكهم وتصرفاتهم

الحقيقية أنهم قوم لهم قدم راسخة في ميادين العلم ، وهم لا شك فيهم دعاة خير بذلوا جهدهم، وأرسوا قواعد دينهم على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها. إن هؤلاء الأفذاذ هم الصوفية الحقيقيون الذين وقفوا في وجه العتاة مواقف مشرفة، ذكرها التاريخ عنهم، ورواها الخلف، كم يذكرنا التاريخ عن مواقف الصوفية الأفذاذ ، كالإمام النووي الصوفي الكبير والعالم النحرير، والإمام العز بن عبدالسلام علامة زمانه، وصوفي عصره، والإمام الغزالي حجة الإسلام ، والذي قال:

غزلت لهم غزلاً دقيقًا فلم أجد   غزلي نساجًا فكسرت مغزلي

أليس هم من كبار الصوفية الذين نفتخر بهم في الدنيا، ونفتخر بعلمهم، وبإنجازاتهم وبما تركوا من مآثر وبصمات واضحة في خدمة العلم والدين، فرحمهم الله ورضي عنهم.

ورحم الله البندنيجي الصوفي الشافعي الذي كان من أقران النووي، إذ يقول في جانب الحق الإلهي:

آه من سترك لو ينكشط   فيلوح الوجه لي والقطط

حسنك الباهر أضنى كبدي   وبذلك خلدي مرتبط

لك ذياك البقاء ملتزم   ولنا هذا الغنا مشترط

هل يمكن للزمان أن يجود بمثل بشر الحارث، تذكر الرواة عنه أنه لما مرض عرض بوله على طبيب نصراني، فقال الطبيب، إن يكن هذا البول فهو بول إنسان أسقم الشوق الإلهي كبده ، ولعله بشر الحافي. ولا يمكن تعداد مناقب هؤلاء الصفوة المختارة من أساطين الصوفية، ولله در الشاعر إذ يقول فيهم:

مررت بناديهم فناديت ربعهم   عليه مني ما حييت سلام

سلام عليهم وألف سلام، سلام عليهم وقت قيامهم في أوقات السحر يناجون مولاهم في ثياب الذلة والخشوع، يقولون بأصوات حزينة رخيمة أضرمها الشوق الإلهي

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ من تلك العظام النحل

امنن علي بتوبة تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الأول

سلام عليهم، وألف سلام، سلام على تلك الأرواح الطاهرة التي وصلت إلى مقام عظيم، إلى روح وريحان، سلامي عليهم يوم قال شاعرهم يندب آثارهم فيقول:

باتوا وخلفتوا أبكي في ديارهم ... قل للديار سقاك الرائح الغادي

وقل لأوطانهم حييت من ظعن ... وقل لواديهم حييت من وادي

الجواب عن السؤال الثالث، ما حكم من يكفر الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك؟

الله أكبر.. إنها كلمة تخرج من أفواه المنصرفين عن الحق، أمثل الجنيد وأضرابه يكفر؟!! إن التكفير كلمة تشمئز منها القلوب الطاهرة، وتستعذبها القلوب المتحجرة، الخارجة عن طريق الهدي. ويعجبني هنا قول الصوفي الكبير عبدالقادر الجيلاني لما سمع بمقتل أبي منصور الحلاج، لما بان لشيوخ عصره عندما تفوه بكلمة في حالة انجذاب سفك بها دمه، قال الشيخ عبدالقادر: لو كنت في عصره لنشلته من القتل، هكذا كانوا رحمهم الله يفرون من كلمة الكفر، فلا يجوز لمن تلفظ بـ(لا إله إلا الله) أن يحكم عليه بكفر، إلا بعد أن يظهر منه ما يناقض ما يعتقده، وذلك بطلب المعاذير له، وذلك خوفًا من أن يسفك دماً بغير حق، وحاشا لأولئك الأعلام أن يظهر منهم كفر أو شرك، ولو ظهر لبان لأهل الحق، ولكن القلوب التي ران عليها ضباب الجهل ، وخيم نسيج العنكبوت عليها حاشا أن ترى النور، ولأن الهدف الذي وصل إليه الواصلون يصعب عليهم وصوله، ولما صعب عليهم وصوله، ساروا يبصمونهم بالكفر والشرك، نعوذ بالله من الكفر والشرك، ومن سوء المعتقد في الصالحين.

الجواب عن السؤال الرابع، هل للصوفية عقيدة خاصة تخالف أهل السنة والجماعة؟ ليس للصوفية عقيدة خاصة، بل عقيدتهم الإيمان بالله ورسوله، وكتاب الله دستورهم، وسنة رسوله منهجهم، وأقوال أئمة الهدى ديدنهم، ومن ذكر أن لهم عقيدة خاصة تخالف ما كان عليه أهل

السنة والجماعة فقد رماهم بالانحراف عن عقيدة أسلافهم، وحاشا لجهابذة التصوف أن تكون لهم عقيدة غير كتاب ربهم وسنة نبيهم، كما أن الناظر في كتبهم يعلم أن عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنهم لم يسلكوا غير هذا المسلك.

الجواب عن السؤال الخامس: ما حكم التشهير بالصوفية؟

التشهير ظلم وعدوان، وكيف يمكن لمسلم أن يرمي أخاه المسلم بعد مماته بما لا يليق به، وقد قدم هؤلاء القوم إلى ربهم، وهو المجازي لأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شراً فشر، فكل سيحصد جزاء ما عمل، ثم ما الفائدة التي ترجع للمشهر للمشهر به سوى الذم والملامة في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة.

هذا ما أردت بيانه باختصار، وإلا المتتبع لأسرار هؤلاء يحتاج إلى نفس طويل، وعلم غزير لعله يصل إلى ما وصل الواصلون، اللهم اجعلنا من الواصلين إلى مقام قربك يا كريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

• المبحث الرابع:

- مؤلفاته

لم يهتم الشيخ بالتأليف، ذلك أنه كان انشغل كثيرًا بالقضاء وكثرة القراءة والحفظ، وخاصة حفظ الشعر، وقد كان كلما قرأ كتب الأوائل يقول ماذا أبقوا لنا ؟ قد كتبوا في كل فن، وتركوا لنا ميراثًا عظيمًا، لا يملك المرء إلا أن يقف حائر العقل، يهاب الإقدام على التأليف، ويستصغر نفسه أمامهم.

كما أن انشغاله بالحياة القضائية، ومشاركاته في المؤتمرات والندوات سواء في داخل البحرين أو خارجها، لم تعطه الفرصة لأن يتفرغ للتأليف، ومع ذلك قد كتب آلاف الخطب المنبرية التي أنشأها إنشاء بقلم أديب، وكتب العديد من المقالات والمشاركات في الندوات، إضافة إلى ما كتبه وسجله في الإذاعة أيام الستينيات.

وقد اعتنى منذ صغره وهو طالب في الأحساء بجمع بعض المسائل والأدعية بطريقة سهلة وميسرة، من ذلك أنه كتب في التاريخ على شكل سؤال وجواب. وقد وقعت تحت يدي جزء منها، لعلها لم يكملها، أو أني لم أجده. كتب في مقدمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل علم التاريخ تبييناً للآثار القديمه: ومعرفةً لمن سلف في الأعصر الخاليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد حامل لواء الحمد يوم القيامه وعلى آله وصحبه نجوم الهدى لمن ضاع دليله صلاة أرجو بها الخلاص يوم كل خليل يفر من خليله اما بعد فهذه وريقات جمعها الفقير تتضمن شيئاً من علم التاريخ محتويه على سؤال وجواب

س من هو قائد الشريعه وحامل لواء الحمد يوم القيامه

ج هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

س والى اين ينتهي نسبه صلى الله عليه وسلم

ج ينتهي الى عدنان بن اد وهو المعلوم المحقق من اجداده

س من امه عليه الصلاة والسلام

ج آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

س في اي جد تجتمع معه امه

ج في جده كلاب

س متى ولد عليه الصلاة والسلام

ج ولد في اثني عشر ربيع الاول سنة الفيل

س وما هو الفيل

ج هو العام الذي جاء فيه ابرهة احد ملوك الحبشة لهدم الكعبه

س في اي موضع ولد فيه عليه الصلاة والسلام

ج في مكة المكرمه

س كم يكون بين ولادة عيسى و[illegible] صلى الله عليه وسلم

ج ٥٧١

(سؤال وجواب في التاريخ بخط الشيخ وهو في سن الخامسة عشرة)

الحمد لله الذي جعل علم التاريخ تبيانًا للآثار القديمة، ومعرفة لمن سلف في الأعصر الخالية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حامل لواء الحمد يوم القيامة، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى لمن ضاع دليله، صلاة أرجو بها الخلاص يوم كل خليل يفر من خليله، أما بعد فهذه وريقات جمعتها لنفسي تتضمن شيئًا عن علم التاريخ، محتوية على سؤال وجواب.

- كما كتب كتابًا شبيهًا بذلك في علم الفقه، وأسماه (تحفة الطالب والسائل في أمهات المسائل) ولم يكمله، وجاءت مقدمة الكتاب التالي:

الحمد لله الذي أنزل على لسان رسوله الكريم " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل: « من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين » وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد، فإن مما يخلد ذكر المرء، ويبقيه أبد الدهر، علم ينتفع به، وإن مما لا يرقى إليه الشك أن أنفع علم للمعاش والمعاد هو علم الفقه الذي به يعرف الحلال والحرام، وهو الأساس المتين لتقويم دعائم الدين، ورفع سنة إمام المرسلين، وبه يعتز المرء، ويعتلي فوق كل مقام، ويذعن له الخاص والعام، ورحم الله الشاعر حيث قال، وأجاد في المقال،

إذا ما اعتز إنسان بعلم   فعلم الفقه أولى باعتزاز

وأعلى من هذا فقد شهد له الرسول الكريم شهادة لا تفسح المجال لقائل أو ناقد: « ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » والدليل الأكبر، والمنار الأشهر، قول الله الذي يقفه تحته المجادلون:«**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)» (التوبة).**

وبعد فهذه وريقات متضمنة سؤالاً وجوابًا انتقيتها من بعض كتب الفقه المعتبرة، جمعتها لنفسي، ولمن هو قصير الباع مثلي، في هذا الفن الرفيع، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على لسان رسوله الكريم ~~القائل جل جلاله~~
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين القائل من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ابن ماجه
~~[illegible]~~ وعلى آله وصحبه الغر الميامين اما بعد فان
ما يخلد ذكر المرء ويبقيه أبد الدهر هو علم ينتفع به وان مما
لا يرتقي اليه الشك ان أنفع علم للمعاش والمعاد هو علم الفقه الذي
به يعرف الحلال والحرام : وهو الاساس المتين لتقويم دعائم الدين
ورفع سنة امام المرسلين وبه يمتاز المرء ويعلو فوق كل مقام
ويذعن له الخاص والعام ورحم الله الشاعر حيث قال وأجاد في المقال

اذا ما اعتز انسان بعلم : فعلم الفقه أولى باعتزاز

واعلى من هذا فقد شهد له الرسول الكريم شهادة لا تفسح المجال
~~[illegible]~~ لقائل او ناقد : ولفقيه واحد : أشد على الشيطان من الف عابد
والدليل الاكبر والمنار الاشهر قوله تعالى الذي يقف تحته المجادلون فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون ولمن أ[illegible] وبعد فهذه وريقات متضمنة سؤالا وجوابا
~~جمعتها من~~ [illegible] بعض كتب الفقه المعتبرة جمعتها لنفسي ولمن هو قصير
الباع مثلي في هذا الفن الرفيع والله الموفق للصواب واليه المرجع
والمآب

(صورة من الكتاب بخطه)

(كتاب الطهاره)

س ما هو الكتابه

ج هو مشتق من الكتب وهو الضم والجمع يقال تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا ومنه كتيبة الرمل

س ما هي الطهارة في اللغه

ج النظافه تقول طهرت الثوب أي نظفته

س وما هي الطهاره في الشرع

ج عباره عن رفع الحدث أو إزالة النجس او ما في معناهما أو على صورتهما كالغسلة الثانيه والثالثه والاغسال المسنونه وتجديد الوضوء والتيمم وغير ذلك مما لا يرفع حدثا ولا يزيل نجسا ولكنه في معناه

س كم عدد المياه التي يجوز بها التطهير

ج سبع مياه

س وما هذه المياه

ج هي ماء السماء وماء البحر وماء النهر وماء البئر وماء العين وماء الثلج وماء البرد

س ما الأصل في ماء السماء

ج قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ليطهركم به

س وما الأصل في ماء البحر

ج قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته

س وهل هذا الحديث في غاية الصحه

ج نعم صححه البخاري ابن حبان وابن السكن والترمذي والبخاري

(صورة من الكتاب بخطه)

- نبذة عن تاريخ قضاة الأندلس، لم يكمل، كتبتُ مقدمة الكتاب عند الحديث عن الأمير الراحل سمو الشيخ سلمان بن حمد.

- كتاب مجموع الأناشيد العربية والنبطية، وهي مجموعة من القصائد العربية والنبطية كتبها في ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٦١هـ. وهي قصائد منتقاة من أشعار العرب، ومما يحتويه الكتاب قصيدة للشيخ عبدالرحمن بن أبي بكر، وهي:

يـا أهـل الحـي في بيت وبـــــر   لـم يسعنـي بعدكـم بيت وبـــــر

ومجموعة أشعار في رثاء الشيخ حمد بن عيسى بن علي. ومن أشعار النبط حسين أبو خميس، ساكن القصيم، وأشعار نمر بن عدوان. ومحمد بن جاسم العبدالوهاب، وماجد بن صالح الخليفي، وتركي بن عبدالله آل سعود، وأشعار ارحمه بن راشد، وقد كتبها بعد أن سمعها منه. وأشعار كثيرة جدًا منها ما هو مطبوع ومنها ما هو غير موجود.

- وكتاب آخر مماثل، أهداه للأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان رحمه الله.

- وكتاب جمع فيه كل ما حفظه من أشعار العرب.

- الأرجوزة اللطيفة في سير ووقائع آل خليفة، كتبها قبل ذهابه للأزهر وأهداها إلى الأمير الراحل سمو الشيخ سلمان بن حمد، وهي تربو عن ألف بيت.

- بحث عن: الخمر في الجاهلية والإسلام. مخطوط سيتم طبعه.

- بحث في التربية الإسلامية. مخطوط سيتم طبعه.

- كما كانت للشيخ تقاريظ على بعض الكتب من ذلك أنه قرّظ كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح للسيد محمد بن علوي الهاشمي محدث الحجاز) قال في التقريظ: « الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وقائد الغرة المحجلين، سيدنا محمد حبيبنا وشفيعنا، وطبيب قلوبنا صلاة وسلامًا دائمين ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار.

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب عظيم بعنوان: (**مفاهيم يجب أن تصحح**) لمؤلف كريم، سليل العترة الطاهرة النبوية، ألا وهو العلامة الفاضل السيد محمد علوي المالكي، فوجدته كتابًا حاويًا لمعان جليلة، وأهداف سامية، وأدلة واضحة، لا سيما فيما أشار إليه من جواز التبرك بالآثار الشريفة، والتوسل بالذات المحمدية، وشد الرحال لمسجده العظيم، والمثول أمام القبر الشريف الكريم، وقد عضده بالأدلة من الكتاب والسنة، ومن أقوال العلماء البارزين في هذا المضمار سلفًا وخلفًا.

فجزاه الله مؤلفه خير الجزاء، وأجزل له المثوبة دنيا وأخرى، ورزقنا الله وإياه محبة نبيه الكريم، والاقتداء على أثره القويم، وأماتنا على سنته، وحشرنا تحت لوائه يوم الدين. هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين » (**انتهى**).

كذلك رأيت بخط يده تقريظًا لرسالة بعنوان(شمس الضحى في إعفاء اللحى) لمؤلفها فضيلة العلامة عبدالستار المحدث الدهلوي السلفي رئيس غرباء أهل الحديث بباكستان، والتقريظ كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله أمرنا باتباع نبيه الأكرم، وحذرنا عن مخالفته فقال:« **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** (٧) » (**الحشر**). له الحمد وله الشكر، حيث جعل محبته لا تكون إلا بامتزاجها باتباع رسوله:« **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) » (**آل عمران**). فصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المقتفين لآثاره.

أما بعد فقد اطلعت وقرأت الرسالة القيمة المسماة (شمس الضحى في إعفاء اللحى) لمؤلفها فضيلة العلامة عبدالستار المحدث الدهلوي السلفي رئيس غرباء أهل الحديث بباكستان، فألفيتها رسالة قيمة ذات مغزى، قد استوفت جميع الأدلة الناصة على إكرام اللحى وإحفاء الشوارب. والحق الذي ينبغي أن يقال أن علماء الأصول قد قرروا أن الأمر للوجوب، إلا إذا كانت هناك قرينة تصرفه عن الوجوب، فنجد في قوله عليه الصلاة والسلام :« **أكرموا اللحى وأحفوا الشوارب** » أمر وهذا الأمر ليس له صارف يصرفه عن حقيقته، فلا بد إذًا أن يبقى على حقيقته حسبما تقرر.

ثم الذي ينبغي أن يفهم أن العرب قبل الإسلام كانوا متمسكين بتوفير لحاهم، وكانوا يجدون في حلق لحاهم منقصة ومثلة، وحتى إن في العصور الأخيرة كان إذا أساء أحدهم وارتكب جريمة حلقت لحيته، وما ذلك إلا ليبقى مثلة بين الناس. فانظر كيف كانوا يعدون حلق اللحية من الأمور الصعبة، فكيف ساغ للمسلمين الآن أن يتركوا سنة نبيهم، ويقلدوا قومًا لا خلاق لهم؟ ألم يفهموا أن الإسلام في إبان نشأته لم يفتح الفتوحات الشاسعة إلا عندما كان متمسكًا بسنة نبيه، ومقتفيًا أثره الخالد، فبذلك تألق نجمهم، وقادوا الدنيا إلى الأمام، ويحق للشاعر أن يصفهم:

نعالهم أينما حلّوا أو ارتحلوا ... على رؤوس أعاديهم أكاليل

أما عندما دب الوهنُ فيهم، وحادوا عن طريقهم المرسوم، وقلدوا أصحاب الأهواء والبدع تفرقت كلمتهم، ولسعتهم أفاعي الغرب وعقاربه. وهذه أبيات حِسان للمرحوم الشيخ عبدالعزيز العلجي الإحسائي في الحث على إكرام اللحية:

واعرف كرامات الرجال باللحى ... سودًا وبيضًا كالصباح اتضحا

فهي لهم فضل على النساءِ ... ميزا وحسنا عند كل رائي

فأمر الرسول أن توفرا ... فحلقها يُعد قبحًا منكرا

والحلق للحية من ضيق السلب ... يعتاده أهل الضلال والريب

وختامًا نرجو الله أن يوفق الأمة الإسلامية للسعي وراء الخطوات النبوية، كما ونشكر المؤلف على ما أبداه من نصائح قيمة، ونصوص ساطعة، فجزاه الله خيرًا. (**انتهى**).

الفصل السادس

وفاته وثناء الناس عليه

- **أولاً: وفاته:**

قبل غروب شمس يوم الأحد الخامس من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٣١هـ، دعته المنية إلى جوار ربه، بعد أن أتم الحادي والتسعين من عمره العامر بالعطاء، والجد والاجتهاد، وكان ذلك في اليوم الخامس من شهر رمضان المبارك، الموافق الخامس عشر من شهر أغسطس٢٠١٠م ، ودفن بمقبرة الزلاق حيث طفولته وإقامته، ومنشأ آبائه وأجداده. وقد شيّع جثمانه إلى مثواه الأخير جمعٌ غفير من المواطنين والمحبين والعلماء والوزراء والوجهاء والشخصيات الكبيرة في الدولة وأعضاء السلطة القضائية، وطلبة العلم من داخل البحرين وخارجها. وبفقده فقدت البحرين عالماً فاضلاً ومربيًا جليلاً ، ليس على مستوى البحرين فحسب، بل على المستوى العالم الإسلامي، حيث كان عضوًا برابطة العالم الإسلامي، وحضر عشرات المؤتمرات على المستوى العالمي على مدى سنوات عديدة، والتقى العديد من الشخصيات البارزة، حيث التقى برؤساء الدول والعلماء، فكوّن علاقات وطيدة، وصداقات حميمة، فعرفهم وعرفوه، وتواصل معهم وواصلوه، فأكسبه ذلك شهرة ومكانة عربية وإسلامية.

شيخ تربع على كرسي العلم والقضاء، كان جبلاً شامخًا، وعلامة مضيئة، ترك أثرًا طيبًا، وعلمًا نافعًا، علّم وأرشد، ونصح ووجه، وقضى حياته في العلم والتعلم، جعل اللّه أعماله في ميزان حسناته، وبارك في جهوده الطيبة، ورحمه اللّه رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته. وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- **ثانيًا: قالوا عنه:**

كلمة سمو الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

رئيس مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية السابق (رحمه الله)

الحمدُ لله ربِ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابهِ الغر الميامين، وعلى من سار على هديهم، وانتهجَ نَهجهم إلى يوم الدين.

تكتسي الكتابةُ عن علماء الأمة أهميةً بالغة، فهم ورثةُ الأنبياء، كما ورد عن الصادقِ المصدوق: «... **وإن العلماءَ ورثة الأنبياء، إن الأنبياءَ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلمَ، فمن أَخَذه أَخَذ بخطٍ وافر**» صحيح ابن حبان. لذا حقٌ لهم أن تخلدَ ذكراهم، وأن توثق آثارُهم وجهوُدهم، إذ هي ثروةٌ علمية تضاف إلى ذخيرة مكتبتنا الإسلامية العربية الزاخرة المتجددة بكل ما هو جديد ومفيد.

ومن هؤلاءِ العلماء المجدين المخلصين سماحة الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي، رحمه اللّهُ تعالى وأسكنه فسيحَ جناته، الذي سخّرَ حياتَه في خدمةِ الإسلام، وخدمةِ هذا الوطنِ العزيز ومواطنيه الكرام.

كانت لي مع الشيخ يوسف ذكرياتٌ خاصة، عزيزةٌ على الفؤاد، حيثُ صحبتُه مدةً تزيد على نصفِ قرنٍ من الزمان، فرأيتُه مثالاً يُحتذى به في حسنِ الخُلق، وجمال المنطق، وفي العملِ المخلص، وحبه المتوقد لهذا الوطن الغالي، جمعنا العملُ في وزارة العدل والشؤون الإسلامية، فكان أُنموذجًا للجديةِ والإخلاص. ومن بصماتِه حضورُ المؤتمرات الخارجية، حيثُ كانت مشاركاتُه فيها تتسمُ بروحٍ طيبة، وهمةٍ عالية، وحرصٍ متميز، فكانت أطروحاتُه محلَ إعجابٍ وتقدير من قبل جميع الحاضرين. صحبتُه في عددٍ من الأسفار، فوجدتُه رجلَ المواقف في كرمه، ودماثةِ خلقه، وحسنِ تعامله في مختلف الظروف، ورأيته متسماً بروحِ الدعابةِ والمرح.

عرفتُ الشيخَ يوسف أديبًا يتذوقُ الشعرَ ويعرفُ فُنونَه، حريصًا على القراءةِ واقتناءِ الكتب إلى آخر أيام عمره الزاهر.

لقد كان بحق رجلاً محلَ تقدير واحترام، وحظوةٍ من قبل حكام البحرين الذين عاصرهم، ابتداءً من صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، ومروراً بصاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة رحمهما اللّه رحمةً واسعة، وصولاً إلى صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة أمد اللّه في عمره، وكذلك صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء الموقر، وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد الأمين. فقد كانوا جميعاً ينزلونه المكانةَ التي تليقُ بفضيلته في جميعِ المواقف والمحافل، وهذا من ضمنِ المناقبِ الحميدة التي يتسمُ بها حكام البحرين الأماجد، وهو إنزالُ الناسِ منازلَهم، ومعاملة أهل القدر بالقدر الكبير، والتقدير الوفير.

كانت الأيامُ التي عملتُ فيها مع فضيلة الشيخ يوسف من أجملِ أيام عمري، حيثُ كنا نتباحثُ ونتحاورُ في كثيرٍ من الأمور التي تهمُ العملَ الإسلامي، والأمورَ الخاصة بشؤون وزارة العدل. قضى شطراً كبيراً من حياته -رحمه اللّه- في مجال القضاء، فرأيناه قاضيًا عادلاً، فقيهًا بارعًا، يخرجنا من الكثيرِ من المآزِق من دون تعصبٍ ولا تزمت، بل بالروحِ السمحةِ الوسطية التي تتميزُ بها تعاليمُ الإسلام.

رحم اللّهُ الشيخَ يوسف الصديقي، وأجزل له الثوابَ على ما قدمه لدينه ووطنه، وأسألُ اللّهَ أن يباركَ في ذريته، وأن يخرج منهم من يواصل حمل الشعلة من بعده، ومواصلة المسيرة التي بدأها، وختاماً لا يفوتني أن أشكرَ الابن العزيز عبدالناصر محمد الصديقي حرصَه وجهدَه لتوثيق سيرة جده الشيخ يوسف، راجياً من اللّه أن يعينه ويوفقه لكل خير... إنه نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمه اللّه وبركاته.

كلمة سعادة المستشار الشيخ/ عبدالرحمن بن محمد بن راشد آل خليفة

رئيس المجلس الأعلى للقضاء

صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي هو أحد أعلام البحرين الذين احتلوا مكانة مرموقة في تاريخها، فقد كان رحمه الله من أبرز علماء الدين، ومن أعمدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن أبرز قضاة المحاكم الشرعية الذين عرفتهم البحرين، كما كان من الخطباء المتمكنين والدعاة إلى الحق وأحد أساتذة الشريعة اللامعين.

وقد عرفته منذ صغري، فقد كنت أحضر مع الوالد رحمه الله إلى صلاة الجمعة في جامع القضيبية، وكان الشيخ هو الخطيب هناك. وقد كنت معجبًا بخطبه كثيرًا لما كانت تزخر به من علم وأدب، وما تدعو إليه من قيم الخير والفضيلة، وما تلتزم به من منهج وسطي يبث المحبة ويؤلف القلوب.

كما كنت أرافق الوالد أثناء زياراته المتكررة لفضيلة المرحوم الشيخ عبدالله بن محمد الصديقي في مجلسه في فريج العوضية بالمنامة، وهو عالم جليل، وصديق للوالد، وعم للشيخ يوسف الصديقي، وقد كان الشيخ يوسف رحمه الله ملتزمًا بالحضور في مجلس عمه، فكنا نلتقي معه ونسمع منه، وهناك بدأت تتوطد علاقتي وصداقتي مع الشيخ، واستمرت لقاءاتنا إلى أن سافر الشيخ لمواصلة دراساته الشرعية في الخارج، وذهبت أنا لدراسة الحقوق في جامعة القاهرة.

وبعد سنين طويلة من مكوثه رحمه الله خارج البحرين، ومن ثم سفري أنا أيضًا للدراسة، كان من محاسن الصدف أن نلتقي مجددًا زملاء في القضاء، فبعد أن أنهيت دراستي الجامعية في القاهرة رجعت إلى البلاد، وعُينت قاضيًا في القضاء المدني البحريني في سنة ١٩٦٧، وكان الشيخ آنذاك قاضيًا في القضاء الشرعي، فتوثقت العلاقة معه أكثر، وكنا نجتمع معًا كثيرًا أثناء العمل، وشاركنا معًا في الكثير من المؤتمرات والمحافل الإسلامية خارج البحرين. كما كان رحمه الله يحرص على زيارتنا في مجلسنا بالجفير وكنا نحرص أيضًا على زيارته في مجلسه بالزلاق.

وقد كان الشيخ يوسف الصديقي رحمه الله مرجعًا للعلوم الشرعية، وكان عالمًا فاضلاً، وقاضيًا بارزًا، وخطيبًا بارعًا، ومربيًا قديرًا، كما أنه كان أديبًا وشاعرًا يتمتع بسعة الاطلاع وكثرة الحفظ، وكنا نتحين الفرص لنستمع إلى أشعاره ومروياته الأدبية والتاريخية.

وهكذا، استمرت علاقتنا وطيدة وطيبة مع الشيخ الصديقي رحمه الله إلى حين وافاه الأجل المحتوم سنة ٢٠١٠، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه جنته، ويعلي في الصالحين درجته، إنه سميع مجيب.

الشيخ يوسف أحمد الصدِّيقي الذي عرفت

بقلم / فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبداللطيف بن محمود آل محمود

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فقد أحسن أخونا الشيخ عبدالناصر محمد الصدِّيقي بالاهتمام بشيء من تاريخ فضيلة الشيخ يوسف أحمد الصديقي رحمه الله تعالى بتأليفه هذا الكتاب ، فقد أعرض كثير من علمائنا وفقهائنا بل وشخصيات كثيرة كان لها أثر في تاريخ أوطاننا عن تدوين تاريخ حياتهم ، بل إن كثيراً من طلابهم ومُلازميهم وأصدقائهم لم يهتموا بتوثيق أعمالهم .

لقد رغب علماؤنا وفقهاؤنا عن تدوين تراجمهم وتاريخ حياتهم رغبةً فيما عند الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وجعلوا أكبر همهم ما هو خير وأبقى عنده ، لكن لا يعني ذلك أن يُنسى تاريخُهم ولا يعرف صالح أعمالهم ومواقفهم في حياة مجتمعاتهم ليكون من بعدهم على بيّنة منه وليتأسّى بهم من خلفهم فهم جزء أساسي من التاريخ ، فتاريخ الأمم والدول يكتب على منهجين ؛ منهج سياسي يُعنى بقيام الدول وانتهائها ويدور حول القيادات السياسية لها ، ومنهج اجتماعي يبحث عن المؤثرين في المجتمعات من غير السياسيين علمياً وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، أي أنه يدوّن التاريخ الاجتماعي للبارزين من الناس رجالاً ونساءً وهو ما يسمى بـ (التراجم) ، وكلا المنهجين مُتّبع ، لكن أكثر الناس يهتمون ويقرأون ما كتب بالمنهج الأول ، ولا يعرف الكثيرون ما كُتب بالمنهج الثاني ، والكاتبون على هذا المنهج في أيامنا قليل .

أحببت أن أكتب هذه المقدمة لأبعث الهمم للعناية بتوثيق تاريخ الشخصيات التي كان لها أثر في وقتها في حياة مجتمعاتهم ، منهم أو ممن يكون قريبا منهم أو مهتما بسيرتهم وشخصياتهم ، وأحب أن أشير لقضية علمية منهجية هامة وهي ألّا نحكم عليهم بمعايير وأحوال زماننا بل نحتكم إلى معايير وأحوال زمانهم لنرى قيمة ما قدموا لأنفسهم ولمجتمعاتهم.

فإذا ما جئت للكتابة عن شيخنا فضيلة الشيخ يوسف الصديقي رحمه الله تعالى فأذكر سماعًا

منه مباشرة أنه كان في بداية تَعلُّمه من تلامذة جد أبي الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبدالرزاق آل محمود رحمهم الله تعالى أجمعين ، أخذ عنه الفقه الشافعي وربما غيره من العلوم وذلك في مدرسة الشيخ محمد بن عبدالرزاق ال محمود التي انفردت بمبنى خاصٍ في مدينة الحد من مملكة البحرين ، بينما كان بقية علماء مدينة الحد في زمنه ومن بعده يقومون بمهمة التدريس في المساجد أو في مجالسهم ، إذ قام الشيخ أحمد على مدرسة أبيه الشيخ محمد بعد وفاته ولم يترك التدريس فيها حتى أقعده المرض فأغلقت المدرسة.

وكان أول رؤية لي للشيخ يوسف أحمد الصديقي عام ١٩٥٨م أو ١٩٥٩م في مدرسة المنامة الثانوية مع الشيخ عبدالله الفضالة بعدما تخرجا من الأزهر الشريف وعُيِّنا في أول أمرهما مُدَرِّسَيْنِ بمدرسة المنامة الثانوية التي كانت هي الثانوية الوحيدة في البحرين آنذاك والتي يجتمع فيها جميع طلاب البحرين.

بعدها انتقل الشيخ يوسف إلى مدرسة الزلاق مدرسًا لمادة التربية الدينية، مدة ثلاث سنين، حتى عُين قاضيًا في المحكمة الشرعية السنية وذلك عام ١٩٦٢م، هو وأخواه: الشيخ محمد بن عبداللطيف السعد، والشيخ عبدالله الفضالة.

وفي نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠م ابتعثتُ للدراسة في الأزهر الشريف ولمّا أتعرف عليه من قُرب ، لكن والدي الشيخ محمود بن ابراهيم آل محمود رحمه الله تعالى كان حريصا على أن يُعَرِّفني على علماء البحرين فكان إذا رجعت في العطلة الصيفية يأخذني معه لزيارتهم في مجالسهم فتوطدت علاقتي بهم جميعا ، لكن الشيخ يوسف الصديقي رحمه الله تعالى كان له ترحيب خاص بأفراد عائلة آل محمود لما كان يكنه لهم من محبة ومودة بسبب تعلمه لدى أستاذه الأول الجد الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن عبدالرزاق آل محمود .

وقد نشأت بيني وبين شيخنا مودة ومحبة خاصة ، فكان يُؤثر إذا ذهب في العطلة الصيفية للراحة في مصر أن يقيم في الشقة التي كنت قد استأجرتها مع الأخ الحبيب الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف آل سعد رحمه الله تعالى في ميدان الأزهر الشريف والمطلة على الجامع الأزهر ، وقد حباني الله تعالى بأن أمضي معه بعض الأيام قبل عودته إلى البحرين وتعرفت على كثير من

خلاله وخصاله الاجتماعية ومنها محبته لأهل الزلاق بيتا بيتا ، إذ كان لا يرجع من سفره إلا وهو محمّلٌ بالهدايا لكل بيت ، ومن هذا تبيّن لي مكانته في قريته التي يسكنها ، وهذا ما يلاحظه الزوّار وما لاحظته عند زياراتي له في مجلسه من العلاقة بينه وبين مجتمعه حيث يُعتبر عمدة الزلاق وعالمها وكبيرها.

من الجانب العلمي كان لدراسته في المدارس الدينية المتاحة في البحرين وعلى أيدي العلماء الموجودين فيها ، ثم دراسته في المركز العلمي الديني المتقدم في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية وهي الأحساء والتي بها مدارس المذاهب الفقهية الإسلامية الخمسة ، ثم التحاقه بالأزهر الشريف المنفتح على جميع المذاهب الإسلامية أَثَرُه البالغ في تفكيره وأقواله وأفعاله ، فكان يحترم صاحب كل رأي أو مدرسة فقهية ويعذره في الأقوال أو الأحكام التي تخالف رأي مذهبه أو رأيه ، آخذاً بقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : (رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) ، ولذلك لم يحصل بينه وبين أعضاء قضاة المحاكم الشرعية من أتباع مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى الذين عمل معهم وهو شافعي أي خلاف فيما أعلم فقد كانوا جميعاً يتوافقون على الحكم في القضية المعروضة عليهم بما فيه المصلحة الشرعية حيث لم يكن آنذاك قانون للأقضية الشرعية وإنما كان كل منهم مقلداً لفقهاء كل مذهب من مذاهبهم .

وأعرف عن فضيلة الشيخ يوسف الصدِّيقي رحمه الله تعالى أنه كان يجتهد فيما تعم به البلوى ، ولذلك كان يفتي لمن أوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد بوقوعه طلقة واحدة رغم أن المحاكم الشرعية كانت تأخذ بوقوعه ثلاثا آخذا في ذلك برأي شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وقد أخذ قانون الأسرة في البحرين الذي عملت به المحاكم الشرعية السنية من عام ٢٠٠٩ م بهذا القول ، كما أخذ به قانون الأسرة الجامع بين مذاهب أهل السنة والمذهب الجعفري الذي صدر عام ٢٠١٧م بهذا القول أيضًا.

ولا أنسى لفضيلته رحمه الله تعالى ثقتَه فِيَّ وحسنَ ظنه بي بعد أن تخرجت من الأزهر الشريف فكان يطلب من إدارة الأوقاف السنية إذا سافر أن أنوب عنه في الخطابة في مسجد القضيبية.

كما أعرف عن فضيلته رحمه الله تعالى أن حبه للعلم لم ينقطع طيلة حياته فكان الكتاب جليسه

مع جلسائه وعندما يكون خالياً لا يَمَلّ ولا يَكَلّ ، فما زرته منفرداً أو مع أفراد العائلة إلا وتذاكرنا في مسألة من مسائل العلم أو في كتاب من كتب العلم .

وكان رحمه اللّه تعالى محبا للشعر حافظاً لشعر كثير من المتون العلمية والشعر الأدبي بجميع أنواعه للشعراء العرب والمسلمين ، وفي آخر حياته رحمه اللّه تعالى كنت إذا زرته وهو على فراش المرض ولا يستطيع حمل الكتاب للقراءة أُذَكِّره بأبيات من الشعر فيستحضرها من ذاكرته ويستمر فيها حتى نهاية القصيدة ، وتراه يترنم بها ويعلق عليها .

وكم أسفت على وفاته رحمه اللّه تعالى وأنا خارج البحرين فلم أحضر الصلاة عليه أو دفنه أو تعزية أهله بشخصي ، فما كان لي من أداء حقه عليّ إلا أن أقف على قبره وأصلي عليه وأدعو له بالرحمة والمغفرة وأعزي أهله بعد رجوعي إلى البحرين .

رحم اللّه شيخنا الشيخ يوسف الصدِّيقي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجمعنا معه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من اللّه وكفى باللّه عَلِيما ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

كلمة فضيلة القاضي الشيخ عدنان بن عبد الله القطان

رئيس الدائرة الشرعية بمحكمة التمييز- وخطيب مركز الفاتح الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛ فإن الله تعالى جلت قدرته، خلقنا في هذه الحياة من عدم، يقول تعالى، (**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُوراً**)، كما أوجدنا الله في هذه الدنيا لنحيا في سبيله بالعبادة الخالصة، وطلب العلم النافع، والسعي للعمل الصالح، والتعمير لرفعة وازدهار الأمة، والاستعداد ليوم الرحيل، فما من مخلوق في هذه الحياة، مهما امتد أجله، وطال عمره، إلا والموت نازل به، يقول جل وعلا: (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**)، ولو جعل الله الخلود لأحد من الخلق لكان الأولى بذلك الأنبياء والرسل، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفيائه، محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: (**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**)، ويقول سبحانه: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**).

ولله در القائل :

حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري ... ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرار

بَينا يَرى الإِنسانُ فيها مُخبِراً ... حَتّى يُرى خَبَراً مِنَ الأَخبارِ

طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها ... صَفواً مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدارِ

إنه في يوم الاثنين الخامس من شهر رمضان ١٤٣١هـ، يوافقه الخامس عشر من شهر أغسطس ٢٠١٠م، ودّعت مملكة البحرين عالماً جليلاً من علمائها، عن عمر ناهز ٩١ عاماً، وهو العلامة القاضي الفقيه الفَرَضِي، والخطيب الأديب، يوسف بن أحمد الصدِّيقي، شيخ الشافعية في مملكة البحرين والخليج العربي، وقد ولد -رحمه الله- عام ١٣٣٨هـ يوافقه ١٩١٩م في البحرين.

وقد عاصرتُ الشيخ رحمه الله وتشرفتُ بالعمل معه في سلك القضاء وفي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكنت كثير التردد على مجلسه بمنطقة الزلاق، مع مجموعة من المشايخ وطلبة العلم،

وكل من جلس مع الشيخ واستمع إلى حديثه أحبه لكريم أخلاقه وتواضعه وحسن تعامله مع الناس، وأدرك سعة اطلاعه وعلمه، فقد كان -رحمه الله- شغوفاً بالقراءة والاطلاع، محبّاً للشعر والأدب والتاريخ، حريصاً على الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، بالحكمة والموعظة الحسنة، فضلًا عن اهتمامه بإقامة الدروس العلمية المنهجية، ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن الشيخ -رحمه الله- يحفظ كثيراً من المتون في فنون العلوم المختلفة من الفقه والنحو والصرف والحديث والفرائض والأصول والتاريخ والأدب والشعر، ولا يُستغرَب ذلك فقد تغرب الشيخ في طلب العلم سنين عديدة خارج البحرين، كما أن الشيخ يملك من الكتب الكثيرة في مكتبته العامرة ببيته في مختلف الفنون والعلوم، وقد استفدت كثيراً من علمه وتوجيهاته ومناقشاته في المسائل الفقهية.

وكان الشيخ رحمه الله مغرماً بالشعر العربي، وله عدد من المنظومات، أبرزها ما نظمه في تاريخ وسيرة حكام البحرين الكرام في أبيات تزيد على ٣٠٠٠ بيت، وقد أهداني نسخة من هذا السفر الكبير.

كما تجدر الإشارة إلى أنني تشرفت بالحضور والاستماع إلى عدد من خطب الشيخ -رحمه الله تعالى- في سبعينيات القرن الماضي، عندما كان خطيباً لجامع القضيبية، على إثر عودته من رحلة طلب العلم بالأزهر الشريف.

سيظل شيخنا الجليل قامة علمية شامخة، وعلامة مضيئة في سجل رجالات البحرين الأوفياء، سيدوي ذكرهم وأثرهم الطيب ما دامت آثارهم الخيرة التي كتب الله تعالى لها أن تبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

جعل الله هذه الأعمال الخيرة في موازين حسنات الشيخ يوم القيامة، وبارك الله في جهود عائلة الصدِّيقي. ورحم الله شيخنا الجليل رحمة واسعة، وغفر له، ورفع درجته في الصالحين من عباده، وألهم أهله وأولاده وعائلته ومحبيه وتلامذته الصبر والسلوان، والى جنات الخلود يا شيخ يوسف -بإذن الله- حيث نعيم الآخرة، (**وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**)، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة فضيلة القاضي الدكتور الشيخ إبراهيم بن راشد المريخي

قاضٍ أحبَّه النَّاس

هناك صور ذهنيَّة تبقى خالدة في الذَّاكرة ، ترسِمُها ريشة الصِّغر ، فتصاحبك إلى آخر أيام العُمر ، لا تغادر مخيِّلتك ، ولا تنفك عن مجريات حياتك ، ومتى استدعيتها وَجَدتها حاضرة أمامك .

وتتنوَّع هذه الصُّور بحسب البيئة التي يعيش فيها الإنسان ، فكاتب هذه السُّطور مثلاً بحكم أنَّه نشأ في بيئة دينيَّة دَيْدَنُها العلم بشتَّى تفرُّعاته، فَجَدَّته من قبل الأب كانت معلِّمة للقرآن ، وتالِيَة له آناء اللَّيل وأطراف النَّهار ، لا تفْتُر عن تلاوتِه ومدارستِه ، وعاشت على هذا المِنوال إلى آخر حياتها ، كما أنَّ منزلنا كان مأوىً للطَّلبة والواردين الوافدين من الضُّيوف الذين يَغدُون ويأوون إليه على مدار العام فهو بمثابة العشِّ لهم ، فلا ريب إذاً أنْ تتشكَّل عنده صور مركَّبة من هذه البيئة ، وتصبح النَّفس متعلِّقة بهذه النَّمطيِّة ، متشوِّفة إلى التَّطلُّع لكلِّ ما تسْمع مما يُسرد من أخبار أهل العلم .

وقد كانت هناك شَخصيَّة طالما قَرَعَت الأسماع ، فلا تُذكر إلَّا ويُذكر معها الحِكمة والأناة في تصرُّفاتها ، ومتى ضربوا للنَّاس الأمثال في أنَّه ينبغي لطالب العلم أن يكون حسن الهيأة لا متبذِّلاً ، فإنَّ صورة هذا العالم تبرز دائماً إذ غدا مثلاً يُحتذى به ، فهو الأنيق في مظهره ، الأنيس في مجالسته ومَعْشره ، إنَّه الشَّيخ يُوسف بن أحمد الصِّديقي ، الذي كان مجمعاً للفضائل ، ومنبعاً للأخلاق وحُسن الشَّمائل .

هذا العالم البَحريني كان محطّ أنظار النَّاس ، وكنت في صِغري وبحُكم أنَّ والدتي رحمها الله تعالى من قرْية الزَّلاق ، وكانت هذه القرْية مقرَّ سُكنى الشَّيخ فقد رأيته صغيراً ، ورأيت أنَّ أهل القرْية يقدِّرونه ويكبرونه ويفتخرون بوجوده بين ظهرانيهم ، وهو يعدُّ من أهم معالم الزَّلاق في ذلكم الوقت ، وكان النَّاس يَفِدُون لزيارته على اختلاف طبقاتهم ، من عِليتهم منزلة ، إلى أوسَطهم مكاناً ، حتَّى أقلِّهم رتبة ، ناهيك عن زيارة العلماء له من شتَّى البلدان والأقطار ، فَقَلَّ أنْ يأتي عالم ولا يقصد زيارة الشَّيخ .

لم تكن هذه السَّجايا التي كان يتحلَّى بها الشَّيخ ناشئة عن طفْرة أو محض صدفة ، بل كانت نتاج

إرث اكتسبه من جهة أهله وذويه الذين كانوا نجوماً في سماء العلم والورع والتَّقوى كعمِّه العلامة العارف باللّه الشَّيخ عبداللّه الكجوئي الشَّافعي النَّقشبندي ، كما أنَّه كان يمثِّل أحد مخرجات مفخرة الأربطة في العالم الإسلامي ألا وهو رباط الإمام الشَّيخ أبي بكر الملا الأحسائي الحنفي الذي كان يعتبر ملجأ أهل العلم من البحرينيين وغيرهم من أهل الخليج حتى البصرة ، وقد كان هذا الرِّباط تَرْشَح جُدرانه بالعِلم والتُّقى والورع والجود والكرم ، فما بالك بأهله الذين قلَّ نظيرهم بين العلماء المتأخِّرين ، ولا يزال أهل الأحساء يشيرون إلى الحجرة التي كان يقطنُها الشَّيخ يوسف الصدِّيقي في الرِّباط المذكور كلَّما كحَّلنا العيون بزيارته أدام اللّه عُمرانه ، وشيَّد أركانه ، وحفظ رُعاته وقصَّاده .

ثمَّ اكتمل النُّور بلحاقه بأروقة الأزهر الشَّريف وهو النَّبع الصَّافي العذب الزُّلال الذي كان يعجُّ بالعلماء الأعلام آنذاك من المصريين وغيرهم من الواردين ، فقد سمعت من الشَّيخ يوسف في مناسبات عديدة يحدِّثنا عن اندهاشه بعلم الشَّيخ عبدربه سُليمان وعن شجاعته في الحقِّ ، وكم مرَّة سمعته وهو يحدِّثنا عن العارف باللّه الشيخ صالح الجعفري ، كما أنَّه كان يذكر لنا رؤيته لشيخ مشايخنا الإمام الحافظ السَّيد أحمد بن محمَّد بن الصدِّيق الغُماري الحسني المغربي ويصفه بأنه صاحب هيبة ووقار ، وجمال طلعة ، وكأنه ملك من الملوك .

فهذه الرِّحلة العلميَّة هي التي ساهمت في صقل شخصيَّةالشَّيخ يوسف وجعلته واسع الأوفق ، سمحاً في تعاطيه مع قضايا النَّاس ، ولا يضيق صدره بهم ، ولا يتضجر من كثرة إلحاحهم ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، مع الثَّبات على منهج أهل الحقِّ فلا يداهن في الثَّوابت ولا يراوغ .

ومن المواقف التي لا تنسى له رحمه اللّه تعالى وقد أكْبَرها العلماء في حقِّه – وهي تدلُّ على ماذكرناه من الثَّبات على نصرة الحقِّ – تقريظه لكتاب علامة الحجاز السَّيد محمَّد بن علوي المالكي الحسني مفاهيم يجب أنْ تُصحَّح ، فلم يتردَّد ولم يتلوَّن حينما عُرض عليه الكتاب لتقريظه ، رغم تخاذل الكثير عن أداء الواجب المنوط به .

لقد كان الشَّيخ يوسف رحمه اللّه تعالى ملفتاً للنظر ، آخذاً بمجامع نفس كلِّ من رآه ، فإذا نظرت إلى شخصه رأيت تناغم الملابس وجمالها ، وإذا تكلَّم أسرَك بجمال صوته ، وحلاوة منطقه ، وقوَّة حافظته ، وبراعته في استشهاده بالحِكم والأشعار التي يتخيَّرها مما يتناسب مع واقع المجلس ، بما يعود على الحاضرين بالنَّفع ، وكأنَّي الآن أسمعه وهو يلقي قصيدة الإلبيري

التي نظمها لولده يحثُّه فيها على الاهتمام بطلب العلم وهو يرونقها بأسلوبه الأخَّاذ ، ويتنقَّل في أبياتها تَنقُّل الحاذق الخِرِّيْت :

تفتُّ فـــؤادَكَ الأيـــَّامُ فتَّــــا وتنحتُ جسمَك السَّاعـاتُ نَحْتا

وأمَّا إذا ما تفكرت في همَّته فستجدها همة الرِّجال ، فكان نهِماً للعلم رغم كبر سنِّه ، فلا تدخل عليه في مجلسه في أي وقت من الأوقات إلَّا وتجد الكتاب في حُضنه يطالعه مطالعة المشتاق ، مستغرقاً في قراءته ، فلم تخر قواه ولم تفتر عزومه من عزوف النَّاس عن مجالس العلماء والأخذ عنهم .

إنَّ الكلام عن الشَّيخ لا يمكن أنْ تفي به هذه السُّطور المقتضبة القليلة، ففي الجُعبة أكثر مما ذكرت ، لكن عزائي الوحيد أنَّ أخي العزيز المفضال الأديب المطَّلع الشَّيخ عبدالنَّاصر الصِّديقي قد استوعب في كتابه هذا كافَّة الجوانب المحيطة بشخصيَّة الشَّيخ فهو من ألصق النَّاس به ، وأدراهم بأخباره .

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وكتبه

الدُّكتور إبراهيم بن الشَّيخ راشد المريخيّ

عضو محكمة التَّمييز

وعضو المجلس الأعلى للشُّئون الإسلامية مملكة البحرين

أشعار

إلى معلمي الأول فضيلة الشيخ يوسف بن أحمد الصدِّيقي

قصيدة الشاعر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة

عطر الربيع سرى بكل طريق ... في موكب للزائرين أنيق
تتهامس الأزهار فيه وتستقي ... منه فراشات الدجى برحيق
يا قرية الزلاق كم لي ملعب ... في كل ناحية وكل طريق
هامت بقلبي الذكريات ومهجتي ... ولهى إلى لقيا أخ وصديق
قضيت فيك من الشباب ربيعه ... وسكبت في واديك كأس رحيقي
واليوم قد ولى الشباب وإنني ... من ذكره أبدًا أغص بريقي
وأراك في ذا الليل تحتضنيني ... والشوق يجرى في دمى وعروقي
هذا فتاك أتى اليك وقلبه ... من لوعة الهجران كالمحروق
أرنو إليك من الروابي خلسة ... إليك في مسرى الخيال طروقي
إنى أخالك يا مهاد طفولتي ... عتبي وشوقك للقاء حقيقي
الأم تسأل عن غياب بنينها ... ومفارق الأحباب كالمصعوق
لي فيك أهل في التراب دفنتهم ... ودعوا فؤادي بعدهم بحريق
ولقيت بعدهم العزاء بماجد ... حبر كريم الراحتين شفيق
زرع النهى في حقل عقلي فازدهى ... روحي بريحان النهى وشقيق
إن قيل من هو ذلك الشيخ الذى ... تعنيه؟ قلت العالم الصديقي

كما كتب الشاعر قصيدة آخرى:

من لصبٍ شاقه البرق فحنا ... لليال طالما فيها تهنى
ذكريات الأمس تشجي قلبه ... كلما طير على غصن تغنى

كنت بـالزلاق أيام الـصـبـا يوم لـي في تلكم الشطآن مغنى

كـم تباهيت بأحــلام الصبـا وعلـى الشطآن كم جريت ردنا

في بساتين زهـا فيها الجـنــى وبها كـم ردد الشحـرور لحـنـا

ورياض طـالمـا طــفــت بـهـا شفي الضحى ما كان أبهاها وأها

تنفح الطيب فأشتـاق الــشـذى مـن روابيها إذا ما الليل جـنـا

ونـديمي شـيـخُ عـلـم وتـقــى قـد رعـاني ودعانــي منـه ابنا

بـالقوافي طــالمــا عـلـمــي فوعيت الشعر إحساسًا ومعنى

مـن يكن جارًا إلـى الـنــهــى نـال مـن آدابهم ما قـد تمنـى

أنـا لـو أني بعـيـد عـنـهـمـو فـفـؤادي حـولهم في كل مــنـى

أنـا لـم أنسَ ليـالـــي أنسهـــم وعن الأحباب هل يساوي المُعنى؟

كلما شـمـت خـيـالاً لـهـمـو في منـامـي قـرّ قلبـي واستكنـا

وإذا شاهـدت شيخي (يوسفًا) صـرت منـه في لقائـي مطمئنـا

قـد تـذكـرت لـيالينـا التـــي رغـم شظف العيش ما أحلا وأسنى

هـي عندي زهرة العمر الــذي قد قضيناه سدى أو ضـاع منا

ليت ذاك الـعـمـر يــأتي ثـانيًا مثلما كنتـم علـى الأنس وكـنـا

تمضي الدنيا على عـلاتـــهـا حيثمـا تأتـي علـى ما تتـمـنــى

قصيدة الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله آل عمير

حضرة الفاضل، علم الفضائل، وحليف الشمائل، الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي الموقر حفظه الله ورعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،

فنهنيكم ونبارك لكم بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك جعلنا الله وإياكم من صوّامه وقوامه، وتقبل منا ومنكم ومن سائر المسلمين صالح الأعمال، وأعاده على الجميع أعوامًا عديدة، في صحة ومسرّة، واستقامة إنه سميع مجيب. كما أرجو أن تكونوا أنتم وجميع الأولاد والعائلة بخير وسرور، هذا وبهذه المناسبة عّنَّ في خَلَدي أن أرفع إليكم هذه العجالة مصحوبة بالقصيدة التي كلّفت القريحة بها كتهنئة لكم بهذا الشهر المبارك، وإن كانت لا تخلو من نقص أوعيب. إلا أنه كما قيل لا يسقط الميسور بالمعسور، كما نص عليه الفقهاء في باب الوضوء في موضوع العضو المقطوع إذا بينت منه بقية من محل الغرض. ولذا نرجو قبولها، وستر ما بها من خلل أو عيب، لأن الشواغل عندنا كثيرة خصوصًا أعمال القضاء، أعاننا الله وإياكم على ما كلف، هذا وسلامنا للأولاد والأصحاب والمشايخ. ومنا الأولاد والإخوان والمشايخ يهنئون إليكم جزيل السلام ، هذا والله يحفظكم.

في ١٤٠٣/٩/١٧هـ.

شوقي إليك مدى الزمان يزيـدُ	وكذاك وجدي في هـواك شديدُ
يا فاضلاً يدعى لعمري يوسـفًا	مـن أحـمدٍ ينموله تشيـيـدُ
يا نجل صديقٍ لتهنك نسبـــةٌ	تسـمو بها ولنـا لها ترديـــدُ
حُزْتَ العلومَ بهمةٍ وعنايــــةٍ	لـم يَعتـريكَ بنيلها تعقيــدُ
من سادةٍ غرٍّ الوجوه جهابــذٍ	وهـمـوا لعمري رُكعٌ وسجـــودُ
ساروا على نهج النبـي محمـدٍ	في هديه وسما لـهـم تأيـيد
وحفظتَ تنزيلاً أتى مـن ربنـا	فيـه لعـمري وعْـدُهُ ووعيـــد
وقرأتَه في خشيـــةٍ متـأمـــلاً	مـا جاء فيه يزينـه التجويـد
وفهمتَ تفسيرًا لـه من ســادة	قطب الوجود لهموا علاً مشهود
وحفظتَ ما قد جاء عن خير الورى	مـا صـحَّ عنه ونقله مسـنـــود
وحفظت فقه الشافعي ومـن لـه	فضـلٌ سمـا وله الهداة شهــود

وفهمتَ علمَ النحوِ من قوم سموا شـرفًـا وكـلٌّ منـهمـوا صـنـديـد
وفهمتَ علم الصرف علمًا متقنًا وكذا العروض أتى لك التسديد
وكذا الفرائض فد فهمتَ علومها وحســابها وبذا فأنت رشيـــد
ومتى وعظت فللمنــابر هـَـزَّةٌ كادت بـوعظك تنثني وتميـــد
للصالحين منافــع مشهـــودةٌ وعلــى العصاة تقرع وشديـــد
وعظٌ تكنّ له القلوب مهابــــةً إذ أنــه طبٌّ لـهـا ومفيـــــد
ومتى حكمت حكمت بالعدل الذي وافـاه نص محكـم وعميـــد
ولقد حفظت لشعر قوم قد مضوا منهـم لعمـري عنتر و وليـــد
وكذاك غيرهموا قفوت سبيلهم في هـديهم وبذا فأنت فريـــد
وكذاك كم حكم حفظت متابعًا أصحــابها تقفوا لهم وتُشيـــد
حسنت لك الأخلاق والخلق الذي مــا شـابه كبـر ولا تنكيـــد
في عفةٍ وتـواضــع ومهابـــة وجـلالـة في الكل أنت وحـيـد
هذي مـواهب من إلهك ساقها جـاءت إليك وإن ذا لأكـيـــد
رضي الإله عليك حتــى أنــــه أرضـى الخلائق عنك وهو تليد
ولك الهنا في مدح خير مشفــع تسـمـو بـه ويمت منك نشيـد
فاهنأ بما أعطـاك ربك يا فتى مــن فضلـه وبما إليك يجـــود
واشكره واحمده على إنعامــه إذ أنــه يـولـي العطا ويفيـد
يا شيخنا يابن الكرام ومن غدا طـود العلـوم تجـي إليـه وفـود
يهناك شهر الصوم طُرًّا يا فتى قـد صمته ولك التقى معهـــود
قد صمته عن مطعم أو مشرب حتـى الغـروب وأنت فيه سعيد
صنت الجوارح واللسان عن الأذى في عفةٍ قـد صـان تلك جـدود

قد قمت في جنح الظلام مثابرًا ... لله في ذلٍ جـفـاك هجـــود
تدعو وتضرع في صلاتك خاشعًا ... والناس طُـرًّا غـافلـون رقـود
لازلت فيه على المدا متعبــدًا ... في صحـةٍ والأجـر منك يـزيـد
فغدًا تفوز بجنـةٍ فـي روضـةٍ ... وإلـيـك في حـوض النبـي ورود
وأعانك المولى على طاعاتـه ... في نـعـمـةٍ والعيـد فيك يعـود
ولك البقا في عزةٍ وكرامـةٍ ... تتـرى لك النعمـا بـه وتـرود
عفـوًا فإني في المعارف قاصـر ... وكـذا العروض فلست فيه أجيد
فاسمح فذا جهدي بما قد قلته ... فـالستـر أرجـو منكمـوا وأريـد
إذ أن ذا جهد المقل وأنتمـوا ... أهـل السمـاح لكم إليه صعـود
هذا وصلى الله ما ليـلٌ دجـى ... للهـاشمـي لذكـره تمجيـد
خير الأنام محمـدٍ ذاك الـذي ... قـد جـاء منه النـور والتوحيـد
والآل والصحب الكرام ومن لهم ... عنـد الهياج على العدا تصفيد
ما رنمت فوق الغصـون حمامة ... تـرنـوا لأقـران لـهـا تـغـريد
أو هلّ مزنٌ أو حدا حادي السرى ... فـوق الـركاب له صـدىً ونشيد

ما قاله الأديب الأستاذ القدير محمد بن عبدالله العيد:

لا تدومُ في هذه الدنيا الشـمـوع ... وتنهمر فيها من العيون الدموعُ
وتـقَلُّبُ الأيام طبعُ من طباعـها ... فـاليــوم أفـراح وغــداً أواعُ
ونـعشق الحياة الدنـيا وزينتهـا ... ونعلم أنها ظلٌ زائلٌ ومتاعُ
وكأين من مُـخبر أخبـر بوفـاة ... وغـداً يـروى نـعـيـهُ ويـذاع
فكـم شيّـع إنســانٌ ميتـاً ... وفي يوم من الأيام سـوف يُشيّع
وتـرسمُ الآمال وهـي عـزيزةٌ ... لكن القضـاء من الآمال أسرعُ

فلا تسوفوا ولا تؤجلوا إلى غد | فما تعلمون في غدٍ ما الذي يقعُ
فاعمل لآخرتك كما لدنياك تعملُ | والإيمان والتقوى خيرُ ما ينفعُ
وتنصرم الأعوامُ وهي من أعمارنا | وتؤرَّخ بالأيام والأعوام الوقائعُ
وتستقبلُ الدنيا مواليد فنفرحُ | ونودعُ أمواتاً فنبكي ونجزعُ
وليس لنا في الأمر حيلةٌ | فلله الأمر كله وإليه المرجعُ
والحياةُ كبحر تراهُ جزرًا تارة | وأخرى مداَ يفيضُ ماؤه ويشيعُ

xxxxxxxxxxx

وودعت البحرين عَلماً من علمائها | فهل دَرَت البحرين من تودعُ؟
وجاء القوم بقضهم وقضيضهم | ليشاركوا في التشييع ويودعوا
وخيّم الحزن على الزلاق | فواسته البحرين قراها والأربُعُ
وذابت قلوب المحبين حسرةً | فاغرورقت العيونُ وسالت الأدمعُ
ونبكي على عزيز فقدناه فتدركنا | رحمةُ المولى فنحوقلُ ونسترجعُ
وكأين من عزيزٍ يلفظُ أنفاسهُ | وحبيبهُ لا يدري كيف يصنع

xxxxxxxxxxxxx

وُلد الشيخ يوسف بأم الشجر | جزيرة الأحلام بجمالها والموقعُ
وجيء به يتيم الأم ابن أربعٍ | إلى الزلاق مستقراً وفيها مرتعُ
أحبَ العلم فغاص في بحوره | وراح من لآلئهِ وداناته يجمعُ
وتحدى الصعابَ للعلم طالباً | فسعى إليه مهما بعدَ المنبعُ
ففي الأحساء تلقى تعليمهُ | من شيوخ لهم في العلم أبوعُ
وعاد بعد أعوام ستةٍ شيخاً | وإماما وخطيباً والعلمُ يرفعُ
وتطلعَ طالبُ العلم إلى المزيدِ | فمهما اغترف منه لا يشبعُ

والعلـــمُ لا ينتـــه عـنـد حــد | فهو بحر ليس له قرارٌ ولا قاعُ
ولا يـــزال المـــرء عـــالمـــاً | ما طلب العلمَ وباليسير لا يقنعُ
وفي الأزهر الشريف حط رحالهُ | فهناك نورُ العلم يشبُّ ويسطعُ
وعثر الطالب الأزهري على ضالته | دراسة ومكتبات غايته وما يطمعُ
فانكب علــى الد راسـة والقـرا | يحدوه الأمـل والـرجـاء يدفــعُ
فسـهر الليالي والناسُ هُجع | وليس لطـــالب العلــم مضــعُ
وعاد متوجاً بالشهادة العالميـة | حاملاً مشاعل العلم وهـي تسطعُ
ومن يحرث أرضاً ويروي زرعه | يقـرُ عينــاً ويجـني مــا يزرعُ

×××××××××

واستفتــح بــالتعـليــم مهنــة | فــأعطــى من علمه مــا ينفعُ
وبرز في ساحة العدل قـاضيـاً | فبـدا في سمائهـا نجمـاً يلمـعُ
وفي الفتــوى رمـزٌ من رموزهـا | فمن يأتيه، بالجواب الشافي يرجعُ
وذاع صيتـه عــالمـاً وقــاضيـا | وتقلـد في ساحـة القضـاء-واقعُ
وذو فكـر وبــالحكمــة يُعـرفُ | شهدت بأفكاره المحاكم والجوامعُ
وعشــق الأدب شـعـــراً ونثـراً | فازداد ثقافـة وفي اليان يبدعُ
وجمع باقات من روضــة الأدبِ | أريجها من العود المسك أضوعُ
أحب الشـعــر فخـاض بحــورهٌ | والشعــر بحـورٌ وأوزان وتقطيعٌ
بحورٌ جاء بها الخليل في عروضه | ولا يعرف كنهها إلا الغواصُ البارع
والشعر عاطفة وإحساس إنسانٍ | ومن تجربة إنسـانيـة عميقة ينبعُ
امتازت خطبهُ بحسن بيـانهـا | وبلاغتها توريـةٌ وطباق وإبداعُ
إذا كان في إنشاء خطبـه رائعـاً | فــإنـــه فـــي إلقــائهــا أروعُ

وكم من خطبةٍ قرطها بحكايـة | فكان أثرها على السامعين أوقعُ
وعلى الشاشة كان خطيبا مفوهاً | ومن الإذاعة كانت خطبهُ تبثُ فتسمعُ
وكان الشيخ يُحي المناسبات الدينية | وفي أحيائها إما متحدث أو مستمع
وكثيـرٌ من عقود القِران وثقهـا | فهنيئاً لـمــن لإلفـين يـجـمـعُ
وكـــم أصلـــح ذات الـبـيـنِ | بعـد أن كاد حبل الـوصلِ يُقطعُ
وكـــم شنـفَ الآذان بحـديثــهِ | والحاضرون كلهم عينٌ ومسمعُ
وتـــزخـــرُ مكتبتهُ بدرر مكنونهِ | ومكنونهــا علمٌ وثقافةٌ ومراجعُ
وبهــا رفيق دربــه وحيـــاتــه | وكل مثقف بــرفقتــه يـطـمــعُ
وخيــر جليس لا تُمــلُ صحبتـهُ | وهــــو خـــلٌ وفي مـــمـــتـــعُ
ووصف الشيخ بوصف طاب وصفهُ | رجاحه عقل ورحابة صدرٍ والتواضعُ
ومــن يخـلـف أثـــراً طـيـبــاً | يظل اسـمـــهُ مـع الأيــام يلمعُ
ومــن يعمل صدقة جارية يخلد | وباسمـه يشدو الزمان ويسجعُ
هــذا غيضٌ مــن فيض سيـرته | فسيرتهُ سفر من الأسفار ومرجعُ
تغمد اللّه الفقيد بواسع رحمته | فـرحمتـهُ من أي رحمةً أوســعُ
والصبر خيرُ ما تواصى به المؤمنون | وبذكر اللّه تطمئنُ القلوب وتـخشع

النجم الذي رحل

بقلم : عبدالناصر الصديقي

كنت على موعد مع القلم ولكنني أخلفت موعدي، وكنت على موعد مع كلمات اللغة ولكنني نسيتها من قاموس فكري، فاحترت ماذا أصنع، فأخذت أنتظرُ من يفتح لي خزائن اللغة ويضع لي كلمات الرثاء، ولكن كل ذلك لم يحدث، فأمسكت اليراع على كرهٍ من دون أن تشعر أناملي بذلك لأخط كلماتٍ تعبر عن مقامك ومنزلتك، ولكنه وقف مرتعشاً لا يكاد يريم مكانه وذلك لعظم شأنك، ورفعة مقامك.

إن الكلمات تزدحم في الفكر والعبارات تتسابق في ميدان العقل.. فلا أدري بأي كلمات اللغة أعبر، وبأي معاني الحب أسطر. فمنزلتك عظيمة، وشأنك رفيع، والقرب منك طاعة، والتودد إليك واجب، لقد كنت تظللنا بأشجار وقارك، وتسقينا من ينابيع دفئك، وشعور محبتك، وتمدنا من عبير أنفاسك، فرحلت عنا على غير إذن وعلى غير موعد على غير عادتك. فتركت فراغاً كبيراً لا يسد، وثلمة في قلوبنا لا تنجبر، ووحشة تخيم على سقف المنزل، وجدراناً تشكي انقطاع صدى الأصوات، وهكذا هو الزمن يفعل فعله في الأحباب.

الكثير يجهل حياة العالم العلامة الشيخ يوسف، ولست هنا بصدد تبيان مناقبه، وغزارة علمه وسعة أفقه، فهذا موضوع له موطن آخر، ولكنني أحببت في هذه المساحة، أن أبين شذرات من بحر علمه، ووقفات بسيطة حملها شعوري إليه، فقد كنت — يا والدنا — أدباً وعلماً، وخلقاً وحلماً، ونبلاً وكرماً، وشعوراً يفيض بالحنان والدفء. لقد بلغ حلمك مبلغاً لا يوصف، فحينما كان يجهل عليك الناس فإنك تقابلهم بابتسامة ملؤها الشفقة والعطف، وحينما كان يؤذيك الجاهل فإنك تعرض عنه، وكأنك تتمثل بقول الإمام الشافعي:

إذا سبني نذل تزايدت رفعة	وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة	لمكنتها من كل نذل تحاربه

كان — رحمه الله - مدرسة في الأخلاق بسمته وصمته، يعلم الناس أن الأخلاق بالمعاملة، وليس بالخطب والمواعظ الرنانة. أما يده في السخاء فلم يكن يرد سائلاً أو ينكت الأرض عند السؤال، بل يسفر عن وجه ملؤه الرضا، ويعطي السائل مسألته، ولم يكن يبالي ما أنفق، وكم أنفق، وكم بقي في الجيب، المهم أن يسد حاجة السائل، لقد زهد في الدنيا، ولم يرض أن يستبدل مكانه مع كثرة الإغراءات، وكثرة المعارف وأهل الخير والإحسان الذين كانوا يتمنون شرف خدمته، ولكنه آثر أن يعيش في بيته المتواضع، وغرفته المتواضعة، فجاءته الدنيا تسعى إليه وتحثه على أن يركب على ظهر سفينتها. كان يحب الناس، وباب مجلسه لم يغلق في وجه أحد، وكان يسعى لمصالح الناس، فكم سعى إلى خدمة الناس وتفريج كربهم، وتحقيق أُمنياتهم، وحل مشاكلهم، فما كان يتردد في ساعة من ليل أو نهار في أن يقوم بواجبه الإنساني والديني والوطني، لم يمنعه كبر السن

أن يسمع كلام الناس ويفتح لهم بابه ويسعى لخدمتهم.

وإن أحببت أن تسمع إلى علم الوالد الشيخ يوسف، فحدث بلا انقطاع، فقد كان شغوفاً به منذ الصبا لا يكاد يضع الكتاب من يده، في جلوسه وأكله ومنامه، لقد اتخذه صديقاً، فملأ بيته بالكتب والمراجع، يقضي ساعات طوال في ركنه الهادئ يتنقل من بستان إلى بستان، فتارة مع الفقه، وتارة مع الشعر والأدب، والتاريخ، واللغة والبلاغة وغيرها، ولكن الناس لم يكونوا يعرفون منزلته ومقامه في العلم، فلم يؤمه إلا من وفقه الله فنهل من معين علمه، وغرف من فيض علومه، وهكذا هم العلماء يعيشون بين الناس من دون أن يدركوا علو علمهم، وصدق فيكم قول إمامك الشافعي:

أصبحت مطرحا في معشر قد جهلوا حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب

ومع ما كان يملك من ثروة هائلة في العلم، ومقام رفيع في تحصيله، وقضائه ساعات طوال في الطلب والتحصيل، لم يكن يجد في نفسه الجرأة على أن يتطاول على العلماء، أو يخالف ما انتهجه الأئمة الأعلام، بل سلك منهج أهل السنة والجماعة، في التقيد بالمنهج السليم، وما كان عليه العلماء من فطرة سوية، من دون ابتداع، أو انجراف وراء الدعوات الباطلة، لقد مثل منهج الفطرة السوية، والوسطية، فخرّج أجيالاً يتسمون بفكر نظيف، لا تطرف فيه ولا غلوا، وبمنهج لا يحمل الأحقاد أو هجرة المخالف و التكفير، أو رمي الناس بالبدع والضلال.

رحمك الله يا والدنا لقد كنت شجرة الوقار، وبستان المعرفة، ونور الأخلاق، فلم يكن يطيش لك سهم، أو يسقط لك ورق، فقد رحلت في شهر الرحمة والمغفرة، فاللهم دثره بهما ليهنأ في رحابك، وأديت ما عليك، وأخلصت لدينك وأمتك وأحببت وطنك، فاللهم أكرم وفادته فإنه كان يكرم وفادة عبادك، وأجزل له في عطائك فقد كان يجزل عطاء من استعطاه.

سيرة العالم لا تنتهي، والتنزه في بستان علمه متعة لا تمل، فرحمك الله فقد كنت مثالاً يقتدى به، وعالماً مخلصاً لدينك، فهذا ما جاد به القلم، وكان يستطيع أن يملي عليّ أكثر، ولكنني آثرت أن تكون لي وقفات مسهبة في مواطن أخرى إن شاء الله، كي أعطي لعالمنا حقه وننصفه، فإلى جنة الخلد.

الاثنين ٢٥ مارس ٢٠١٣ صحيفة الوطن

تخليد اسم الشيخ يوسف الصدِّيقي / بقلم فاطمة الصدِّيقي

لو كان سماحة الشيخ يوسف الصديقي حيًا لما سمح لي أن أكتب مقالي هذا، فالشيخ يوسف رحمه الله كان لا يحب الإطراء والمدح، حتى وإن كانت خصاله هي التي تشهد بذلك، تواضع للناس فملك قلوب الكثيرين. ما طلب إلا العلم، ولم يسأل أحدًا منصبًا أو مالًا أو جاهًا. اعتلى كرسي القضاء وكرسي العلم والفقه ومنبر الخطيب، يدعو لكل ما هو خير هذه البلاد والعباد، كان رحمه الله يدعو للّحمة الوطنية وللتسامح بين الأديان، ولم يفرق بين أي فرد يعيش على أرض المملكة، بل كان داعياً لإصلاح الوطن واقتصاده، وكان رحمه الله ينشر في كل حين ومناسبة السماحة وحب الوطن وطاعة ولي الأمر. بعد هذا العطاء، ومشوار حمل راية البحرين عالية، والعمل الدؤوب في تحقيق الخير والصلاح والإصلاح، حريّ بالبحرين أن تتذكر أبناءها المخلصين الذين رحلوا، وتتذكر عطاءهم الكثير، بل حريّ بأن يخلّد اسم الشيخ يوسف الصديقي رحمة الله عليه حتى تتوارثه الأجيال، ولا تُنسى مناقبه الجليلة. جميل أن يخلد اسم هذا العالم الفقيه، بأن تسمى إحدى المدارس باسمه، لما لمنبر العلم من مكانة وسمو وعلو بالنسبة له، أو أن يطلق اسمه على أحد شوارع البحرين، تخليداً لما قدم وأصلح، إجلالاً له ولعلمه ولحياته التي وهبها للبحرين . فهذا عهدنا بمملكتنا الحبيبة التي توقّر علماء الدين، ولا تفرّق بينهم، والتي تحرص دائماً أن تبرزهم أحياء كانوا أم في رحمة الله أموات، وهذا عهدنا بصاحب الجلالة الملك المفدى، الذي زار في يوم ما سماحة الشيخ يوسف الصديقي ليطمئن على صحته، وزار في الوقت نفسه سماحة الشيخ أحمد بن خلف العصفور في المستشفى، ليعطي لنا جلالته درساً في الحكم العادل، والمساواة بين جميع الطوائف. الشيخ يوسف الصديقي رحمة الله عليه عَلم من أعلام البحرين، شيخ جليل عاش عزيز النفس بين الناس ووهب وقته لحب البحرين، والبحرين بدورها تقدر وتثمن جهود المخلصين أمثاله، فليبق اسم سماحة الشيخ يوسف الصديقي عالقاً في ذاكرة الأجيال القادمة، حتى ينهلوا من بحر علومه الجليلة، رحمك الله يا شيخنا الجليل يوسف بن أحمد الصديقي.

رحم الله الشيخ يوسف

بقلم بثينة خليفة قاسم – جريدة البلاد / ٢٢ أغسطس ٢٠١٠م

لم يكن الشيخ يوسف الصديقي عليه رحمة الله ورضوانه رجلاً عاديًا، بل كان علامة مضيئة في تاريخ البحرين الحديث. كان الشيخ الصديقي من العلماء القدامى الذين يقضون عمرهم في محراب العلم وفي خدمة البشرية دون مطامع دنيوية. كان مثل العلماء الذين يبرعون في أشياء كثيرة وليس فرعا واحدا من فروع العلم. أقصد بذلك العلماء الذين كانوا بارعين في الدِّين والمنطق والفلسفة والترجمة والقانون، فاستحقوا أن يخلدهم التاريخ ويذكرهم الناس بسبب التراث الذي يتركونه وراءهم ويصبح هذا التراث سببًا للرزق لمن يأتي بعدهم من الدارسين.

الخليل بن أحمد، ذلك العالم الكبير الذي برع في اللغة والرياضيات والصوتيات، كان يعيش في بيت حقير رغم أن الدنيا لا تزال تأكل بعلمه حتى أيامنا هذه. صحيح أن هناك فرقًا بين عطاء الشيخ الصديقي عليه رحمة الله وبين الخليل بن أحمد وغيره من العلماء الذين خلدهم التاريخ، ولكنه ينتمي إلى هؤلاء بالخلق والعطاء والتفاني في خدمة العلم والمجتمع دون تطلعات مادية أو حب في الظهور واعتلاء المناصب. الشيخ الصديقي قدم للبحرين الكثير، فاستحق أن تودعه البحرين بهذه الحرارة واستحق هذه الشهادات التي قالها في حقه كل رجال البحرين الأوفياء، فهو رجل ينطبق عليه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:(خيركم من طال عمره وحسن عمله).

لم يكن عمر الشيخ الصديقي طويلاً فقط بالمعنى الزمني، ولكنه كان طويلاً بحجم العطاء وبحكم اللمسة التي تركها الشيخ في كل مجال عمل فيه، فقد أعطى المثل والقدوة، وهو قاض وهو خطيب وترك الأثر الأخلاقي والدرس لغيره من الناس، وسيظل نبراسًا يهتدي به من يأتي بعده. رحمة الله عليك أيها الشيخ الجليل وهنيئًا لك هذا الحب وهذا الدعاء الذي ودعك به أهل البحرين الأوفياء. عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا أحب الله عز وجل عبدا، فقال يا جبريل إني أحب عبدي فلان ابن فلان فأحبه، فينادي جبريل عليه السلام يا أهل السماء إن الله يحب عبده فلانا، فأحبوه فينشر الله عز وجل حبه في قلوب الجميع سواء بأهل السماء أو

بأهل الأرض). ويقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه (خالطوا الناس مخالطة إذا متم معهم بكوا عليكم، وإذا عشتم حنوا إليكم).. ولاشك أن الشيخ الصديقي جدير بأن يكون أحد هؤلاء الرجال الذين يحبهم الله ويطرح محبتهم في قلوب الناس، فهو رجل كثيرا ما حنَّ الناس للقائه قبل موته وبكوا عليه بعد موته، وكثيرا سيترحم عليه الناس بعد موته.

ومما كتبه الأستاذ/ مهنا الحبيل في جريدة اليوم السعودية

١٠ أكتوبر ٢٠١٠م

كان الحديثُ مناسباً لأبلّغ الشيخين بوفاة أحد أعلام البحرين الشرعية الكبيرة وهو الشيخ يوسف الصديقي رحمه الله وهو أحد علماء المدارس الشرعية بالبحرين وقضاتها الأجلاء وأحد طلبة العلم الذين تعلموا في مدارس الأحساء الشرعية وقد استشعرا الحزن بفقده والأسى على رحيله وندرة ذلك الجيل العظيم لكن الوالد الشيخ عبد الرحمن الملا بدأ باسترسال وحضور يعرض لترجمة وافية للشيخ الصديقي بدءًا بصداقته معه في معقل العلم التاريخي برباط آل أبي بكر في كوت الأحساء ووصولاً إلى دراسته الأزهرية وعودته للبحرين وأخلاقه ووده وصفائه وعلاقة الحركة العلمية الوثيقة بين الأحساء والبحرين وأخذ الشيخ يُنقّلنا بين الأحساء والبحرين حيث معارفه وأهله بكل تدفق مشوّق وهو حديث ممتد في كل بيت في الشرق السعودي إلى البحرين التاريخ ووحدة الوجود والأمن الجماعي وحرص العلماء هنا كما الوجهاء على سلامة أوال وحضور شخصياتها العلمية الكريمة في المحافل.

جريدة الأيام البحرينية على صفحتها الإلكترونية كتبت مقالاً بعنوان (الصديقي والقصيبي وحاجتنا إلى التنوير) بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٠م الموافق ٨ رمضان ١٤٣١ هـ.

غيب الموت هذا الأسبوع شخصيتين ارتبط بهما البحرينيون، وإن اختلفت سيرتهما، واهتمامهما، واختصاصهما، ولكنهما يعتبران من ضمن حركة التنوير التي نتطلع إليها، كل على طريقته واختصاصه. وهما فضيلة الشيخ يوسف بن أحمد بن محمد الصديقي والدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي. فضيلة الشيخ يوسف الصديقى منذ تلقيه العلوم الشرعية في الأحساء على أيدي فقهاء ومشايخ الشافعية إلى تقلده لمنصب القاضي في محكمة الاستئناف العليا الشرعية، اتسم بصفة السماحة والطيبة والأريحية، والقدرة على استنباط الأحكام التي تأخذ بتعاليم

الإسلام الحقة ، واليسر في المعاملة والعبادات والتشريع بما يتلاءم مع القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة. تلمس في خطاباته في صلاة الجمعة سواء عندما كان خطيبًا في جامع الزلاق وفي جامع القضيبية أو في المناسبات الدينية الأخرى فهمه واستيعابه لتعاليم الإسلام كما وردت في القرآن الكريم والسنة من الاستدلالات النقلية والعقلية والعقيدية ومخاطبة الفطرة الإنسانية، وكانت لمقدرته وتمكنه اللغوي الأثر في إيصال الخطاب الإسلامي للمصلين بوضوح وسلاسة وحسن بيان ، وكان لشغف فضيلته بالشعر والحكمة الأثر البالغ في استقطاب عقول وقلوب المتابعين لخطبه وأحاديثه ومؤلفاته ، فقد كان لسنوات بقائه في الأزهر الشريف وتتلمذه على علماء الأزهر قرابة السبع سنوات الأثر الكبير في الوسطية التي امتاز بها الأزهر في عهوده المختلفة. كان فضيلة الشيخ يوسف الصديقي من علماء البحرين المتنورين الذين أخذوا بأسباب التمسك بالتعاليم الإسلامية الحقة كما وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، واجتهاد الأئمة الثقاة من التابعين وتابع التابعين ، فنال احترام الجميع إلى جانب شخصيته الودودة، واحترامه للكبير والصغير، كان مطلعًا على الأدب العربي، شغوفا بالشعر، محبا ومناصرا للغة العربية ، قارئا ومطلعا، شديد التواضع ، يقوم بواجباته الاجتماعية، صاحب رؤية شجاعة في المسائل العصرية، وله مواقف إنسانية واجتماعية حببت المتعاملين معه والقريبين منه. لم يعرف عنه التزمت في الأحكام، فقد كان مستمدا من سماحة الإسلام ويسره نبراسًا في استنباط الأحكام كان صديقا لكل من اقترب منه ، ودائم السؤال عن من انقطع عن مجلسه، كثير التواصل مع مجتمعه حتى حالت دون ذلك ظروفه الصحية، فرحم الله فضيلة الشيخ يوسف بن أحمد الصديقى.

الصور



(الشيخ يوسف ومحمد كمال)



(الشيخ يوسف والملك حسين والأمير خليفة بن سلمان)



(الشيخ في إحدى المؤتمرات مع الشيخ عبدالله العلي المطوع)



(الشيخ يوسف مع السيد علي الهاشمي في إحدى المؤتمرات)



(الشيخ يوسف مع ابن خاله عبدالرزاق وابن اخته حسن)



(الشيخ يوسف وخليل المطوع)



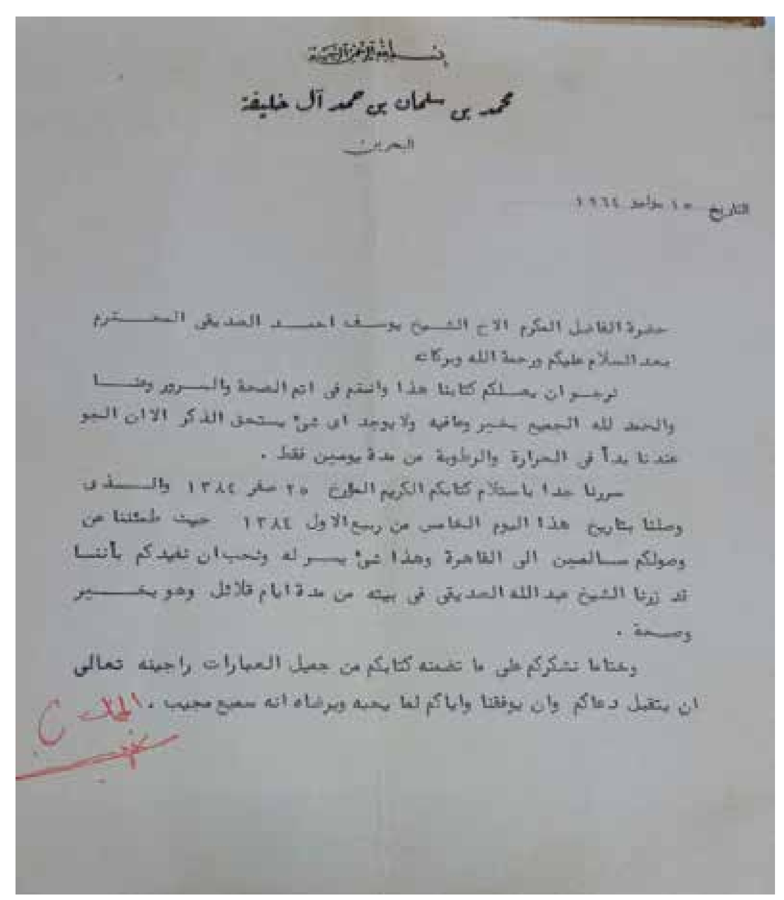
(الشيخ يوسف مع جلالة الملك ومجموعة من المشايخ)



(الشيخ يوسف والملك سلمان بن عبدالعزيز مع سمو الأمير محمد بن سلمان)



(سمو الشيخ علي بن عيسى يسلم الشيخ يوسف وسامًا)



بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن سلمان بن محمد آل خليفة

البحرين

التاريخ ١٠ يوليو ١٩٦٤

حضرة الفاضل المكرم الاخ الشيخ يوسف احمد الصديقي المحترم

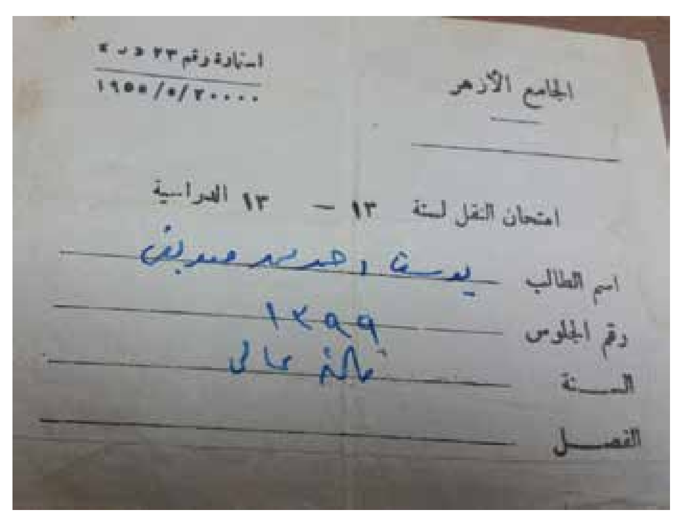
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو ان يصلكم كتابنا هذا وانتم في اتم الصحة والسرور وهنا والحمد لله الجميع بخير وعافيه ولا يوجد اي شيء يستحق الذكر الان الجو عندنا بدأ في الحرارة والرطوبة من مدة يومين فقط .

سررنا جدا باستلام كتابكم الكريم المؤرخ ٢٥ صفر ١٣٨٤ والذي وصلنا بتاريخ هذا اليوم الخامس من ربيع الاول ١٣٨٤ حيث طمئننا عن وصولكم سالمين الى القاهرة وهذا شيء يسر له ونحب ان نفيدكم باننا قد زرنا الشيخ عبد الله الصديقي في بيته من مدة ايام قلائل وهو بخير وصحة .

وختاما نشكركم على ما تضمنه كتابكم من جميل العبارات راجينه تعالى ان يتقبل دعاكم وان يوفقنا واياكم لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب .

(رسالة سمو الإمير محمد بن سلمان للشيخ يوسف)



استمارة رقم ٢٣ د ب ٢

١٩٥٥/٥/٢٠٠٠٠

الجامع الأزهر

امتحان النقل لسنة ١٣ — ١٣ الدراسية

اسم الطالب يوسف احمد صديقي

رقم الجلوس ١٢٩٩

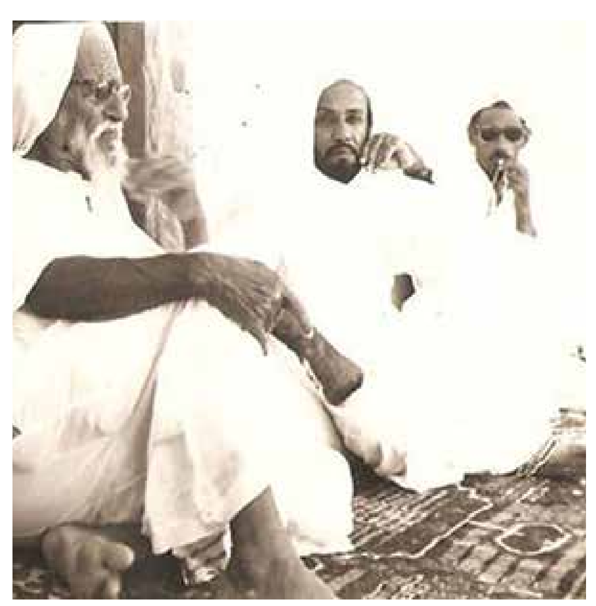
السنة ثالثة عالي

الفصل

(رقم الجلوس)



(سلمان بن أحمد الغتم)



(سلمان بن أحمد الغتم مع الشيخ يوسف)



(في مؤتمر مع الشيخ محمد بن عبداللطيف السعد)



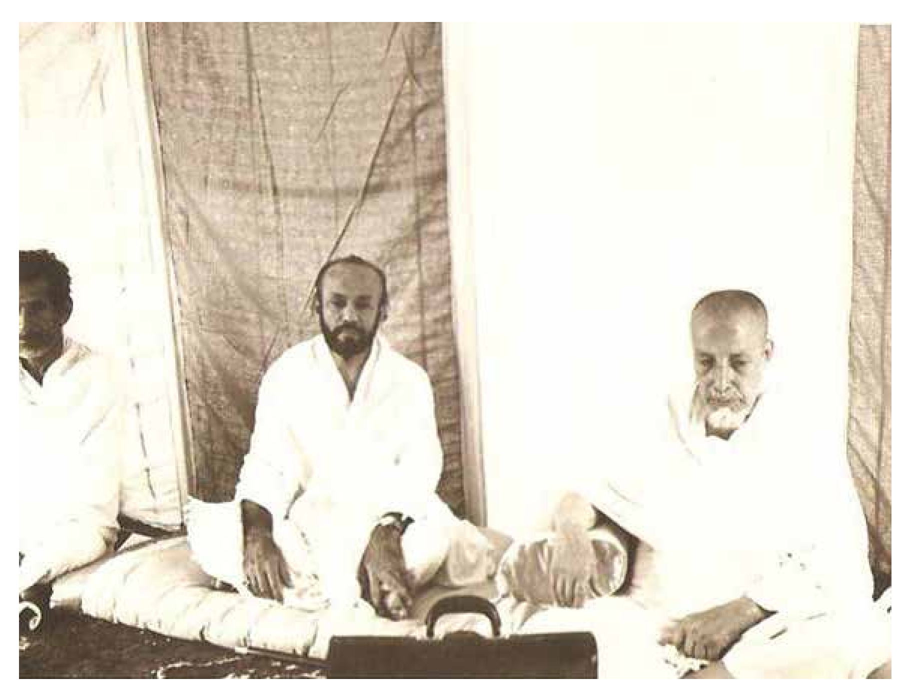
(مع الأمير الراحل وأحفاده سمو الشيخ عبدالله وسمو الشيخ خليفة)



(مع السيد جلال)



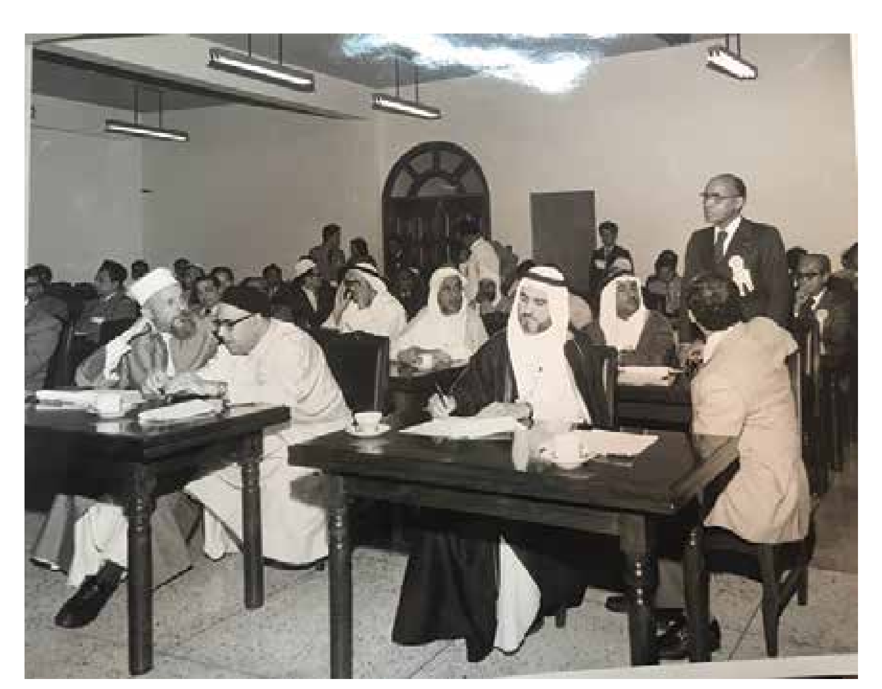
(مع السيدعلي الهاشمي وخالي الأديب عبدالحميد الصديقي)



(مع الشيخ عبداللطيف السعد بالحج)



(مع الشيخ أحمد الخليلي مفتي عمان والشيخ عدنان القطان والشيخ فريد
مفتاح وسفير سلطنة عمان)



(مع الشيخ عبدالله الأنصاري في مؤتمر)



(مع الشيخ الحارثي)



(مع الشيخ خليفة بن حمد والشيخ عيسى بوبشيت والشيخ أحمد عطاء والشيخ أحمد حميد وخالد الشوملي)



(مع الشيخ عبدالرحمن المهزع ومجموعة من الأصدقاء)



(مع الأمير الشيخ عيسى والأمير خليفة بن سلمان وشيخ الأزهر)



(مع الوجيه عبدالله جمعة)



● الأمير المفدى لدى زيارته فضيلة الشيخ يوسف الصديقي بمنزله.

بعد أن من الله على فضيلته بنعمة الشفاء

الأمير المفدى يزور فضيلة الشيخ يوسف الصديقي بمنزله

قام حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة امير البلاد المفدى عصر امس بزيارة لفضيلة الشيخ يوسف الصديقي وكيل محكمة الاستئناف العليا الشرعية بعد ان من الله على فضيلته بنعمة الصحة والعافية وتماثله للشفاء وذلك في منزله الكائن بمنطقة الزلاق.

كان في استقبال سموه الشيخ يوسف الصديقي وعدد من افراد عائلة الصديقي مرحبا فضيلته بمقدم سموه ومشيدا بهذه البادرة الطيبة المعهودة من سمو الامير المفدى تواصلا مع عادات وتقاليد مجتمعنا المترابط والمتحاب مشيرا الى ان هذه الزيارة قد جسدت

(البقية ص ٨)

(مع جلالة الملك أثناء زيارته لمجلس الشيخ يوسف بالزلاق)



(مع جلالة الملك والشيخ عبدالله بن خالد وعدد من المشايخ)



(مع شيخ الأزهر والشيخ عبدالله بن خالد وعدد من المشايخ والوجهاء)



(مع السلطان قابوس والشيخ عبدالله بن خالد)



(مع مدرسي مدرسة الزلاق عام ١٩٥٩م)



(مع مفتى فلسطين الشيخ عكرمة والشيخ إبراهيم مطر والشيخ أحمد عطا
والشيخ عوض البشبيشي والشيخ عيسى بوبشيت والشيخ أحمد حميد)



(مع مفتي تونس والشيخ أحمد المحمود والشيخ إبراهيم المريخي)



(مع مفتي عمان ومحمد بن مبارك)



(يلقي كلمته في مؤتمر بكوريا)



الوطن

2

أخبار الوطن

أكد أن رحيل القصيبي خسارة للبحرين والسعودية.. الملك:

الصديقي أحد رجالات المملكة المخلصين وكرس حياته للدين والوطن

(زيارة جلالة الملك لتقديم العزاء)











يشيع صباح اليوم في مقبرة الزلاق

الموت يغيب الشيخ يوسف الصديقي بعد حياة حافلة بالعطاء للوطن



(أخبار وفاة الشيخ)



(مع الشيخ إبراهيم السعد والشيخ عيسى بوبشيت رحمهم الله)



(مع الشيخ صالح بن حميد أثناء زيارته له بمجلسه بالزلاق)



(جلالة الملك يستقبل عبدالناصر الصدِّيقي بمعية الدكتور الشيخ خالد بن خليفة آل خليفة)

أهم المراجع

- مذكرات الشيخ يوسف الخاصة، ووثائقة وأوراقه، ومجموعة خطبه ومقالاته.
- مجموعة من الأشعار- لمجموعة من شعراء العربية والنبط —وجميعها مخطوط.
- الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصديقي — مؤلفاته العلمية وجهوده الدعوية- د. عبدالمنعم الصديقي و عدنان الكندري الطبعة الأولى ٢٠١٥ - دولة الكويت.
- المجموعة الكاملة للشاعر الشيخ أحمد آل خليفة.
- سماحة السيد علي بن عبدالرحمن الهاشمي، الشيخ القاضي الرئيس قاسم المهزع وحياته العلمية والعملية.
- مذكرة خاصة حول مدارس الأحساء.
- الأرجوزة اللطيفة في سير ووقائع آل خليفة لفضيلة الشيخ يوسف الصديقي.
- مجموعة كبيرة من كتب الأدب والشعر.
- مقابلة مع مجموعة من رجالات الزلاق منهم، الوالد الشيخ إبراهيم الغتم، والمرحوم الأستاذ محمد بن فيحان الدوسري، والخال عبدالرزاق بن محمد شريف الصديقي رحمه الله، و الدكتور عبدالله بن يوسف المطوع، ومفتاح بن جمعة الدوسري، الدكتور عبداللطيف بن الشيخ يوسف الصديقي. ومقابلة مع مجموعة من النساء منهم، الوالدة مريم بنت الشيخ يوسف، و أخت الشيخ العمة فاطمة بنت أحمد الصديقي رحمها الله.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة القاضي والأديب الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي، قاضي البحرين منذ ١٩٦٢م ولغاية ٢٠٠٩م، الذي بذل حياته لخدمة العلم، وتبتل في محرابه، فعمل بجِدّ حتى ارتقى إلى سلم العلماء، فعاش كريمًا عزيزًا، معرضًا عن مطامع الدنيا، وفاضت حياته علمًا وأدبًا، وروحًا وورعًا. ويتعمق مؤلف الكتاب في سرد حياة جده الشيخ يوسف ومسيرته العلمية والشرعية، من خلال ما شهده من تجارب وذكريات أبويه، وتوثيق ما قيل عنه –رحمه الله- من قبل الذين عاصروه، فضلاً عن المذكرات والوثائق التي وصفت تلك المرحلة من سيرته، إذ كان من الشخصيات البارزة في عصرها، والتي لاقت توقيرًا واحترامًا في نفوس أبناء البحرين.

عبدالناصر محمد الصديقي

باحث بحريني متخصص في الشؤون الشرعية والتاريخية، حاصل على الماجستير في القانون الدستوري من جامعة المملكة بمملكة البحرين عام ٢٠١٣م، والبكالوريوس في الشريعة والدراسات الإسلامية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٩١م. نشر العديد من البحوث والمقالات في الشريعة والتاريخ. يعمل حاليًا أمينًا عامًا مساعدًا لشؤون الجلسات واللجان بمجلس الشورى بمملكة البحرين. عبدالناصر هو حفيد الشيخ يوسف الصديقي، وقد لازمه منذ نعومة أظفاره وحتى وفاة الشيخ، وقد درس على يده الفقه واللغة والأدب، وكان مصاحبًا له في مجالسه وزياراته.



مركز عيسى الثقافي
ص.ب. ٧٥١١٥ المنامة - مملكة البحرين
هاتف ٩٧٣١٧٣٦٦٦٦٦+
www.icc.gov.bh